الفصول المهمة

في معرفة أحوال الأئمة عليهم السلام

الكتاب الذي يعطيك صورة صادقة عن سيرة الأئمة الاثني عشر (ع) بأسلوب رصين محكم وضبط وتحقيق تسالم الفريقان على صحته وتأييده فهو خير مصدر يرجع إليه ويعوّل عليه.

تأليف

الشيخ الإمام العلّامة والبحر الفهّامة

علي بن محمّد بن أحمد المالكيّ المكيّ

الشهير بابن الصبّاغ

المتوفى ٨٥٥ هـ



الفصول المهمة

في معرفة أحوال الأئمة عليهم السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصول المهمة

في معرفة أحوال الأئمة عليهم السلام

الكتاب الذي يعطيك صورة صادقة عن سيرة
الأئمة الإثني عشر (ع) بأسلوب رصين محكم
وضبط وتحقيق تسالم الفريقان على صحته
وتأييده فهو خير مصدر يرجع إليه ويعوّل عليه.

تأليف

الشيخ الإمام العلّامة والبحر الفهّامة

علي بن محمّد بن أحمد المالكي المكّي

الشهير بابن الصبّاغ

المتوفى ٨٥٥ هـ

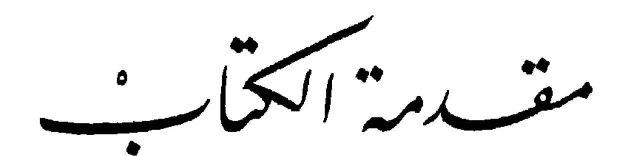


الطبعة الثانية

١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م

دار الأضواء
للطباعة والنشر والتوزيع

الغبيري - شارع عبد الله الحاج - ص.ب ٢٥/٤٠
برقيا: غبيري حسكو - بيروت - لبنان



بقلم : الاستاذ الكبير والبحاثة المحقق
توفيق الفكيكي المحامي

اسم المؤلف وشهرته :

هو نور الدين علي بن محمد بن أحمد بن عبدالله الصفاقسي[1] واصله من مدينة غزة كما ذكر تلميذه شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي في كتابه « الضوء اللامع لأهل القرن التاسع »[2]، وقد ولد في العشر الأول من ذي الحجة سنة ٧٨٤ هـ بمكة واشتهر بابن الصباغ المالكي المكي لأنه كان رحمه الله من أعيان المذهب المالكي في عصره .

وقد يطلق ابن الصباغ أيضاً على أبي نصر عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد الفقيه الشافعي المدرس بالمدرسة النظامية ببغداد ، وكان ثقة حجة صالحاً[3] توفي ببغداد سنة ٤٧٧ هـ . وممن اشتهر بابن الصباغ أيضاً علي بن عبد الحميد بن اسماعيل الزاهد العارف الكبير أبو الحسن الشهير بابن الصباغ توفي « بقنا » من صعيد مصر سنة ٦١٢ هـ ودفن برباطه[4] وقد انفرد صاحب

---

(١) جاء في كتاب الضوء اللامع « الأسفاقسي » كما في كتاب معجم المطبوعات العربية والمعربة .
(٢) ج ٥ صفحة ٣٧٢ طبع مصر.
(٢) الكنى والألقاب ص ٣٢٤ .
(٤) روضات الجنات ص ٤٨٦ .

روضات الجنات بروايته عن مؤلف هذا الكتاب فذكر أن اسمه صالح بن عبدالله بن جعفر الأسدي الكوفي ولقبه محيي الدين كما ذكره المحدث النيسابوري[1]، وهذا خلاف ما جاء في ترجمته في كتب الرجال المعتبرة للفريقين خاصة كتب المالكية التي تقطع بأن مؤلف « الفصول المهمة في أحوال الأئمة » هو نور الدين علي بن محمد بن أحمد بن عبدالله الصفاقسي المغربي[2] المكي المالكي . أما رواية صاحب الروضات فجاءت مجردة من كل دليل مقبول .

منزلته العلمية :

كان رحمه الله من أعلام المذهب المالكي في زمانه ذو نباهة واسعة في العلوم العربية ، والفقه والأصول ، واطلاع غزير في علم الحديث ، ومن أهل الامامة في النقل والرواية ، وله آراء سديدة صائبة في المنقول والمعقول ، وهو ثقة في التحقيق والتدقيق ، صبور في البحث والاستقصاء والتنقيب ، محب للحقيقة بصدق واخلاص في حديثه وكتابته ، كثير الاعتدال والانصاف في مناظرة خصومه ومخالفيه ، جم الأدب في مجادلة شيوخه ومناقشة تلاميذه ، عف اللسان مهذب النفس في محاوراته مع العلماء والنظراء .

وكان لما يتحلى به من كريم الخصال وحميد السجايا ، ويتصف به من طباع العلماء الصلحاء العاملين رفيع القدر بين طبقات أهل الفضل ، مرموق المكانة في عيون كبار اصحابه ، محترم الجانب من قبل اعاظم سائر المذاهب الإسلامية ، وينوه عنه في مجالسهم ومحافلهم بكل اجلال ويلقب بألقاب التفخيم كالعلامة والإمام ، والشيخ ، والبحر ، إلى غير ذلك من ألفاظ الإعجاب والتقدير التي تنم عن علو منزلته العلمية كما صرحت بذلك كتب الأوائل والأواخر ، مثل كتاب « الضوء اللامع » و« ذخير المال » للعلامة

---

(١) روضات الجنات.

(٢) في ملحق انستاس الكرملي إلى تاريخ المرام في أحوال اليمن .

أحمد بن عبد القادر العجيلي الشافعي و« الرياض الزاهرة في فضائل آل بيت النبي وعترته الطاهرة » للعالم الجليل عبدالله بن محمد المطيري و« سعادة الكونين في بيان فضائل الحسنين » للفاضل إكرام الدين بن نظام الدين محب الحق الدهلوي و« جواهر العقدين » للشيخ الفهامة علي بن عبدالله السمهودي الشافعي،و« إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون » للشيخ الكامل نور الدين علي بن إبراهيم الحلبي الشافعي و« الصراط السوي في مناقب آل النبي » للشيخاني القادري و« نزهة المجالس ومنتخب النفائس » للشيخ الفاضل عبد الرحمن بن عبد السلام الصفوي الشافعي و« اسعاف الراغبين » للشيخ محمد بن علي الصبان و« مشارق الأنوار » للشيخ حسن العدوي الحمزاوي و« نور الأبصار » للسيد مومن بن حسن مومن الشبلنجي، و«تفسير شاهي » للعالم الكبير محمد محبوب و« نيل الابتهاج بتطريز الديباج» لسيدي أحمد بابا التنكتبي و« اتحاد الورى بأخبار أم القرى » للشيخ نجم الدين عمر بن فهد المكي،و« كشف الظنون » لملا كاتب جلبي و« الإمام الثاني عشر » لمؤلفه محمد سعيد آل صاحب العقبات و« معجم المطبوعات العربية والمعربة » للاستاذ يوسف الياس سركيس . وجميع هؤلاء الأفاضل الأماثل اتفقوا بأن ابن الصباغ كان من أكابر علماء السنة وأعاظم محدثيهم الأعلام .

ثقافته وشيوخه وتلاميذه :

نشأ في مكة المكرمة وترعرع في بطاحها فحفظ القرآن الكريم والرسالة في الفقه ، وألفية ابن مالك ودرس العلوم العربية ، وأصول الفقه والحديث ، وسداسيات الرازي ، وعلم الخط ، وغير ذلك من العلوم والفنون الإسلامية . وشيوخه في ذلك ، الشريف عبد الرحمن الفاسي وعبد الرحمن بن العفيف اليافعي ، والجمال بن ظهير ، وأبو السعود وسعيد النووي ، وعلي بن محمد بن أبي بكر الشيبي ، ومحمد بن سليمان بن أبي بكر البكري ، والجلال عبد الواحد المرشدي ، والزين المراغي وجماعة غيرهم . ومن تلاميذه اللامعين صاحب « الضوء اللامع لأهل القرن التاسع » شمس الدين

محمـد بن عبد الـرحمن السخاوي وجملة من المـالكيين وردت اسمـاؤهم في كتاب « نيل الابتهاج بتطريز الديباج » فمن شاء الوقوف على تفصيـل تراجمهم فليراجع الكتاب المذكور .

مؤلفـاته :

١ ـ « الفصول المهمة في تراجم الأئمة : وهـو هذا الكتـاب المهم وفي روضات الجنات ذكره بالفصول المهمة في معرفة أحـوال الأئمة من أهـل بيت العصمة ، المذكور دائماً مقابل كتاب « مطالب السؤول في مناقب آل الرسول » للفاضل الأوحـد أبو سـالم محمد بن طلحـة بن الحسن بن محمد الشـافعي . ونوه عنه صاحب كتاب « الكنى والألقاب » الفصول المهمة في معرفة الأئمة . كمـا ذكره صـاحب كتاب « الضـوء الـلامـع » وذكـره صـاحب كشف الـظنـون الفصول المهمة في معرفة الأئمة وفضلهم ومعرفة أولادهم ونسلهم للشيخ نـور الـدين علي بن محمد بن الصبـاغ المالكي المكي المتوفي سنة ٨٥٥هـ خمس وخمسين وثمانمائة، وأراد الأئمـة الإثني عشر الـذين أولهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه تعالى وآخـرهم الإمام المهـدي المنتظر وعقـد لكل منهم فصـلاً وزاد في الأئمة الثلاثة الأولى فصولاً وقـد نسب بعضهم المصنف في ذلك إلى الترفض لما ذكـره في خطبتـه أوله : « الحمـد لله الذي جعـل من صلاح هـذه الأمة نصب الإمام العادل ».

وفي ملحق الأب انستاس الكرملي « الفصول المهمة في فضائل الأئمة » تأليف الشيخ الإمام العلامة البحر الفهامة علي بن محمد بن أحمد بن عبدالله نور الدين الصفاقي المغربي المكي المـالكي يعرف بـابن الصباغ شهـرة . هو كتاب من كتبنا الخطية وهو بقطع الثمن الصغير وعدد صفحـاته (٣٣٦) بـديع الخط وجميع أوراقه مؤطرة بثلاثة خطوط: اثنان منها أحمران وهما اللذان يليان الكتاب، والثالث ازرق لازوردي وهـو الخارج الـذي يلي الأطراف البيض قـال نـاسخه في آخـره ما هـذا بحرفـه : وكان الفـراغ من كتابته في اليـوم المبـارك المـوافق للثاني والعشـرين من شهر الله المحـرم افتتاح سنـة خمس ومائـة بعد

الألف من هجرة من له العز والشرف على يد الفقير الفاني محمد بن محمد الزرقاني غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين آمين انتهى . . وقد طواه على اثني عشر فصلاً على عدد الأئمة عليه السلام ثم ذكر الفصول على الترتيب . كما فصلت في هذا الكتاب الجليل القيم الذي بين يدي القارىء الكريم .

٢ ـ ومن مؤلفاته النافعة المشهورة « العبر فيمن شفه النظر » وهو كتاب كثير الفوائد وقد عده أهل الفضل والعلم من الفرائد ولم نتوفق للاطلاع عليه مع شديد الأسف .

أهمية الكتاب :

لقد نال هذا الكتاب شهرة واسعة في المكتبات العربية الإسلامية وهو عمدة المؤلفين والعلماء الباحثين في فضائل ومناقب أهل البيت الأطهار عليهم السلام في القديم والحديث، لما تمتع به مؤلفه (رح) من الصيت الذائع في العلم والأدب والفقه والثقافة الإسلامية لهذا كان هذا الكتاب من أهم المصادر العلمية للرواة الثقاة كالشيخ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي تلميذ المؤلف ، والعلامة أحمد بن عبد القادر العجيلي الشافعي ، والعالم الجليل عبدالله بن محمد المطيري ، والشيخ الفاضل إكرام الدين بن نظام الدين الدهلوي ، والشيخ الفهامة السمهوري الشافعي ، والشيخ الكامل نور الدين الحلبي الشافعي ، والمفضال الشيخاني القادري ، والشيخ العارف عبد الرحمن بن عبد السلام الصفوي الشافعي والشيخ المحقق محمد بن علي الصبان ، والشيخ الجليل حسن العدوي الحمزاوي ، والعلامة السيد مؤمن الشبلنجي ، والعالم الكبير محمد محبوب والعالم الفاضل محمد سعيد آل صاحب العقبات ، والشيخ نجم الدين عمر بن فهد المكي ، والفاضل سيدي أحمد بابا التنكتبي وقد ذكرنا مؤلفاتهم وتصانيفهم المعتبرة آنفاً .

ومما يزيد في أهميته وقيمته التاريخية هو شدة اهتمام مؤلفه عليه الرحمة واعتماده على آثار الاجلاء من علماء مختلف المذاهب الإسلامية في نقل الأحاديث النبوية الشريفة التي تنص على فضائل آل البيت النجباء الأطياب

وعلو شـأنهم وتأييـد إمامتهم، وهـو فضلاً عن ذلـك ليس بالمختصـر المخل ولا بالمطول الممـل بالحشـو والتكرار وممن خصـه بالمـدح والإطراء وأكثـر القول بتبجيله واستحسان فرائده من الحجج المعاصرين استاذنا الأكبر الحجة الإمـام الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء دامت فواضله .

قلنا ان من أهمية هذا الكتاب الجليل القدر هو اعتماد مؤلفـه على كتب الفريقين في تثبيت إمامة الأئمة الأطهار عليهم السلام ومن جملتها :

كتـاب « كفايـة الطالب في منـاقب أميـر المؤمنين علي بن أبي طـالب » للشيـخ العـلامـة فقيه الحـرمين الكنجي الشـافعي المتـوفي سنـة ٦٥٨ هـ و« المناقب » لابن خالـويه و« المنـاقب » إلى ضياء الـدين أبو بكـر الخوارزمي و« الـدرر » و« المناقب » لأبي المعـالي الفقيـه المـالكي و« التفسيـر » لـلإمـام البغـوي و« التفسير » للثعلبي ،و« المصـابيح » للبغـوي و« المـوجـز » في فضـل الخلفاء الأربعة للحافظ أبي الفتوح اسعـد بن أبي الفضائـل بن خلف العجلي و« أسبـاب النـزول » للواحـدي و« احيـاء العلوم » للغـزالي و« شـرح مقـامـات الحريري » للمسعودي ،و« تفسير الكشاف » للزمخشري و« معالم العترة النبـوية ومعارف الأئمة أهل البيت الفاطمية » للحافظ محمد بن عبد العـزيز الجنـابذي الحنبلي و« الكنـز الكبير » إلى محمـد بن حبيب البغدادي ،و« الـذرية الـطاهـرة للدولابي « والمغـازي » لابن قتيبة و« الـطبقات » لابن سعـد و« حليـة الأوليـاء للحـافظ أبو نعيم و« تـاريخ البـديع » و« الفتـوح » لابن اعثم . و« نثر الـدرر » و« الارشاد» للشيخ الإمام المفيد، و« الجـوانح والجـوامح» لـلإمام قـطب الدين أبي سعيد هبة الله بن الحسن النهاوندي . و« الـدلائل » للحميـري و« الوزيـر السعيد مؤيد الدين العلقمي » و« مسير العزم الساكن إلى شرف الأماكن » لابن الجوزي و« أعلام الورى » للطبرسي وكتـاب « الطوسي وعيـون أخبار الـرضا » للشيـخ ابن بابـويه و« مـواليد أهـل البيت » لابن الخشـاب و« التـذكـرة » لابن حمدون،« والبيان في أخبار صاحب الـزمان » و« ومـلأ الغيبة في طـول الغيبة » للشيخ الإمام جمـال الدين أبـو عبدالله محمـد بن إبراهيم الشهيـر بالنعمـاني و« الفـردوس » لابن سيـرويـه الـديلمي و« الجـرح والتعـديـل » للدارقـطني

و« المعجم الكبيـر » و« المعجم الأوسط » للطبراني و« الفـوائـد » للحـافظ أبـو نعيم و« شـرح السنة » للقـاضي ابن مسعود البغـوي . وكتب السير والمغـازي الأخرى .

رواة أحاديث الكتاب :

لقد اعتمد المؤلف،(رح) في نقل الأحاديث الشريفة والأخبار في فضائل آل البيت الميامين الأخيار عليهم السـلام على رواية الأئمـة المعصومين عليهم السلام ومن بعدهم على الصحابة الكرام مثل ابن عبـاس وعبدالله بن مسعـود وأبو ذر الغفاري ، وزيد بن أرقم ، وأبو أيوب الأنصاري وسعيـد بن المسيب وأم سلمة (رض) وعائشة (رض) وقيس بن سعد وحذيفة بن اليمان ومجاهد ، وأبـو رافع مـولى رسـول الله (ص) ،والبراء بن عـازب وطـاووس ، وعمـار بن يـاسر ، وسفيـان بن عتبة ، وحـذيفة بن أسيـد الغفاري ، وجـابر بن عبـدالله الأنصاري ، وعلقمة بن عبدالله وعمر بن الخطاب ، وأنس بن مالك ، وأسامـة ابن زيد ، وعلى رجـال « الحـديث » الأشتـر النخعي ، وأحمـد بن حنبـل ، والتـرمـذي ، ومسلم ، والبخـاري ، والبيهقي ، والنسـائي ، والـزهـري ، ومكحول وابن منده ، وابن ماجة ، والدارقطني ، وعلى الفقهاء الشيخ الجليل المفيد ، والشيخ كمال الدين بن طلحة وغيرهما من الأبدال الثقـاة رضوان الله عليهم أجمعين .

نسبـة الترفض للمؤلف :

قـال صاحب كتـاب « كشف الظنـون » بـأن البعض نسبـه إلى التـرفض (التشيـع) بدليـل أن المؤلف قال في خـطبته : « الحمـد لله الـذي جعـل من صلاح هذه الأمة نصب الإمام العادل » وقد رد المؤلف عن نفسـه اتهام البعض له فقال : « ولرب ذي بصيرة قاصرة » وعين من إدراك الحقائق حاسرة يتأمل ما الفته ويتعرض ما جمعته ولخصته فيحمله طرفه المريض ، وقلبـه المهيض إلى أن ينسبني إلى الترفض في ذلك ».

نقول : ان علة التهمة التي اتهم بهـا المؤلف بالتشيـع لآل البيت عليهم

السلام كما يظهر، هي حمده لله تعالى الذي جعل نصب الإمام العادل من صلاح هذه الأمة فإذا كان التشيع أو الترفض ينظر هذه النظرة المثلى السامية إلى صفة إمام المسلمين الذي يتولى التصرف في أمورهم وإصلاح شؤونهم فيجب أن نقدس فكرة التشيع التي ترمي إلى اتباع « الإنسان الكامل » دائماً لا الظالم الفاجر . قال الله تعالى مخاطباً بذلك « الخليل » (ص) : ﴿ **إني جاعلك للناس إماماً** ﴾ قال : ﴿ **ومن ذريتي** ﴾ فقال تعالى : ﴿ **لا ينال عهدي الظالمين** ﴾ وقوله تعالى : ﴿ **افنجعل المسلمين كالمجرمين ، أم نجعل المتقين كالفجار** ﴾ وعليه فإن أمانة الإمامة العامة في نظر التشيع لا يحملها إلا المؤتمن التقي العادل من أهل العصمة والعصمة هي عبارة عن قوة العقل من حيث لا يغلب مع كونه قادراً ، فلا يفعل الإمام العادل المعصية باختياره مع قدرته عليها . أما إذا جاز أن يتصدى لحمل أمانة الإمامة البر والفاجر كما يذهب الطاعنون على ابن الصباغ (رح) فقد ضاعت الأمانة المقدسة وفقدت المقاييس بين الفضيلة والرذيلة ووسد الأمر إلى غير أهله الكفاة ، وهنا البلية العظمىٰ والطامة الكبرى على الراعي والرعية أما إذا اعتقد أصحاب العقول المريضة بمن اتهم المؤلف بأن كلامه يشير إلى الجرح في إمامة الغير وسلب العدالة منهم ، لأنهم لم ينصبوا من قبل الله فهو بلا ريب ظن آثم بقصد المؤلف واعتداء ظالم له وقد أبى هؤلاء إلا أن يعلنوا حسدهم وعداءهم لآل الرسول عليهم الصلاة والسلام ، ثم أراد المؤلف (رح) بما استشهد به من شعر الإمام الشافعي (رح) أن يفصم عن عقيدته إزاء هؤلاء النواصب بأنه ممن يقول بالتفضيل وإذا كان ذلك يعد رفضاً فهو رفض العباد وقد خاطبهم بلسان الإمام الشافعي :

إذا نحن فضلنا علياً فإننا ... روافض بالتفضيل عند ذوي الجهل

واحتج عليهم بقول الشافعي أيضاً :

قالوا ترفضت قلت كلا ... ما الرفض ديني ولا اعتقادي
لكن توليت دون شك ... خير إمام وخير هاد
إن كان حب الوصي رفضاً ... فإنني أرفض العباد

ثم احتج عليهم بقول الشافعي أيضاً :

يا راكباً قف بالمحصب من منى واهتف بقاعد خيفها والناهض
سحراً إذا فاض الحجيج إلى منى فيضاً كملتطم الفرات الفائض
إن كان رفضاً حب آل محمد فليشهد الثقلان أني رافضي

ثم قال : وحكي أن الإمام البيهقي قيل له أن أناساً لا يصبرون على سماع منقبة أو فضيلة تذكر لأهل البيت قط . وإذا رأوا أحداً يذكر شيئاً عن ذلك قالوا تجازوا عن هذا فهذا رافضي فانشأ للشافعي :

إذا في مجلس ذكروا علياً وسبطيه وفاطمة الزكية
يقال تجاوزوا يا قوم عنه فهذا من حديث الرافضية
برئت إلى المهيمن من أناس يرون الرفض حب الفاطمية

المؤلف وحديث الغدير :

لقد روى المؤلف حديث الغدير عن كثير من عيون الصحابة الكرام وأهل الحديث الثقاة والفقه التقاة وكلهم من اخواننا السنّة مما فيه الكفاية التامة في إثبات الوصية والإمامة لأمير المؤمنين (عليه‌السلام)، بعد أن رحل الرسول الأعظم (ص) إلى الرفيق الأعلىٰ ثم قال في صفحة (٢٧) وما بعدها : قال العلماء : لفظة المولى مستعملة بإزاء معان متعددة فتارة تكون بمعنى (أولى) وتارة بمعنى (الناصر) وتارة بمعنى (الوارث) وتارة بمعنى (العصبة) وتارة بمعنى (الصديق) وتارة بمعنى (السيد والمعتق)، وهو ظاهر واستشهد على تلك المعاني بالقرآن الكريم ثم قال : (وإذا كانت واردة لهذه المعاني فيكون معنى « الحديث » من كنت ناصره أو حميمه أو صديقه فإن علياً يكون كذلك) .

ويظهر أن المؤلف قد نقل هذا باختصار عن كتاب مطالب السؤول صحيفة (١٦) لمؤلفه كمال الدين بن الشافعي المتوفي سنة ٦٥٤هـ حيث قال هذا في أول كلامه : فقوله (ص) (من كنت مولاه فعلي مولاه قد اشتمل على لفظة (من) وهي موضوعة للعموم فاقتضى أن كل إنسان كان رسول الله (ص)

مولاه كان علي مولاه . وقال شمس الدين سبط بن الجوزي الحنفي المتـوفي (سنة ٦٥٤) هـ في كتابه تذكـرة الخواص صحيفـة (١٨) :فأمـا قولـه (ص) من كنت مـولاه فقال علمـاء العربيـة لفظ (المـولى) تـرد على وجـوه ثم ذكـر من معاني المولى تسعـة وهي : المالـك والمعتق «بالكسر» والمعتق « بـالفتح »، النـاصر ، ابن العم ، الحليف ، المتـولي لضمان الجـريرة ، الجـار ، السيـد المطاع ، ثم قال والعاشر بمعنى (الأولى) قال الله تعالى : ﴿ **فاليوم لا يؤخـذ منكم فـدية ولا من الـذين كفروا مـأواكم النار هي مـولاكم** ﴾ ثم طفق يبـطل إرادة كـل من المعاني المـذكورة واحـداً واحداً فقـال : والمراد من الحـديث الطاعة المحضة المخصوصـة فتعين المعنى العاشـر وهو (الأولى) ومعنـاه من كنت أولى به من نفسه فعلي أولى به[1] . وقد صـرح بذلـك جمهور أهـل اللغة والمفسرين وأصحاب الحديث والفقهاء وأغلبهم من أكابر علماء أهل السنة إلاَّ من شـذّ منهم لغرض أو مـرض وذكروا من معـاني (المولى) سبعـة وعشـرين معنى[2] وأطبقت كلمتهم على صحـة المعنى الأخير وهـو المولى في الأمـر . ورواه الكثيـرون من علماء الجمهـور يـزيـد عـددهم على (٦٤) من أئمتهم[3] ومنهم مسعود بن ناصر السجستاني وهو من ثقاتهم فقد روى حديث الغدير عن مائة وعشرين شخصاً من الصحابة ورواه محمد بن جرير الطبري في كتاب الرد على الحـرقوصيـة بخمس وسبعين طريقـاً ورواه ابن عقـدة الحـافظ في كتـاب « الولاية » بمائة وخمس طرق وذكر الشيخ ابن كثير الشـامي الشافعي عنـد ذكر أحـوال محمد بن جـرير الـطبري الشـافعي قال : إني رأيت كتـابـاً جمـع فيـه أحاديث « غدير خم » في مجلدين ضخمين ،ونقل عن الجويني أنّه كان يتعجب ويقول شاهـدت مجلداً ببغداد في يـد صحاف فيـه روايات هـذا الخبر مكتـوباً عليه المجلدة الثامنةْ والعشرون من طرق (من كنت مولاه فعلي مـولاه) ويتلوه المجلد التاسع والعشرون .

وبالجملة فإن المعاني التي ذكرها مؤلف هذا الكتاب والمعاني الأخـرى

(١ و٢ و٣) من ج (١) من كتاب الغدير للشيخ عبد الحسين الأميني .

التي تمسك بها القوم وهي عبارة عن ستة وعشرين معنى كلها لا تصح لحمل الحديث عليها، إذ لا اختصاص لهذه الأمور بأمير المؤمنين (عليه السلام) لأن اهتمام صاحب الرسالة (ص) وشدة اعتنائه بهذا الشأن وجمع الناس في الحر الشديد والنزول في أثناء الطريق والأمر بالتبليغ والتهديد على ذلك ونزول الآية في أكمال الدين ونحو ذلك من هذه الأمور الهامة، مما ينكره العقل السليم والعادة أن يكون لبيان أمر واضح لا يخفى على أحد وهو أن يؤكد الرسول (ص) للناس وكانوا مائة وعشرين ألفاً أو يزيدون كون أمير المؤمنين (عليه السلام) ابن عمه وناصره ومعينه وصديقه وحميمه ومحبه .

ونكتفي بهذه اللمحة الخاطفة دون التفصيل لأن ذلك خارج عن موضوعنا[1] .

استطراد ودفاع :

نقول : ان عبارة ابن الصباغ المالكي المتقدمة وإن كان ظاهرها على خلاف تفسير أصحابنا الإمامية لحديث الغدير فإنه (رح) قد أثبت الوصية والإمامة بعد رسول الله (ص) لأمير المؤمنين (عليه السلام) في موضوعات كتابه هذا وفي ثنايا فصوله نصاًوروحاً، وأنه قيد عبارته (بإزاء) فقال : قيل : « وإذا كانت أي ـ كلمة المولى ـ واردة لهذه المعاني فيكون معنى الحديث من كنت ناصره أو حميمه أو صديقه فإن علياً منه كذلك»، مما يدلنا على أن الرجل لم يقف على الأسرار اللغوية لمعنى (المولى) أكثر مما وقف عليها ونقلها عن كمال الدين بن طلحة الشافعي وعبارته تدل بصراحة على عدم الجزم بما ذكره من معانيها كما لا يخفى على الفاحص اللبيب والأريب الحاذق . ونعتقد لو أنه عثر على المعاني اللغوية الأخرىٰ لكلمة (المولى) لأثبتها في مقامها من كتابه هذا .

---

(١) من أراد التوسع في معرفة مفاد حديث الغدير ورواياته من الكتاب والسنة وآراء علماء المسلمين على اختلاف طبقاتهم ونحلهم وصورهم فليراجع كتاب الغدير القيم للعلامة الجليل والبحاثة الثبت الثقة الشيخ عبد الحسين الأميني ففيه الشفاء لداء القلوب . .

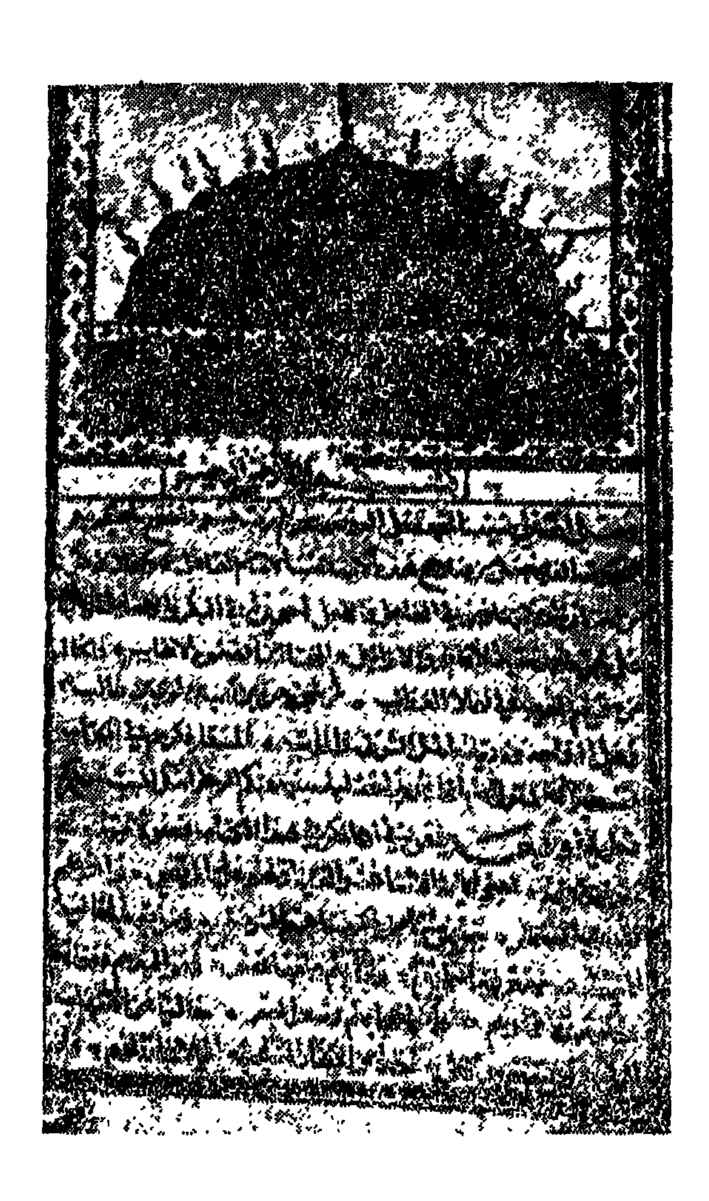
هذا ولو فرضنا جدلاً أن الرجل سيق له الاطلاع على ما ذهب إليه أصحابنا من تفسير حديث الغدير ولم يذكره فيجب علينا أن نعذره لأسباب وأهمها : ربما اتقى بسكوته عن الإفصاح والبيان الهلكة عن نفسه وأمن بذلك سوء مصيره فليس كل ما يعلم يقال .

• كما أننا لا ندري ما كان يحيط به من مكائد المتربصين وما يديره ضده الحاسدون لفضله من دعاة السوء . وهو يتمتع بمركزه العلمي الخطير في الحجاز في عصر شاعت فيه النعرات المذهبية والدسائس الطائفية . كما أننا لا نقدر أن نحكم على ظروفه وما كانت عليه حياته الشخصية ومجالاته بعد أن نعلم بأن كثيراً من العلماء قد تضطرهم الظروف إلى الإحجام عن المجاهرة بآرائهم وتكرههم على عدم مصارحة الناس بالحقائق ، وبما لا يلائم عقولهم أو يناسب مداركهم وذلك دفعاً للشر وحباً بالسلامة وحفظاً للنفس وكرامتها من ذوي الجهل والحمق . وأن التقية واجبة في بعض الحالات أو الأوقات، وعلى الإنسان العاقل الحكيم أن يستقيل في دولة الباطل والظلم من يتقيه بالتحية ويمشي .

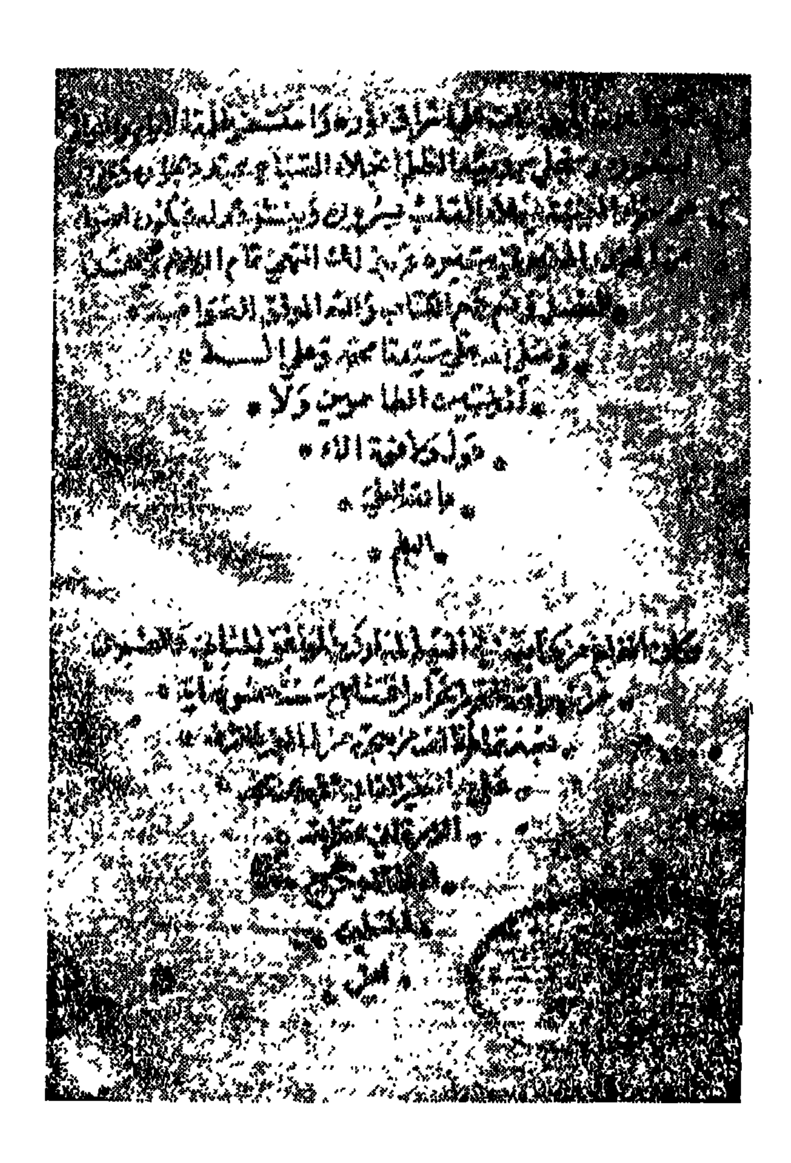
هذا وان المؤلف (رح) قد صرح في أول كتابه بموقف ذوي البصيرة الحاسرة والقلوب المريضة المهيضة منه وبما يضمره له علماء السوء من الوقيعة به والافتراء عليه والتشنيع بعقيدته ، وهو بالرغم من ذلك فقد ختم أعماله الصالحة بخدمة آل البيت الكرام (عليهم السلام) بنشره فضائلهم ومآثرهم والجهد بتفضيلهم والتعظيم لشأنهم ،وهذا هو الولاء الخالص والمودة الصادقة المحضة.لآل الرسول العظام عليهم السلام، ولمثل هذا فليعمل العاملون .

وأخيراً فقد تواترت أقوال المؤرخين على أن ولادته (رح) كانت سنة ٧٨٤ هـ ووفاته سنة ٨٥٥ هـ فيكون عمره (٧١) سنة قضاه في خدمة الإسلام والمسلمين عليه رحمه رب العالمين .

٢٧/ ٤/ ١٩٥٠   توفيق الفكيكي المحامي



صـورة الصفحة الأولى من النسخـة الخطيـة (للأب أنستـاس الكرملي) في مكتبـة دار الآثـار القديمة ـ ببغداد ـ ويرجع عهد كتابتها إلى عام ١١٠٥ وقد قوبلت هذه النسخة المطبوعة عليها



الصفحة الأخيرة من النسخة الخطية الموجودة في المكتبة المذكورة وكان الفراغ من كتابته على يد ـ محمد بن محمد الزرقاني

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف :

الحمد لله الذي جعل من صلاح هـذه الأمة نصب الإمـام العادل وأعلىٰ ذكـر من اختاره لـولايتها فهـو علي في العاجـل والآجـل ، أحمـده في البكـر والأصـائل ، واصلي على نبيـه محمد صلّى الله عليـه وآله وسلم سيـد الأواخر والأوائـل المختار من الصفـوة والأطـايب والحـال من صميم العـرب في أعلى الذوائب من هجرة مرة بن كعب بن لؤي بن غالب وعلى آله وأزواجه وأصحابه وذرياته أهل الشرف والمراتب المسطر ذكرهم في الكتاب تسطيراً المنـزل فيهم ﴿ **إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً** ﴾[1] .

(وبعــد) فعن لي أن أذكـر في هذا الكتـاب فصولاً مهمـة في معـرفـة الأئمة ، أعني الأئمة الإثني عشـر الذين أولهم أميـر المؤمنين علي المرتضى ، وآخـرهم المهدي المنتـظر ، تتضمن شيئاً من ذكـر مناقبهم الشـريفة ومـراتبهم العالية المنيفة ، ومعرفة اسمائهم وصفاتهم وآبائهم وأمهاتهم ، ومواليدهم وذكر مدة أعمارهم وأسماء حجابهم وشعرائهم خاليـاً عن الإسهاب الممـل والتقصير المخل احترازاً عن الإكثـار المسئم إلى إيجاز المفهم ، ولن يعـرف شرفـه إلا من وقف عليـه فعرفـه من عرفـه ، وعقدت لكـل إمام منهم فصلاً، يشتمل كـل

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٣٣ .

فصل على ثلاثة فصول، الأول منها في عدة فصول (الفصل الأول) منها في ذكر بحر الأطم والطود الأشم أخو الرسول وبعل البتول وسيف الله المسلول مفرق الكتائب ومظهر العجائب ليث بني غالب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، (الفصل الثاني) في ذكر ابنه الحسن (الفصل الثالث) في ذكر أخيه الحسين (الفصل الرابع) في ذكر ابنه زين العابدين علي بن الحسين (الفصل الخامس) في ذكر ابنه محمد الباقر (الفصل السادس) في ذكر ابنه جعفر الصادق (الفصل السابع) في ذكر ابنه موسى الكاظم (الفصل الثامن) في ذكر ابنه علي بن موسى الرضا (الفصل التاسع) في ذكر ابنه محمد بن علي الجواد، (الفصل العاشر) في ذكر ابنه أبي الحسن علي الهادي (الفصل الحادي عشر) في ذكر ابنه الحسن العسكري (الفصل الثاني عشر) في ذكر ابنه محمد القائم المهدي ، وسميته بالفصول المهمة في معرفة الأئمة ، أجبت في ذلك سؤال الأعزة من الأصحاب والخلص من الأخيار بعد أن جعلت ذلك لي عند الله ذخيرة ورجاء في التفكير لما اسلفته من جريرة واقترفته من صغيرة أو كبيرة ، وذلك لما اشتمل عليه هذا الكتاب في ذكر مناقب أهل البيت الشهيرة ومآثرهم الأثيرة ، ولرب ذي بصيرة قاصرة وعين من إدراك الحقائق حاسرة يتأمل ما الفته ، ويتعرض ما جمعته ولخصته فحمله طرفه المريض وقلبه المهيض إلى أن ينسبني في ذلك إلى الترفض .

حكى الشيخ الإمام العلامة المحدث بالحرم الشريف جمال الدين محمد بن يوسف الراوندي في كتابه المسمى بـ «درر السمطين في فضائل المصطفى والمرتضى والسبطين»، إن الإمام العلامة المعظم والحبر الفهامة المكرم أحد الأئمة الأعلام المتتبعين المقتدى بهم في أمور الدين ، محمد ابن إدريس الشافعي المطلبي لما صرح بمحبة أهل البيت قيل فيه ما قيل وهو السيد الجليل فقال مجيباً عن ذلك شعراً :

إذا نحن فضلنا علياً فإننا	روافض بالتفضيل عند ذوي الجهل
وفضل أبي بكر إذا ما ذكرته	رميت بنصب عند ذكري للفضل
فلا زلت ذا رفض ونصب كلاهما	بحبهما حتى أوسد في الرمل

وقال أيضاً :

قـالـوا تـرفـضـت قـلـت كـلا ... مـا الـرفض ديني ولا اعتقـادي
لـكـن تـولـيـت دون شـك ... خـيـر إمـام وخـيـر هـادي
إن كـان حب الـوصي رفـضـاً ... فـإنـنـي أرفض الـعـبـاد

وقال أيضاً :

يا راكباً قف بـالمحصب من منى ... واهتف بقـاعـد خيفهـا والنـاهض
سحراً إذا فاض الحجيج إلى منى ... فيضـاً كملتـطم الفـرات الفـائض
إن كـان رفضـاً حب آل محمـد ... فليشهـد الثـقـلان أني رافـضي

وحكى قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب السبكي في طبقاته الكبرى عن السيد الجليل والإمام الحفيل أبي محمد عبد الرحمن النسائي أحد أئمة الحديث المشهور اسمه وكتابه ، أنه لما دخل إلى دمشق وصنف بها كتاب الخصائص في فضل علي كرم الله وجهه ، انكر عليه ذلك وقيل له لم لا صنفت في فضائل الشيخين فقال دخلت إلى دمشق والمنحرف فيها عن علي كثير ، فصنفت كتاب الخصائص رجاء أن يهديهم الله تعالى ، فدفعوه في خاصرته وأخرجوه من المسجد ثم ما زالوا به حتى أخرجوه من دمشق إلى الرملة فمات بها ، قال قاضي القضاة تاج الدين السبكي المشار إليه قال : سألت شيخنا أبا عبدالله الذهبي الحافظ أيهما أحفظ مسلم بن الحجاج صاحب الصحيح أو النسائي ، فقال النسائي ثم ذكرت ذلك للشيخ الإمام الوالد فوافق عليه ، وكان ابن الحداد أحد أئمة الشافعية كثير الحديث والحفظ له ولم يحدث عن غير النسائي وقال رضيت به حجة بيني وبين الله تعالى انتهى ملخصاً . وحكى الإمام أبو بكر البيهقي في الكتاب الذي صنفه في مناقب الإمام الشافعي أن الإمام الشافعي قيل له إن أناساً لا يصبرون على سماع منقبة أو فضيلة تذكر لأهل البيت قط ، وإذا رأوا أحداً يذكر شيئاً عن ذلك قالوا تجاوزوا عن هذا فهذا رافضي فأنشأ الشافعي يقول :

إذا فـي مـجـلس ذكـروا عـليـا ... وسبـطيـه وفـاطمـة الـزكيـة

يقـال تجـاوزوا يـا قـوم عنـه ... فهـذا من حـديث الـرافضيـة
بـرئت إلى المهيمـن من أنـاس ... يـرون الـرفض حب الفـاطمية

في المباهلـة :

وهـذا أوان الشروع في المـراد وبالله التـوفيق وعليه الاعتمـاد ولا بـد أن نقدم أمام ما أردنا التكلم عليه وصرفنا قصد اهتمامنا إليه من تبيين من هم أهل البيت وأن نذكر شيئاً من فضائلهم التي لا تحصى ومناقبهم التي لا تستقصى ، فـأقول وبـالله المستعان والتـوفيق وإياه اسـأل الهدايـة إلى أقوم سبيـل وأسهـل طريق .

أهل البيت على ما ذكر المفسرون في تفسير آية المبـاهلة وعلى ما روي عن أم سلمة ، هم النبي صلّى الله عليه وآله وعلي وفاطمـة والحسن والحسين عليهم السلام أما آيـة المباهلة فهي قـوله تعـالى : ﴿ **إن مثل عيسى عنـد الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ، الحق من ربـك فلا تكن من الممترين ، فمن حاجك فيه من بعدما جآءك من العلم فقل تعالوا ندع ابنآءنا وابناءكم ونسآءنا ونسآءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنةالله على الكاذبين** ﴾(١) ، وسبب نزول هذه الآيـة أنه لمـا قدم وفـد نجران على رسـول الله صلّى الله عليه وآلـه دخلوا عليـه مسجده بعـد صلاة العصـر وعليهم ثياب الحبـرات وأردية الحـرير لابسين الحلل متختمين بخـواتم الذهب ، يقـول من رآهم من أصحـاب النبي (ص) ما رأينا مثلهم وفداً قبلهم ، وفيهم ثلاثة من أشرافهم يؤول أمرهـم اليهم ، وهم العـاقب واسمه عبـد المسيح كـان أميـر القـوم وصـاحب رأيهم وصـاحب مشورتهم لا يصدرون إلا عن رأيه ، والسيد وهو الأيهم وكان ثمـالهم وصاحب رحـابهم ومجتمعهم ، وأبو حـاتم بن علقمة وكـان أسقفهم وحبـرهم وإمـامهم

---

(١) سورة آل عمران ، الآية/ ٥٩ ـ ٦١ ، وقصة نزول الآية في مجمع البيان للطبرسي (١/ ٤٥١) وتفسيـر الكشاف للزمخشـري (مجلد ١ ص ٤٨٢) و(١/١٩٣) طبـع مصـر وأسبـاب النـزول للواحدي (ص ٧٤ ط دار الهلال بيروت) .

وصاحب مدارسهم وكان رجلاً من العرب من بني بكر بن وائل ولكنه تنصر فعظمته الروم وملوكها وشرفوه وبنوا له الكنائس وولوه وأخدموه لما علموه من صلابته في دينهم ، وقد كان يعرف أمر رسول الله (ص) وشأنه وصفته مما علمه من الكتب المتقدمة ولكنه حمله جهله على الاستمرار في النصرانية لما رأى من تعظيمه ووجاهته عند أهلها ، فتكلم رسول الله (ص) مع أبي حاتم بن علقمة والعاقب عبد المسيح وسألهما وسألاه ، ثم إن رسول الله (ص) لما تكلم مع هذين الحبرين اللذين هما العاقب وعبد المسيح دعاهما إلى الإسلام فقالوا أسلمنا ، فقال رسول الله (ص) كذبتم انه يمنعكم من الإسلام ثلاثة أشياء ، عبادتكم الصليب واكلكم الخنزير وقولكم لله ولد ، فقالوا هل رأيت ولداً بغير أب فمن أبو عيسى فانزل الله تعالى : ﴿ **إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ، الحق من ربك فلا تكونن من الممترين** ﴾ الآية فلما نزلت هذه الآية مصرحة بالمباهلة ، دعا رسول الله (ص) وفد نجران إلى المباهلة وتلا عليهم الآية ، فقالوا حتى ننظر في أمرنا ونأتيك غداً فلما خلا بعضهم ببعض قالوا للعاقب صاحب مشورتهم ما ترى من الرأي فقال والله قد عرفتم معشر النصارى أن محمداً نبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل من عند صاحبكم ، فوالله ما لاعن قوم قط نبيهم إلا هلكوا عن آخرهم فاحذروا كل الحذر أن يكون رأفة الاستئصال منكم وإن أبيتم إلا إلف دينكم والإقامة عليه فوادعوا الرجل واعطوه الجزية ثم انصرفوا إلى مقركم ، فلما أصبحوا جاءوا إلى رسول الله (ص) فخرج وهو محتضن الحسين أخذ بيد الحسن وفاطمة خلفه وعلي خلفهم وهو يقول: اللهم هؤلاء أهلي إذا أنا دعوت آمنوا ، فلما رأى وفد نجران ذلك وسمعوا قوله ، قال كبيرهم يا معشر النصارى إني لأرى وجوهاً لو سألت الله تعالى ان يزيل جبلاً لأزاله لا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني منكم إلى يوم القيامة فاقبلوا الجزية فقبلوا الجزية وانصرفوا ، فقال رسول الله (ص) والذي نفس محمد بيده ان العذاب قد نزل على أهل نجران ولو لاعنوا لمسخهم الله قردة وخنازير ولاضطرم الوادي عليهم ناراً ولاسْتأصل الله تعالى نجران وأهله حتى الطير على الشجر ولم يحل الحول على النصارى حتى هلكوا ، قال جابر بن

عبدالله،أنفسنا محمد رسول الله (ص) وعلي (عليه السلام) وأبناؤنا الحسن والحسين ونساؤنا فاطمة سلام الله عليهم أجمعين ، هكذا رواه الحاكم في مستدركه[1] عن علي بن عيسى وقال صحيح على شرط مسلم ، ورواه أبو داود الطيالسي عن شعبة عن الشعبي مرسلاً وروى عن ابن عباس والبراء نحو ذلك ، وأما ما روي عن أم سلمة زوجة النبي (ص) وآله رضي الله عنها ، فروى الإمام أحمد بن حنبل في مسنده[2] يرفعه إلى أم سلمة ، قالت بينما رسول الله (ص) في بيتي يوماً إذ قال الخادم إن علياً وفاطمة بالسدة قالت فقال لي النبي قومي تنحي عن أهل بيتي ، قالت فقمت فتنحيت في جانب البيت قريباً فدخل علي وفاطمة والحسن والحسين وهما صبيان صغيران فأخذ الحسن والحسين فوضعهما في حجره وقبلهما واعتنق علياً بإحدى يديه وفاطمة باليد الأخرىٰ وجلّلهم بخميصة[3] سوداء وقال اللهم اليك لا إلىٰ النار أنا وأهل بيتي ، قالت أم سلمة وأنا يا رسول الله فقال (ص) وأنت . وروى الواحدي في كتابه المسمى بأسباب النزول[4] يرفعه بسنده إلى أم سلمة أنها قالت كان النبي (ص) في بيتها يوماً فأتته فاطمة عليها السلام ببرمة فيها عصيدة فدخلت بها عليه ، فقال لها ادعي لي زوجك وابنيك ، فجاء علي والحسن والحسين فدخلوا وجلسوا يأكلون والنبي (ص) جالساً على دكة وتحته كساء خيبري قالت وأنا في الحجرة قريباً منهم ، فأخذ النبي (ص) عليه الكساء فغشاهم به ثم قال اللهم أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، قالت فأدخلت رأسي قلت وأنا معكم يا رسول الله قال (ص) إنك إلى خير إنك إلى خير ، فانزل الله عزَّ وجل إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً . وذكر الترمذي في صحيحه أن رسول الله (ص) كان من

---

(١) (٣/ ١٥٠) و(٢/ ٤١٦) حيدر آباد.

(٢) (١/ ٣٣١) ط. القاهرة .

(٣) الخميصة كساء أسود مربع له علمان .

(٤) (ص ٢٥١) ط . بيروت ببعض التفاوت والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ١٩٨) ـ القاهرة، والآية سورة الأحزاب ـ ٣٣ ومسند أحمد (١/ ٣٣٠) . و(٤/ ١٠٧)و(٦/ ٢٩٢، ٢٩٦، ٢٩٨، ٣٠٤، ٣٢٢)

وقت نزول هذه الآية إلى قريب من ستة أشهر إذا خرج إلى الصلاة يمر بباب فاطمة ثم يقول « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » وقال بعضهم في ذلك شعراً :

إن النبي محمد ووصيه وابنيه وابنته البتول الطاهرة
أهل العباء فإنني بولائهم أرجو السلامة والنجا في الآخرة

تنبيه :

على ذكر شيء مما جاء في فضلهم وفضل محبتهم عليهم السلام.

عن رافع مولى أبي ذر، قال: صعد أبو ذر رضي الله عنه على عتبة باب الكعبة وأخذ بحلقة الباب وأسند ظهره إليه وقال، أيّها الناس من عرفني فقد عرفني ومن أنكرني فأنا أبو ذر سمعت رسول الله (ص) يقول: أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها زج في النار وسمعت رسول الله (ص) يقول ، اجعلوا آل بيتي منكم مكان الرأس من الجسد ومكان العينين من الرأس فإن الجسد لا يهتدي إلا بالرأس ولا يهتدي الرأس إلا بالعينين ، ومن كتاب الفردوس عن عبدالله بن عمر عن النبي (ص) أنه قال ، أول من أشفع له يوم القيامة من أمتي أهل بيتي ثم الأقرب فالأقرب، وعن ابن مسعود عن النبي (ص) أنه قال : حب آل محمد يوماً واحداً خير من عبادة سنة ومن [مات] عليه دخل الجنة ، وقال (ص): أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة المكرم لذريتي والقاضي حوائجهم والساعي لهم في أمورهم عندما اضطروا إليه والمحب لهم بقلبه ولسانه،وعن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عن أبيه عن جده عليهم السلام قال قال رسول الله (ص) من أراد التوسل إلي وأن يكون له عندي يد أشفع بها يوم القيامة فليصل أهل بيتي ويدخل السرور عليهم(1).

روى ابن عباس قال سمعت رسول الله (ص) يقول بإذني وإلا صمتا:

---

(1) انظر مسند أحمد (1/77).

أنا شجرة وفاطمة حملها وعلي لقاحها والحسن والحسين ثمارها ومحبونا أهل البيت ورقها وكلنا في الجنة حقاً حقاً . وعن زيد بن أرقم أن رسول الله (ص) قال لعلي وفاطمة والحسن والحسين أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم[1] . وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله (ص) أهل بيتي والأنصار هم كرشي[2] وعيبتي اقبلوا عن محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم ، وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه قال قال رسول الله (ص) لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه ، وتكون عترتي أحب إليه من عترته ، ويكون أهلي أحب إليه من أهله ، وعن علي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله يقول:من لم يعرف حق عترتي والأنصار والعرب ، فهو لأحد ثلاث إما منافق أو لزنية وإما امرؤ حملته أمه في غير طهر. وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال قال رسول الله (ص) أوصيكم بعترتي [خيراً] وإن موعدكم الحوض ، وعن عبدالله بن زيد عن أبيه ان النبي (ص) قال ، من أحب أن ينسأ له في أجله وأن يمتع بما خوله الله تعالى ، فليخلفني في أهل بيتي خلافة حسنة فمن لم يخلفني بتر عمره[3] وورد علي يوم القيامة مسودّاً وجهه .

ومن كتاب الآل لابن خالويه ورواه أبو بكر الخوارزمي في كتاب المناقب عن بلال بن حمامة ، قال طلع علينا رسول الله (ص) ذات يوم مبتسماً ضاحكاً ووجهه مشرق كدارة القمر ، فقام إليه عبد الرحمن بن عوف فقال يا رسول الله ما هذا النور قال بشارة أتتني من ربي في أخي وابن عمي وابنتي ، فإن الله زوج عليا من فاطمة وأمر رضوان خازن الجنان فهز شجرة طوبى فحملت رقاقاً - يعني صكاكاً - بعدد محبي أهل البيت ، وأنشأ تحتها ملائكة من النور ورفع إلى كل ملك صكاً ، فإذا استوت القيامة بأهلها نادت الملائكة في الخلائق فلا يبقى محب لأهل البيت الا دفعت إليه صكاً فيه فكاكه من النار ، فصار أخي ابن عمي وابنتي فكاك رقاب رجال ونساء من من أمتي من

---

(١) مسند أحمد (٢/ ٤٤٢) والترمذي (ك ٤٦ ب٦٠).

(٢) الكرش : العيال .

(٣) بتر عمره أي قصر .

النـار . وعن أنس بن مالـك رضي الله عنه في قـوله تعـالى **﴿ مرج البحـرين يلتقيان ﴾** قال علي وفاطمة **﴿ يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ﴾**[1] قـال الحسن والحسين رواه صـاحب كتاب الـدرر عن محمد بن سيـرين في قـولـه تعـالى : **﴿ وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسبـاً وصهراً ﴾** ممـا نزلت في النبي (ص) وزوج ابنته فاطمة فكان نسباً وصهراً .

وروي عن عمـر بن الخطاب رضي الله عنـه أن رسـول الله (ص) قـام فحمد الله واثنى عليه ثم قال ، ما بال أقوام يزعمون أن قرابتي لا تنفع ان كـل سبب ونسب وصهـر منقطع يـوم القيامـة إلا سببي ونسبي وصهـري قـال عمـر « رض » فلما سمعت ذلك من رسـول الله (ص) أحببت أن يكون بيني وبينـه نسب وسبب وصهـر فخطبت إلى علي ابنتـه كلثوم من فـاطمة رضي الله عنهـا بنت محمد (ص) فزوجنيها ، (قيل) وكان ذلك في سنة سبع عشـر من الهجرة ودخل بها في ذي القعدة من السنة المذكورة وكان صداقهـا أربعين ألف درهم فولدت له زيداً أو زينباً . وروى الإمام أبـو الحسين البغوي في تفسيـره يرفعـه بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال لما نزل قـوله تعـالى قل لا أسـألكم عليه أجراً إلّا المودة في القربىٰ[2] قالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين أمرنا الله بمودتهم قال علي وفـاطمة وابنـاهما . وروى السـدي عن أبي مالـك عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى **﴿ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً﴾**[3] قال المودة لآل محمد (ص) فهؤلاء هم أهل البيت المـرتقون بتـطهيرهم إلى ذروة أوج الكمال المستحقون لتوقيرهم مراتب الإعظام والإجلال ولله در القائل إذ قال :

هم العـروة الـوثقى لمعتصم بهـا	منـاقبهم جـاءت بـوحي وانـزال
مناقب في شورى وسورة هل أتى	وفي سورة الأحزاب يعرفها التالي

---

(١) سورة الرحمن، الآية/ ١٩ و٢ .

(٢) سورة الشورى الآية / رقم ٢٠ .

(٣) سورة الشورى الآية رقم ٢٣ .

وهم آل بيت المصطفى فودادهم على الناس مفروض بحكم واسجال

وقال آخر :

هم القوم من أصفاهم الود مخلصاً يمسك في أخراه بالسبب الأقوى
هم القوم فاقوا العالمين مناقباً محاسنها تجلى وآياتها تروى
موالاتهم فرض وحبهم هدى وطاعتهم ود وودهم التقوى

الفصل الأول

في ذكر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه :

هو الإمام الأول واسم أبي طالب عبد مناف[1] واسم عبد المطلب شيبة الحمد[2] وكنيته أبو الحارث[3] وعنده يجتمع نسب علي بنسب النبي (ص) ، وكان ولد أبو طالب طالباً ولا عقب له وعقيلاً وجعفراً وعلياً وكل واحد أسن من الآخر بعشر سنين ، وأم هاني واسمها فاختة ، وأمهم جميعاً فاطمة بنت أسد، هكذا ذكر ذلك ضياء الدين أبو المؤيد موفق بن أحمد الخوارزمي في كتابه المناقب .

ولد علي عليه السلام بمكة المشرفة بداخل البيت الحرام في يوم الجمعة الثالث عشر من شهر الله الأصم رجب الفرد سنة ثلاثين من عام الفيل قبل الهجرة بثلاث وعشرين سنة، وقيل بخمس وعشرين وقبل البعث بإثنتي عشرة سنة وقيل بعشر سنين ، ولم يولد في البيت الحرام قبله أحد سواه وهي فضيلة خصَّه الله تعالى بها اجلالاً له واعلاء لمرتبته وإظهاراً لتكرمته ، وكان

---

(١) ويلقب بأبي البطحاء أيضاً لأنهم استقوا به سقياً فكنوه بذلك .

(٢) لشبيبة كانت في رأسه .

(٣) هو أخو عبدالله والد رسول الله (ص) لامه وأبيه وأمهما فاطمة بنت عمرو بن عايذ .

علي هاشمياً من هاشميين وأول من ولده هاشم مرتين

ومن كتاب المناقب لأبي العالي الفقيه المالكي روى خبراً يرفعه إلى علي بن الحسين رضي الله عنهما أنه قال كنا عند الحسين « رض » في بعض الأيام وإذا بنسوة مجتمعين فأقبلت امرأة منهن علينا فقلت لها من أنت يرحمك الله ، قالت أنا زيدة بنت العجلان من بني ساعدة ، فقلت لها هل عندك من شيء تحدثينا به ، قالت أي والله حدثتني أم عمار بنت عبادة بن فضلة بن هالك بن عجلان الساعدي أنها كانت ذات يوم في نساء من العرب ، إذ أقبل أبو طالب كئيباً حزيناً فقلت له ما شأنك قال إن فاطمة بنت أسد في شدة من الطلق ، ثم أنه أخذ بيدها وجاء بها إلى الكعبة فدخل بها وقال اجلسي على إسم الله فطلقت طلقة واحدة فولدت غلاماً نظيفاً منظفاً لم أر أحسن وجهاً منه فسماه أبو طالب علياً وقال شعراً :

سميته بعلي كي يدوم له ... عز العلو وفخر العز أدومه

وجاء النبي (ص) فحمله معه إلى منزل أمه ، قال علي بن الحسين فوالله ما سمعت بشيء حسن قط إلا وهذا من أحسنه وكان مولد علي رضي الله عنه بعد أن دخل رسول الله (ص) بخديجة رضي الله عنها بثلاث سنين ، وكان عمر رسول الله (ص) يوم ولادة علي رضي الله عنه ثماني وعشرين سنة .

فاطمة بنت أسد:

في ذكر أم علي كرم الله وجهه : (أمه) فاطمة بنت أسد[1] بن هاشم ابن عبد مناف تجتمع هي وأبو طالب في هاشم ، أسلمت وهاجرت مع النبي

---

(١) وهي أول امرأة هاجرت من مكة إلى المدينة ماشية حافية وهي أول امرأة بايعت رسول الله (ص) بمكة بعد خديجة ، وقال أهل تسير أول هاشمية ولدت خليفة هاشمياً ، ولا يعرف خليفة أبواه هاشميان سوى أمير المؤمنين عليه السلام ومحمد بن زبيدة ولد هارون الرشيد الملقب بالأمين (ابن الجوزي).

(ص) وكانت من السابقات إلى الإيمان بمنزلة الأم من النبي (ص) ، فلما ماتت كفنها النبي (ص) بقميصه وأمر أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري وعمر بن الخطاب وغلاماً أسود فحفروا قبرها فلما بلغوا لحدها حفره رسول الله (ص) بيديه وأخرج ترابه فلما فرغ اضطجع فيه وقال : الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت اللهم اغفر لأمي فاطمة بنت أسد لقنها حجتها ووسع عليها مدخلها بحق نبيك محمد والأنبياء الذين من قبلي فإنك ارحم الراحمين،فقيل يا رسول الله رأيناك وضعت شيئاً لم تكن وضعته بأحد قبلها فقال (ص) البستها قميصي لتلبس من ثياب الجنة ، واضطجعت في قبرها ليخفف عنها من ضغطة القبر ، إنها كانت من أحسن خلق الله صنعاً إلي بعد أبي طالب رضي الله عنهما ورحمهما .

في تربية النبي (ص) :

وذلك أنه لما نشأ علي بن أبي طالب (رض) وبلغ سن التمييز أصاب أهل مكة جدب شديد وقحط أجحف بذوي المروة وأضر بذوي العيال إلى الغاية ، فقال رسول الله (ص) لعمه العباس وكان من أيسر بني هاشم يا عم ان أخاك أبا طالب كثير العيال وقد أصاب الناس ما ترى فانطلق بنا إلى بيته لنخفف من عياله فتأخذ أنت رجلاً واحداً وآخذ أنا رجلاً فنكفلهما عنه . قال العباس افعل فانطلقا حتى أتيا أبا طالب فقالا إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه ، فقال لهما أبو طالب إذا تركتما لي عقيلاً وطالباً فاصنعا ما شئتما، فأخذ رسول الله (ص) علياً وضمه إليه، وأخذ العباس جعفراً فضمه إليه فلم يزل علي مع رسول الله (ص) حتى بعث الله عزّ وجلّ محمداً نبياً ، فاتبعه علي عليه السلام وآمن به وصدقه وكان عمره إذ ذاك في السنة الثالثة عشرة من عمره لم يبلغ الحلم وقيل غير ذلك . وأكثر الأقوال وأشهرها أنه لم يبلغ الحلم وأنه أول من أسلم وآمن برسول الله (ص) من الذكور بعد خديجة . قاله الثعالبي في تفسير قوله تعالى : ﴿ **والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار** ﴾[1] وهو قول ابن عباس وجابر بن عبدالله

---

(١) سورة التوبة آية ١٠٠ . وتفصيل ذلك في مناقب ابن شهر اشوب ج ٢ ص ٤ .

الأنصاري وزيد بن أرقم ومحمد بن المنكدر وربيعة المرائي ، وقد أشار علي بن أبي طالب كرم الله وجهه إلى شيء من ذلك في أبيات قالها رواها عنه الثقاة الأثبات وهي هذه الأبيات :

محمد النبي أخي وصنوي ... وحمزة سيد الشهداء عمي
وبنت محمد سكني وعرسي ... منوط لحمهابدمي ولحمي
سبقتكم إلى الإسلام طفلاً ... صغيراً ما بلغت أوان حلمي
فويل ثم ويل ثم ويل ... لمن يلقى الإلٓه غداً بظلمي[1]

رباه النبي (ص) وأزلفه وهداه إلى مكارم الأخلاق والفقه ، وكان رسول الله (ص) قبل بدو أمره إذا أراد الصلاة خرج إلى شعاب مكة مستخفياً واخرج علياً معه فيصليان ما شاء الله فإذا قضيا رجعا إلى مكانهما[2] . ونقل يحيى بن عفيف الكندي قال حدثني أبي قال كنت جالساً مع العباس بن عبد

---

(١) قال محمد بن طلحة في مطالب السؤل ما قاله المصنف في تربية النبي (ص) لعلي باختلاف ما في عبارته وقال بعد هذه الأبيات التي قالها المصنف أيضاً ونقل عن جابر بن عبدالله (رض) قال سمعت علياً (عليه السلام) ينشد ورسول الله (ص) يسمع :

أنا أخو المصطفى لا شك في نسبي ... به ربيت وسبطاه هما ولدي
جدي وجد رسول الله منفرد ... وفاطم زوجتي لا قول ذي فند
صدقته وجميع الناس في بهم ... من الضلالة والاشراك والنكد

قال فتبسم رسول الله (ص) فقال صدقت يا علي .

(٢) وقال محمد بن طلحة الشافعي في كتابه « مطالب السؤل » بعد ذلك : فمكثا يصليان على استخفاء من أبي طالب وسائر عمومتهما وقومهما ثم أن أبا طالب مر عليهما فقال لرسول الله (ص) ما هذا الذي أراك تدين به ، قال هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله ودين أبينا إبراهيم بعثني الله به نبياً إلى العباد ، وأنت يا عم أحق من أبديت له النصيحة ودعوته إلى الهدى واحق من أجابني اليه وأعانني عليه ، وقال علي (عليه السلام) قد آمنت برسول الله واتبعته وصليت معه لله ، فقال له : يا بني أما أنه لم يدعك إلا إلى الخير فالزمه .

والذي يختلج ببالي أن هذه العبارات سقطت هنا سهواً من الكاتب لا ان ينسب إلى عدم اعتناء المصنف لبعض فقراته الموهنة فإن مذهبهما واحد وهما من شجرة واحدة .

المطلب بمكة بالمسجد قبل أن يظهر أمر رسول الله (ص) فجاء شاب فنظر إلى السماء حين حلقت الشمس ثم استقبل الكعبة فقام يصلي ، فجاء غلام فقام عن يمينه ، ثم جاءت امرأة فقامت خلفهما ، فركع الشاب فركع الغلام والمرأة ثم رفع فرفعا ثم سجد فسجدا ، فقلت يا عباس أمر عظيم فقال العباس أتعرف هذا الشاب ، فقلت لا ، فقال هذا محمد بن عبدالله بن عبد المطلب ابن أخي ، اتدري من هذا الغلام هذا علي بن أبي طالب ابن أخي ، اتدري من هذه المرأة هذه خديجة بنت خويلد ، إن ابن أخي هذا حدثني ان ربه رب السموات والأرض أمره بهذا الدين وهو عليه [وإيم] الله [ما] على ظهر الأرض اليوم على هذا الدين غير هؤلاء ، وكان عفيف يقول لي بعد أن أسلم ورسخ في الإسلام ليتني كنت رابعاً لهم[1].

علوم أمير المؤمنين (عليه السلام) :

فمنها علم الفقه الذي هو مرجع الأحكام ومنبع الحلال والحرام ، فقد كان علي عليه السلام مطلعاً على غوامض أحكامه ، منقاداً له جامحاً بزمامه ، مشهوداً له فيه بعلو محله ومقامه ، ولهذا خصه رسول الله (ص) بعلم القضاء كما نقله الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي رحمة الله عليه في كتابه المصابيح مروياً عن أنس بن مالك أن رسول الله (ص) خصص جماعة من الصحابة كل واحد بفضيلة : خصص علياً بعلم القضاء فقال واقضاكم علي (ومن ذلك) أن النبي (ص) كان جالساً في المسجد وعنده أناس من الصحابة إذ جاءه (ص) رجلان يختصمان فقال أحدهما يا رسول الله إن لي حماراً ولهذا بقرة وإن بقرته نطحت حماري فقتلته فبدر رجل من الحاضرين فقال لا ضمان على البهائم فقال رسول الله (ص) اقض بينهما يا علي فقال لهما علي كرم الله وجهه ، أكان الحمار والبقرة موثقين أم مرسلين أم أحدهما موثقاً والآخر مرسلاً ، فقالا كان الحمار موثقاً والبقرة مرسلة وكان صاحبها معها

---

(١) مجمع البيان للطبرسي (٥/ ٦٥) عن تفسير الثعلبي بتفاوت يسير .

فقـال علي صاحب[1] البقرة الضمان وذلك بحضرة النبي (ص) فقـرر (ص) حكمه وأمضى قضاءه .

ومن ذلك ما يروى أن رجلاً أتي به إلى عمر بن الخـطاب (رض) وكان صدر منه أنه قال لجماعة من النـاس وقد سـألوه كيف أصبحت قـال أصبحت أحب الفتنة واكره الحق وأصدق اليهود والنصارى وأؤمن بما لـم أره وأقر بما لـم يخلق، فـرفع إلى عمـر (رض) فارسـل إلى علي كرم الله وجهـه فلمـا جـاءه أخبره بمقالة الرجـل قال صـدق يحب الفتنة قـال الله تعالى : ﴿ **إنمـا أموالكم وأولادكم فتنـة** ﴾[2] ويكره الحق المـوت قال الله تعـالى : ﴿ **وجـاءت سكـرة الموت بالحق** ﴾[3] ويصدق اليهود والنصارى قال الله تعالى : ﴿ **وقالـت اليهـود ليست النصـارى على شيء وقـالت النصـارى ليست اليهـود على شيء** ﴾[4] ويؤمن بما لم يره يؤمن بالله عزّ وجـلّ ، ويقر بمـا لـم يخلق يعني السـاعـة فقال عمر (رض) أعوذ من معضلة لا علي لها .

وقـال سعيد بن المسيب كـان عمـر يقـول اللهم لا تبقيني لمعضلة ليس فيها أبو الحسن ، وقال (رض) مرة لولا علي لهلك عمر[5] .

ومن ذلـك أنه عليـه السلام وقعت لـه واقـعـة حـار علمـاء عصـره في حكمهـا وهي أن رجلاً تـزوج بخنثى ولهـا فـرج كفـرج الـرجـال وفـرج كفـرج النساء ، وأصدقها جارية كانت له ودخل بها فحملت منه الخنثى وجاءته بولد ، ثم إن الخنثى وطأت الجارية التي أصدقهـا زوجها فحملت منهـا وجاءت بـولد فـاشتهرت قصتهمـا ورفع أمـرهما إلى أميـر المؤمنين علي بن أبي طالب عليـه السلام ، فسأل عن حـال الخنثى فأخبـر أنها تحيض وتـطأ وتوطـأ من الجانبين وقد حبلت وأحبلت ، فصار الناس متحيري الأفهـام في جوابهـا وكيف الطريق حكم قضائها وفصل خطابهـا فاستـدعى أمير المؤمنين يـرفا وقنبـراً وأمرهـمـا أن

(١) مصـابيح السنـة (٢/ ٢٠٣) مصر . وابن وكيع في أخبار القضـاة ج ١ ص ٨٤ باب ذكـر قضـاة رسول الله (ص).

(٢ ، ٣، ٤ ،) ١٥ التغابن و ١٩ سورة ق و١١٣ سورة البقـرة.

(٥) صحيح البخاري كتاب المحاربين باب لا يرجم المجنون وسنن أبي داود (٢/ ٢٢٧).

يعدا اضلاع الخنثى من الجانبين وينظرا فإن كانت متساوية فهي امرأة ، وإن كان الجانب الأيسر نقص من أضلاع الجانب الأيمن بضلع واحد فهو رجل ، فدخلا علي الخنثى كما أمرهما أمير المؤمنين عليه السلام وعدا أضلاعها من الجانبين فوجدا أضلاع الجانب الأيسر تنقص عن أضلاع الجانب الأيمن بضلع فأخبراه بذلك وشهدا عنده به ، فحكم على الخنثى بأنها رجل وفرق بينها وبين زوجها ، ودليل ذلك أن الله تعالى لما خلق آدم عليه السلام وحيداً أراد سبحانه وتعالى لإحسانه إليه ولخفي حكمته فيه أن يجعل له زوجاً من جنسه ليسكن كل واحد منهما إلى صاحبه ، فلما نام آدم عليه السلام خلق الله تعالى من ضلعه القصير من جانبه الأيسر حواء فانتبه فوجدها جالسة إلى جانبه كأحسن ما يكون من الصور ، فلذلك صار الرجل ناقصاً من جانبه الأيسر على المرأة بضلع واحد والمرأة كاملة الأضلاع من الجانبين ، والأضلاع الكاملة من الجانبين أربعة وعشرون ضلعاً في كل جانب إثنا عشر ضلعاً ، وهذا في المرأة وأما الرجل فثلاثة وعشرين ضلعاً اثنا عشر من اليمين وأحد عشر من اليسار ، وباعتبار هذه الحالة قيل للمرأة ضلع أعوج وقد صرح النبي (ص) على مصدر بأن المرأة خلقت من ضلع أعوج إن ذهبت تقيمها كسرتها وإن تركتها استمتعت بها على عوج وقد نظم بعض الأدباء فقال :

هي الضلع للعرجاء لست تقيمها ... ألا إنَّ تقويم الضلوع انكسارها
أتجمع ضعفاً واقتداراً على الفتى ... أليس عجيباً ضعفها واقتدارها

فانظر رحمك الله إلى استخراج أمير المؤمنين علي عليه السلام بنور علمه وثاقب فهمه ما أوضح به سبيل السداد وطريق الرشاد وأظهر به جانب الذكر على الأنوثة من مادة الإيجاد ، وحصلت له هذه المنة الكاملة والنعمة الشاملة بملاحظة النبي له وتربيته وحنوه [عليه] وشفقته فاستعد لقبول الأنوار وتهيأ لفيض العلوم والأسرار ، فصارت الحكمة من ألفاظه ملتقطة والعلوم الظاهرة والباطنة بفؤاده مرتبطة ، لم تزل بحار العلوم تتفجر من صدره ويطغى عليها حتى قال (ص) : « أنا مدينة [العلم] وعلي بابها »[1] .

(1) « انا مدينه العلم وعلي بابها » الطبراني في الكبير عن ابن عباس وص ١٠٧ من الجامع الصغير

محبة الله تعالى ورسوله (ص):

وذلك أنه صح النقل في كتب الأحـاديث الصحيحة والأخبـار الصريحـة عن أنس بن مالك (رض) قال أهدي إلى النبي (ص) طير يسمى الحجل وفي رواية ما رواه الأحباري فقال اللهم ائتني بأحب الخلق إليك يأكل معي من هذا الطير فجاء علي فحجبته ، وقلت أن رسول الله (ص) مشغول رجاء أن تكون الدعوة لرجل من قومي ، ثم جاء علي ثانية فحجبته ثم جاء الثالثة فقـرع الباب فقـال النبي (ص) أدخله فقد عينتـه ، فلما دخـل قال النبي مـا حبسـك عني يرحمك الله ، فقال هذا آخر ثلاث مـرات وأنس يقول أنـك مشغول ، فقـال يا أنس مـا حملك على ذلك قـال سمعت دعوتـك فأحببت أن يكـون لرجـل من قومي فقال (ص) لا يلام الرجل على حبه لقومه . رواه الترمذي[1] .

حديث يوم خيبـر:

وفي صحيح البخاري ومسلم وغيرهما من الصحاح ان النبي (ص) قال يوم خيبر لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبـه الله ورسوله ، فبـات الناس يخـوضون ليلتهم أيهم يعـطاها فلمـا أصبح النـاس غـدوا على رسول الله (ص)، كـل منهم يرجـو أن يعـطاهـا فقـال رسـول الله (ص) أين علي بن أبي طالب ، فقيل يـا رسول الله إنـه أرمد ، قـال فارسلوا إليه فأتى به فبصق في عينه ودعا له فبرىء حتى لم يكن به وجع ، فأعطاه الرايـة فقال علي كرم الله وجهـه يا رسـول الله أقاتلهم حتى يكـونوا مثلنـا ، قال انفـذ على رسلك حتى تنـزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسـلام واخبـرهم بمـا يجب

للسيـوطي والحاكم في منـاقب علي ٢٢٦ وكتاب فتـح الملك العلي بصحة حـديث باب مـدينة العلم علي (ط. ١٣٥٤ مصر) وفي سنن الترمـذي كتاب المنـاقب باب ٢٠ « أنـا دار الحكمة وعلي بابها » وفي آمالي الطوسي ص ٣١٥ أنا مدينة الجنة وأنت بابها و« أنا مدينـة العلم » ص ٥٨٨ منه .

(١) حديث الطائر المشوي : الترمذي (١٣/ ١٧٠) كتـاب المناقب بـاب ٢٠ ، مستدرك الحـاكم وتلخيصه للذهبي (٣/ ١٣٠).

عليهم فيه ، فوالله لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم قال فمضى وفتح الله على يديه[1] .

وفي ذلك يقول حسان بن ثابت (رض) في مدحه :

وكان علي أرمد العين يبتغي	دواء فلما لم يحس مداويا
شفاه رسول الله منه بتفلة	فبورك مرقياً وبورك راقيا
وقال سأعطي راية القوم فارساً	كميّاً شجاعاً في الحروب مجارياً
يحب الهاً والإلّه محبه	به يفتح الله الحصون الأوابيا
فخص لها دون البرية كلهم	علياً وسماه الولي المؤاخيا

وفي صحيح مسلم قال عمر بن الخطاب (رض) فما أحببت الإمارة إلا يومئذٍ فتساورت لها وحرصت عليها حتى أبديت وجهي وتصديت لذلك ليتذكرني ، قالوا وإنما كانت محبة عمر لها لما دلت عليه من محبته لله ورسوله « ص » ومحبتهما له والفتح على يديه ، قاله الشيخ عبدالله بن أسعد اليافعي في كتابه المرهم[1] .

مؤاخاته لرسول الله (ص) وسبب تسميته بأبي تراب :

في مؤاخاة رسول الله (ص) له وسبب تسميته بأبي تراب وغير ذلك مما خص بها من المزايا العلية الواردة في الأحاديث الصحيحة الجلية . فمن ذلك ما رواه الترمذي في صحيحه بسنده عن عبدالله بن عمر « «رض » أنه قال لما آخى رسول الله « ص » بين صحابته رضي الله عنهم جاءه علي كرم الله وجهه وعيناه تدمعان ، فقال يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تواخ بيني وبين أحد ، فسمعت رسول الله (ص) يقول أنت أخي في الدنيا والآخرة .

---

(١) يوم خيبر وشفاؤه بدعاء النبي (ص) صحيح البخاري ك. الجهاد والسير باب ١٠٢ و ١٤٣ و١٢١ وكتاب فضائل اصحاب النبي (ص) باب ٩ وكتاب المغازي باب ٣٨ والمفيد في الأمالي ٥٦ وآمالي الطوسي ١٧٤ و٣١٣ و٣٩٠ وتفسير الرازي (١٢/ ٢٠) ط. البهية بمصر وكنز العمال (٥/ ٤٢٨) ومستدرك الحاكم (٣/ ١٣٢).

ومن مناقب ضياء الدين الخوارزمي عن ابن عباس «رض» قال : لما آخى رسول الله « ص » بين أصحابه من المهاجرين والأنصار وهو أنه « ص » آخى بين أبي بكر وعمر « رض » وآخى بين عثمان وعبد الرحمن بن عوف ، وآخى بين طلحة والزبير ، وآخى بين أبي ذر الغفاري والمقداد رضوان الله عليهم أجمعين ، ولم يواخ بين علي بن أبي طالب وبين أحد منهم ، خرج عليٌ مغضباً حتى أتى جدولاً من الأرض وتوسد ذراعه ونام فيه تسفي الريح عليه ، فطلبه النبي « ص » فوجده على تلك الصفة فوكزه برجله وقال له قم فما صلحت أن تكون إلا أبا تراب أغضِبْت حين آخيت بين المهاجرين والأنصار ولم أؤاخ بينك وبين أحد منهم ، أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ، ألا من أحبك فقد حف بالأمن والإيمان ومن أبغضك أماته الله ميته جاهلية؛ وفي صحيح البخاري عن أبي حازم أنْ رجلاً جاء إلى سهل بن سعد فقال هذا فلان أمير المدينة يدعو علياً عند المنبر يقول له أبو تراب ، فضحك فقال والله ما سماه بهذا الإسم إلا النبي (ص) وما كان اسم أحب إليه منه(الحديث)قال فيه فقلت يا أبا عباس كيف كان ذلك ، قال دخل علي على فاطمة ثم خرج واضطجع في المسجد فجاءها النبي (ص) فقال اين ابن عمك قالت في المسجد ، فخرج إليه فوجد رداءه قد سقط عن ظهره وخلص التراب إلى ظهره.فجعل يمسح عن ظهره ويقول اجلس يا أبا تراب(مرتين) .

وفي صحيح مسلم نحوه عن سهل بن سعد ، وقال فيه جاء رسول الله (ص) إلى بيت فاطمة فلم يجد علياً في البيت فقال اين ابن عمك فقالت كانت بيني وبينه شيء فغاضبني فخرج فلم يقل عندي ، فقال رسول الله (ص) لإنسان أنظر أين هو فجاء.فقال يا رسول الله هو في المسجد راقد فجاءه رسول الله (ص) وهو مضطجع وقد سقط رداؤه عن شقه فأصابه تراب فجعل رسول الله (ص) يمسحه عنه ويقول قم يا أبا تراب ، قم يا أبا تراب وهذا بعض الحديث ، قوله خرج ولم يقل عندي ، هو بفتح الياء وكسر القاف من القيلولة وهي النوم نصف النهار ، قال العلماء وفيه جواز النوم في المسجد

واستحباب ملاحظة ملاطفة الغضبان وممازحته والمشي إليه لاسترضائه[1].

وفي صحيح البخاري عن سعد بن أبي وقاص (رض) قال قال النبي (ص) لعلي كرم الله وجهه أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى.

وفي صحيح مسلم قال فيه وخلف رسول الله (ص) علي بن أبي طالب في غزوة تبوك، فقال يا رسول الله تخلفني في النساء والصبيان فقال أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانبي بعدى[2]

ومما رواه الترمذي أنه (ص) انتجى علياً يوم الطائف فقال الناس لقد طال نجوه مع ابن عمه فقال (ص) ما انتجيته ولكن الله انتجاه[3]

وروى الترمذي أنه (ص) بعث ببراءة أو قال سورة التوبة مع أبي بكر ثم دعاه فقال لا ينبغي لأحد أن يبلغ عني إلا رجل هو من أهل بيتي أو قال لا يذهب بها إلا رجل هو مني وأنا منه فدعا علياً فأعطاه إياها[4].

وروى الترمذي أيضاً عن زيد بن أرقم قال قال رسول الله (ص) من

---

(1) « بسبب تسميته بأبي تراب » صحيح البخاري كتاب الصلاة باب ٥٨ وكتاب فضائل أصحاب النبي (ص) باب ٩ وك. الأدب ب ١١٣ وك. الاستئذان ب ٤٠ ومسلم كتاب فضائل الصحابة ج ٣٨ ومسند أحمد (٤/ ٢٦٣).

(2) صحيح البخاري كتاب فضائل أصحاب النبي (ص) باب ٩ وكتاب المغازي باب ٧٨ (٣/ ٥٤ و ٢/ ١٨٥) وصحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة ج ٣٠- ٣٣ (١/ ٩٨ و١١١٨ و١١٩) والترمذي وابن ماجه وطبقات ابن سعد ومسند أحمد (١/ ١٧٠، ١٧٣، ١٧٤....) ومسند الطيالسي ح ٢٠٤ و٢٠٩ و٢١٣... وآمالي الشيخ المفيد ص ٥٧ وآمالي الطوسي ٢٣٢ و٢٥٨ و٣١٣ الخ...

(3) أمالي الطوسي ٢٦٦.

(4) الترمذي (٢/ ٤٦١) ك. تفسير القرآن سورة ٩ ج ٥ - وطبقات ابن سعد (ج ٢ قسم ١ ص ١٢١٠) ومسند أحمد (١/ ٣ و١٥٠ و١٥١) و(٢/ ٢٩٩) و(٣/ ٢١٢ و٢٨٣) وسيرة ابن هشام ص ٩١٩. ومغازي الواقدي ص ٤١٦ وآمالي المفيد ٥٦.

كنت مولاه فعليٌّ مولاه[1] هذا اللفظ بمجرده ، ورواه الترمذي ولم يزد عليه ، وزاد غيره وهو الزهري ذكر اليوم والزمان والمكان ، قال لما حج رسول الله (ص) حجة الوداع وعاد قاصداً المدينة قام بغدير خم وهو ماء بين مكة والمدينة ، وذلك في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة الحرام وقت الهاجرة فقال أيها الناس إني مسؤول وأنتم مسؤولون هل بلغت ، قالوا نشهد أنك قد بلغت ونصحت ، قال وأنا أشهد أني قد بلغت ونصحت ، ثم قال أيها الناس اليس تشهدون أن لا إلّه إلاّ الله وأني رسول الله ، قالوا نشهد أن لا إلّه إلاّ الله وأنك رسول الله ، قال وأنا أشهد مثل ما شهدتم ، ثم قال أيها الناس قد خلفت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وأهل بيتي ، ألا وإن اللطيف أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض ، حوضي ما بين بصرى وصنعاء عدد آنيته عدد النجوم ،إن الله مسائلكم كيف خلفتموني في كتابه وأهل بيتي ، ثم قال أيها الناس من أولى الناس بالمؤمنين قالوا الله ورسوله أعلم قال إن أولىٰ الناس بالمؤمنين أهل بيتي قال ذلك ثلاث مرات ، ثم قال في الرابعة وأخذ بيد علي اللهم فمن كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه يقولها ثلاث مرات ألا فليبلغ الشاهد الغائب .

حديث براءة وغدير خم وحديث الثقلين :

وروى الإمام أحمد بن حنبل في مسنده عن البراء بن عازب قال كنا مع النبي (ص) في سفر فنزلنا بغدير خم فنودي فينا الصلاة جامعة وكسح لرسول الله (ص) تحت شجرتين فصلى الظهر وأخذ بيد علي فقال : الستم تعلمون اني أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، قالوا بلى ، قال الستم تعلمون إني أولى بكل مؤمن من نفسه ، قالوا بلى ، فقال اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، فلقيه عمر بن الخطاب بعد ذلك فقال له هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولىٰ كل مؤمن ومؤمنة .

---

(١) مسند أحمد (١/ ٨٤ و١١٨) و(٤/ ٢٨١ و٣٦٨ . . .) و(٥/٣٤٧، ٣٥٠. . .) والترمذي (٢/ ٢٩٧) وآمالي الطوسي ٢٣١ و٢٥٢ و٢٦٠ و٢٦١ و٣٥٣ طبع بيروت .

وروى الحافظ أبو بكر بن أحمد بن الحسين البيهقي رحمة الله عليه أيضاً هذا الحديث بلفظه مرفوعاً إلى البراء بن عازب .

وروى الحافظ أبو الفتوح أسعد بن أبي الفضايل بن خلف العجلي في كتابه الموجز في فضل الخلفاء الأربعة (رض) يرفعه بسنده إلى حذيفة بن أسيد الغفاري وعامر بن ليلى بن ضمرة ، قال لما صدر رسول الله (ص) من حجه الوداع ولم يحج غيرها أقبل ، حتى إذا كان بالجحفة نهى عن سمرات متغاديات بالبطحاء ان لا ينزل تحتهن أحد ، حتى إذا أخذ القوم منازلهم أرسل إفأقام تحتهن حتى إذا نودي بالصلاة صلاة الظهر عمد اليهن فصلّى بالناس تحتهن ، وذلك يوم غدير خم بعد فراغه من الصلاة قال : أيها الناس إنه قد نبأني اللطيف الخبير أنه لم يعمّر نبي إلا نصف عمر النبي الذي كان قبله ، وإني لأظن بأني أدعى وأجيب وأني مسؤول وأنتم مسؤولون هل بلغت فما أنتم قائلون ، قالوا نقول قد بلغت وجهدت ونصحت وجزاك الله خيراً ، قال الستم تشهدون أن لا إله إلاّ الله وأنَّ محمداً عبده ورسوله وأن جنته حق وأن ناره حق والبعث بعد الموت حق ، قالوا اللهم اشهد ، ثم قال أيها الناس ألا تسمعون ألا فإن الله مولاي وأنا أولى بكم من أنفسكم ألا ومن كنت مولاه فعلي مولاه وأخذ بيد علي فرفعها حتى نظر القوم ، ثم قال اللهم وال من والاه وعاد من عاداه .

في قوله تعالى : سأل سائل بعذاب واقع . . . :

ونقل الإمام أبو اسحق الثعلبي (ره) في تفسيره أن سفيان بن عتبة سئل عن قول الله عزّ وجل: ﴿سأل سائل بعذاب واقع﴾[1]، فيمن نزلت فقال للسائل لقد سألتني عن مسألة ما سألني عنها أحد قبلك ، حدثني أبي عن جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام ، أن رسول الله (ص) لما كان بغدير خم ، نادى الناس فاجتمعوا فأخذ بيد علي وقال من كنت مولاه فعلي مولاه ،

---

(١) المعارج ـ مجمع البيان للطبرسي (٩/ ٣٥٢) بإسناده عن الإمام الصادق (عليه السلام) .

فشاع ذلك في أقطار البلاد ، وبلغ ذلك الحارث بن النعمان الفهري فأتى رسول الله على ناقته فأناخ راحلته ونزل عنها ، وقال يا محمد أمرتنا عن الله عز وجل أن نشهد أن لا إله إلاّ الله وأنك رسول الله فقبلناه منك ، وأمرتنا أن نصلي خمساً فقبلناه ، وأمرتنا أن نصوم رمضان فقبلناه ، وأمرتنا بالحج فقبلناه ، ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمك تفضله علينا ، فقلت من كنت مولاه فعلي مولاه ، فهذا شيء منك أم من الله عزّ وجل ، فقال النبي (ص) والذي لا إله إلاّ هو ، إن هذا من الله عزّ وجل ، فولى الحارث بن النعمان يريد راحلته وهو يقول اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً فامطر علينا حجارة من السماء أو آتنا بعذاب أليم فما وصل إلى راحلته حتى رماه الله عزّ وجل بحجر سقط على هامته فخرج من دبره فقتله ، فأنزل الله عزّ وجل : **﴿ سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذي المعارج ﴾** .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال عممني رسول (ص) يوم غدير خم بعمامة فسدل يمرقها على منكبي وقال إن الله تعالى امدني يوم بدر وحنين بملائكة معتمين هذه العمة .

وروى الإمام أبو الحسن الواحدي في كتابه المسمى بأسباب النزول يرفعه بسنده إلى أبي سعيد الخدري (رض) قال نزلت هذه الآية **﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ﴾**[1] يوم غدير خم في علي بن أبي طالب وقوله بغدير خم هو بضم الخاء المعجمة ، وتشديد الميم مع التنوين اسم لغيظة على ثلاثة أميال من الجحفة عندها غدير مشهور يضاف إلى الغيظة . فيقال غدير خم هكذا ذكره الشيخ محي الدين النووي .

بيان معنى لفظ « مولى » :

على معاني الكلمات في هذا الفصل : منها قوله (ص) من كنت مولاه فعلي مولاه ، قال العلماء لفظة المولى مستعملة بازاء معان متعددة وقد ورد

(١) سورة المائدة الآية ٦٧ ، أسباب النزول للواحدي ص ١٣٩ ط . دار الهلال بيروت.

القرآن العظيم بها فتارة يكون بمعنى أولى قال الله تعالى في حق المنافقين : ﴿ مأواكم النار هي مولاكم ﴾[1] معناه أولى بكم ، وتارة بمعنى الناصر قال الله تعالى : ﴿ ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم ﴾[2] معناه أن الله ناصر الذين آمنوا وأن الكافرين لا ناصر لهم[3] ، وتارة بمعنى الوارث قال الله تعالى : ﴿ ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والأقربون﴾[4] معناه وارثاً ، وتارة بمعنى العصبة قال الله تعالى : ﴿ وإني خفت الموالي من ورائي ﴾[5] معناه عصبتي وتارة بمعنى الصديق قال الله تعالى : ﴿ يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً ﴾[6] معناه حميم عن حميم وصديق عن صديق ، وتارة بمعنى السيد والمعتق وهو ظاهر . وإن كانت واردة لهذه المعاني فيكون معنى الحديث من كنت ناصره أو حميمه أو صديقه فإن علياً يكون كذلك . ومنها قوله (ص) : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي » فلا بد أولاً من كشف سر المنزلة التي لهارون من موسى : وذلك أن القرآن المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه نطق بأن موسى عليه السلام سأل ربه عز وجل فقال : ﴿ واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي أشدد به ازري وأشركه في أمري ﴾[7] وأن الله عزّ وجل أجابه إلى مسؤوله وأجناه من شجرة دعائه ثمرة سؤله فقال عزّ من قائل : ﴿ قد أوتيت سؤلك يا موسى ﴾[8] وقال عزّ وجل : ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً ﴾[9] وقال تعالى : ﴿ سنشد عضدك بأخيك ﴾[10]فظهر أن منزلة هارون من موسى ، منزلة الوزير ، والوزير مشتق من أحد معان ثلاثة ، أحدها من الوزر بكسر الواو وتسكين الزاي وهو الثقل ، فكونه وزيراً له يحمل عنه أثقاله ويخففها ، ثانيها من الوزر بفتح الواو

(١ و٢) سورة الحديد الآية ٥ وسورة محمد الآية ١١ .

(٣) إشارة الى آية ١٣ من سورة محمد ﴿ أهلكناهم فلا ناصر لهم ﴾ .

(٤ و ٥ و ٦) سورة النساء الآية ٣٣ وسورة مريم الآية ٥ وسورة الدخان الآية ٤١ .

(٧ و ٨) سورة طه الآية ٢٩ و٣٦ .

(٩) (١٠) سورة الفرقان الآية ٣٥ ، وسورة القصص الآية ٣٥ .

والزاي وهو المرجع والملجأ ومنه قوله تعالى : ﴿ كلالا وزر ﴾[1] وكأن الوزير المرجوع إلى رأيه ومعرفته والمرجع إلى الاستعانة به ، والمعنى الثالث من الأزر وهو الظهر كما يقوى البدن ويشتد به ، وكانت منزلة هارون من موسى أنه يشد أزره ويعاضده ويحمل عنه أثقاله ، أي أثقال بني إسرائيل بقدر استطاعته ـ فتلخص أن منزلة هارون من موسى صلوات الله عليهما أنه كان أخاه، ووزيره وعضده في النبوة وخليفته على قومه عند سفره، وقد جعل رسول الله (ص) علياً منه بهذه المنزلة إلاَّ النبوة ، فإنه (ص) استثناها بقوله غير أنه لا نبي بعدي فعلي أخوه ووزيره وعضده وخليفته على أهله عند سفره إلى تبوك .
ومنها الأخوة وحقيقتها بين الشخصين كونهما مخلوقين من أصل واحد وهذه الحقيقة منتفية ها هنا ، فإن النبي (ص) أبوه عبدالله وآمنة وعلي أبوه أبو طالب وأمه فاطمة بنت أسد ، فتعين صرف حقيقة الأخوة إلى لوازمها ومن لوازمها المناصرة والمعاضدة والإشفاق وتحمل المشاق والمحبة والمودة ، فمعنى قوله أنت أخي في الدنيا والآخرة ، إني ناصرك وعضدك ومشفق عليك ومعتز بك ، وقد أشار (ص) إلى كون المناصر من لوازم الأخوة بقوله (ص) في الحديث الصحيح انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً فقال السامع انصره مظلوماً فكيف انصره ظالماً فقال تمنعه من الظلم فذلك نصرك إياه . فجعل النبي (ص) النصرة من لوازم الأخوة .

في ذكر شيء من شجاعته :

كانت ظاهرة على أعطافه مشهورة معروفة من نعومته وأوصافه وأول ذلك أن النبي (ص) لما بايع طائفة من الأنصار بيعة العقبة الأولى وكانوا ستة أنفس منهم بشير بن سعد ، وحارثة بن النعمان ، وسعد بن عبادة الصامت ، وعبدالله بن رواحة ، فلما كان في العام القابل اقبل أولئك الستة ومعهم ستة آخرون ، منهم بشير بن زيد ، والبراء بن معرور ، وعبدالله بن أنيس ، وسهل ابن زيد ، وعبادة بن الصامت ، والهيثم ، فلقوا النبي (ص) عند العقبة

(١) سورة القيامة الآية ١١ .

ويـايعوه على أنهم لا يشـركون بـالله شيئاً ولا يسـرقـون ولا يـزنـون ولا يقتلون النفس التي حـرم الله إلا بـالحق ، ولا يـأتـون ببهتـان يفتـرونـه بين أيـديهم وأرجلهم ، ولا يعصـونه في معـروف ، فقالـوا يـا رسول الله إن تـركنا من هـذه الشرائع واحدة ماذا يكون ، فقال النبي يكون الأمر في ذلـك إلى الله عزّ وجـلّ إن شاء عفى وإن شاء عذب ، فقالوا رضينا يا رسول الله فابعث معنا رجـلاً من أصحابك يقرأ علينا القرآن ويعلمنا شرائع الإسلام ، فبعث معهم النبي (ص) مصعب بن عمـرو بن هاشم ليقـرئهم القرآن ويعلمهم شـرائع الإسـلام والناس يؤمنون الواحد بعد الواحد ، والرجل بعد الرجل ، والمرأة بعـد المرأة ، فلمـا كان في العام الثالث ، وهي البيعة الأخيرة التي بايعه فيها منهم ثلاثة وسبعـون رجلاً وامرأتان ، بايعوا رسول الله (ص) على أن يمنعوه مما يمنعـون نساءهم وأبناءهم وأنفسهم فاختار رسول الله (ص) منهم اثني عشر نقيباً وانصرفوا إلى المدينة فصار كلما اشتد البلاء على المؤمنين بمكة يستأذنون رسول الله (ص) في الهجرة إلى المدينة فيأذن لهم فيخرجون ارسالاً متسللين ، أولهم فيما قيـل أبـو سلمة بن عبـد الأسد المخـزومي ، وقيل أولهم مصعب بن عميـر ، فعنـد قدومهم المدينة على الأنصار أكرموهم وأنزلوهم في دورهم وآووهم ونصـروهم وواسوهم ، فلما علم المشركون بـذلك وأنـه صار للمسلمين دار هجـرة ، وأن أكثر من أسلم قد هاجر إليها شق عليهـم ذلك ، فـاجتمع رؤسـاء قريش بـدار الندوة وكانت موضع مشـورتهم لينظروا مـا يصنعوا بـالنبي وكانـوا عشرة ، وهم شيبة وعتبة أبنا ربيعة وبنيـة ومنية ابنـا الحجاج ، وأبي وأميـة ابنا خلف ، وأبـو جعل بن هشام ونضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط . فهؤلاء العشرة اجتمعوا للمشـورة فجاءهم إبليس في صـورة الشيخ النجـدي عليه جبـة صوف وبـرنس أخضر وفي يده عكاز يتوكـأ عليه ، فقـال لهم قد بلغني اجتمـاعكم لمشورتكم فـاحببت أن أحضركم فمـا تعدمـون مني رأياً حسنـاً فادخلوه معهم ، وأول من تكلم عتبة بن ربيعة فقال : الرأي أن تحبسـوا محمداً في بيت مغلق ليس لـه غير طاقة واحدة يدخل منها طعامـه وشرابـه وتتـربصـون به ريب المنون ، فقال الشيـخ النجدي ليس هـذا برأي فـإن لـه عشيـرة فتحملهم الحميـة على أن لا

يمكنوا من ذلك فتقاتلوا، فقالوا صدق الشيخ فقال شيبة بن ربيعة[٢] الـرأي أن تركبوا محمداً جملاً شروداً قد شددتموه بالأفشاع[١] عليه وتطلقوه نحو البادية ، فيقع على أعراب جفاة فيكدر عليهم بمـا يقول فيكـون هلاكـه على يد غيـركم فتستريحون منه ، فقال الشيخ النجدي بئس الرأي تعمدون إلى رجل قد أفسد سفهـاءكم وجهالكم فتخـرجوه إلى غيـركم فيفسدهم ويستتبعهم بعـذوبة لفـظه وطـلاقـة لسـانـه ، لئن فعلتم ليجمعن النـاس عليكم جمعـاً ويقـاتلكم بهم ويخرجكم من دياركم ، فقالوا صدق الشيخ ، فقـال أبو جهـل لأشيرن عليكم بـرأي ولا رأي غيره وهـو أن تأخـذوا من كل بـطن من قريش غـلامـاً وسـطا ، وتدفعوا إلى كل غلام سيفاً فيضربوا محمداً ضربة رجل واحد ، فإذا قتلوه يفرق دمه في قبائل قريش كلها فلا يقدر بنو هاشم على حرب قـريش كلها فيـرضون بالعقل فتعطوهم عقله وتخلصوا منه ، فقال الشيخ النجدي هذا هو الـرأي وقد صدق فيما قال وأشار به وهو أجود آرائكم فلا تعدلوا عنـه ، فتفرقـوا على رأي أبي جهـل مجتمعين على قتـل النبي (ص) فـأتى جبـرئيـل (ع) إلى النبي (ص) وأخبره بذلك وأمره أن يبيت في موضعه الذي كان ينـام فيه ، وأذن الله تعـالى في الهجرة ، فعنـد ذلك أخبـر علياً بـأمورهم وأمـره أن ينام عـوضه في مضجعـه على فراشـه الذي كـان ينام فيـه ، وقال لـه لن يصل إليـك منهم أمر تكرهه ووصاه بحفظ ذمته وأداء أمـانته ظـاهراً على أعين النـاس وكانت قـريش تـدعـو النبي (ص) في الجـاهليـة بـالأمين ، وأمـره أن يبتـاع رواحـل لـه وللفـواطم ، فاطمـة بنت النبي (ص)، وفـاطمـة بنت أسـد أم علي كـرم الله وجهه ، وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب ولم يهاجر معه أحدٌ من بني هاشم من ضعفاء المؤمنين وقال لعلي إذا ابرمت ما امـرتك بـه كن على أهبة الهجـرة إلى الله ورسـوله وسـر لقدوم كتـابي عليك ، ثم خـرج عنه رسـول الله (ص) وقال له إذا جـاءك أبو بكـر فوجهـه خلفي نحو بئـر أم ميمون ، وكـان ذلك في فحمة العشاء والرصد من قـريش قد أطـافوا بـالدار ينتـظرون أن ينتصف الليل

---

(١) الأفشاع : الخِرَقُ والْحِبَالُ.

وينـام الناس ، فـأخذ النبي (ص) قبضـة من تراب وقـرأ عليها وحشـاهـا في وجوههم فخرج فلم يروه، ونام علي عليه السلام على فراشه فـدخل عليـه أبو بكر رضي الله عنه وهو يظنـه رسول الله (ص) ، فقـال له علي أن رسـول الله (ص) خـرج نحو بئـر أم ميمـون وهـو يقـول لـك أدركني ، فلحقـه أبـو بكـر (رض) ومضيا جميعاً يتسايران حتى أتيا جبل ثور فدخـلا الغار واختفيـا فيه ، وجاءت العناكب الـذكور والإنـاث من أسفل الغـار يستقبل بعضهـا بعضاً حتى نسجت على الغـار نسج أربـع سنين في ساعـة واحدة ، وأقبلت حمـامتان من حمام مكة حتى سقطتا على باب الغار وباضت الأنثى منهما من ساعتها بقـدرة الله وحضنت على البيض ، وذهب من الليل ما ذهب وعلي (رض) نائم على فراش رسول الله (ص) والمشركون يرجمونـه فلم يضطرب ولم يكتـرث ، ثم أنهم تسوروا عليه ودخلوا شاهرين سيوفهم ، فثار في وجوههم فعرفوه فقالوا هو أنت أين صاحبك فقال لا أدري فخرجوا عنه وتركوه ولم يصل إليه منهم مكروه وكفاه الله شرهم ، قال بعض أصحاب الحديث وأوحى الله تعالى إلى جبـرئيل وميكائيل أن انزلا إلى علي (ع) واحرسـاه في هذه الليلة إلى الصبـاح ، فنزلا إليه وهما يقولان بخ بخ من مثلك يا علي قـد باهى الله تعـالى بك مـلائكته .
وأورد الإمام حجة الإسـلام أبو حـامد محمـد بن الغزالي رحمـه الله تعالى في كتابه إحيـاء علوم الدين ، أن ليلة بـات علي بن أبي طالب على فـراش رسول الله (ص) أوحى الله تعـالى إلى جبرائيل وميكائيـل إني آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر فأيكما يؤثر صاحبه بالحيـاة فاختـارا كلاهمـا الحياة وأحباها ، فأوحى الله تعـالىٰ إليهما أفـلا كنتما مثـل علي بن أبي طالب حين آخيت بينه وبين محمد فبات على فراشـه يفديـه بنفسه ويؤثـره بالحيـاة ، اهبطا إلى الأرض فاحفـظاه من عدوه وكـان جبرائيل عند رأسـه وميكائيـل عند رجليـه ينـادي ويقـول بـخ بـخ من مثلك يـا بن أبي طـالب يبـاهي الله بـك الملائكة ، فانزل الله عزّ وجلّ ﴿ **ومن النـاس من يشري نفسـه ابتغاء مـرضات الله والله رؤف بالعباد** ﴾[1]. وفي تلك الليلة أنشأ علي كرم الله وجهه يقول :

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٠٧ وقصص الهجرة في صحيح البخاري ك ٥٦ و٦٢ و٦٤ و٦٥ و٧٧ ومسلم :

وقيت بنفسي خير من وطىء الثرى ... واكرم خلق طاف بالبيت والحجر
وبت أراعي منهم ما يسوئني ... وقد صبرت نفسي على القتل والأسر
وبات رسول الله في الغار آمناً ... وما زال في حفظ الإلّه وفي السر

فهذا مما يشهد له بقوة جنانه وثبات أركانه وتبريزه على نظائره وأقرانه من أبطال الحرب وشجعانه . ومن كلام بعضهم : « واعجباه هذا فداه بنفسه من الكفار ، وهذا ساواه بنفسه في الغار ، وهذا آنسه في مسيره وهذا بات على سريره ، وهذا أنفق ماله عليه وهذا بذل مهجته بين يديه وكل منهما سعيه مشكور وفضله مشهور وهو على صنيعه مثاب ومأجور »

قال وأصبح قريش وقد خرجوا في طلب النبي (ص) يقصون أثره في شعاب مكة وجبالها فلم يتركوا موضعاً حتى أنهم وقفوا على باب الغار الذي فيه النبي (ص) فوجدوا العنكبوت ناسجاً على بابه ووجدوا حمامتين وحشيتين قد نزلتا بباب الغار وباضتا وفرختا ، فقال لهم عتبة بن ربيعة ما وقوفكم ها هنا لو دخل محمد هذا الغار لخرق هذا النسج الذي ترون ولطارت الحمامتان وجعل القوم يتكلمون ، فحزن أبو بكر وخاف ، فقال له النبي (ص) يا أبا بكر نحن اثنان والله ثالثنا فما ظنك باثنين الله ثالثهما لا تحزن إن الله معنا وسيقتل عامة من ترى ببدر إن شاء الله تعالى فضرب الله على وجوه القوم فانصرفوا .

نقل المسعودي في شرحه لمقامات الحريري عند ذكره طوق الحمامة في المقامة الأربعين عن أبي مصعب المكي قال أدركت أنس بن مالك وزيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهم ، فسمعتهم يتحدثون في أمر رسول الله (ص) ليلة الغار، فقالوا بعد أن دخل رسول الله (ص) الغار ومعه أبو بكر ، أمر الله سبحانه وتعالى شجرة فنبتت على فم الغار قبالة وجه النبي

ك ٣٦ و٤٤ ومسند أحمد (١/ ٢ و ٣٤٧) و(٣/ ١٢٢ و٢١١ . . . وابن هشام ٣٢٣ وقصة الهجرة والغار ورحيل علي (عليه السلام) بالفواطم مفصلة في آمالي الشيخ الطوسي ص ٤٨٠ طبع بيروت وفيه ص ٤٥٨ قصة نوم الأمير (عليه السلام) في فراش النبي (ص).

(ص) وأمر حمامتين وحشيتين فنزلتا بباب الغار ، وأقبل فتيان قريش من كل بطن رجل ، بعصيهم وبهراويهم وهروالهم وسيوفهم على عواتقهم ، حتى إذا كانوا قريباً من الغار ونظروا إلى الحمامتين بباب الغار فرجعوا وقالوا لا ننظر بالغار غير حمامتين وحشيتين ، ولو كان به أحد لطارتا فسمَّت النبي (ص) حينئذٍ على الحمام وفرض جزاءهن في عدم قتلهن في الحرم فكن في الحرم آمنات. قوله سمت على الحمام يعني قال لهن بارك الله عليكن ، يقال سمت له إذا دعا له بالبركة انتهى .

وما أحسن قول الفيومي في تخميسه للبردة :

هذا الحمام بباب الغار قد نزلا — والعنكبوت حكت من نسجها حللا
فالصاحبان هنا يا قوم ما دخلا — ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على

خير البرية لم تنسج ولم تحم

قال وأقام رسول الله (ص) ثلاثة أيام بلياليها في الغار ، وقريش يطلبونه فلا يقدرون عليه ولا يدرون أين هو ، وأسماء بنت أبي بكر تأتيهما ليلاً بطعامهما وشرابهما ، قال فلما كان بعد الثلاثة الأيام أمرها النبي (ص) إلى علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقال لها اخبريه بموضعنا وقولي له يستأجر لنا دليلاً ويأتينا معه بثلاثة من الإبل بعد مضي الليلة الآتية ، قال فجاءت اسماء إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأخبرته بذلك ، فاستأجر لهما علي رضي الله عنه عند ذلك رجلاً يقال له الأريقط بن عبدالله الليثي وأرسل معه بثلاثة من الإبل فجاء بهن إلى أسفل الجبل ليلاً ، قال وسمع النبي (ص) برغاء الإبل فنزل من الغار هو وأبو بكر (رض) إليه فعرفاه ، فعرض عليه النبي (ص) الإسلام فقيل اسلم وقيل أنه لم يسلم وجعل يشد على الإبل أجلاسها (ارحالها) وهو يرتجز ويقول :

شدا العرى على المطى وأخرا — وودعا غاركما والحرما
وشمرا هديتما وسلما — لله هذا الأمر حقاً فاعلما

سينصر الله النبي المسلما

قصة اتباع سراقة بن مالك رسول الله (ص):

قال وركب النبي (ص) ، وركب أبو بكـر وركب الدليـل وساروا فـأخذ بهم الدليل أسفل مكة ، ومضى بهما على طريق السـاحل فـاتصل الخبـر بأبي جهل ثاني يوم فنادى في أهل مكة فجمعهم وقال أنه بلغني أن محمداً قد مضى نحو يثرب على طريق الساحل ومعه رجـلان آخران فـأيكم يأتيني بخبـره ، قال فوثب سراقة بن مالك بن جعثم المدلجي أحد بني كنانة فقال أنا لمحمد يـا أبا الحكم ، ثم أنه ركب راحلته واستنجب فرسه وأخذ معه عبداً له أسـود كان من الشجعـان المشهورين ، فسـار في أثر النبي (ص) سيـراً عنيفاً نحـو السـاحـل فلحقا به ، قال فالتفت أبو بكر فنظر إلى سراقة بن مالك مقبلاً فقـال يا رسـول الله (ص) قد دهينا هذا سراقة بن مالك قد أقبل في طلبنا ومعه غلامـه الأسود المشهـور فلان ، فلما أبصرهم سـراقة نـزل عن راحلته وركب فـرسه وتنـاول رمحه وأقبل نحوهم ، فلما قرب منهم قال النبي (ص) اللهم اكفنا أمر سـراقة بما شئت وكيف شئت وأنىٰ شئت ، قال فساخت قوائم فـرسه في الأرض حتى لم يقدر الفرس أن يتحرك ، قال فلما نظر سـراقة إلى ذلـك هالـه فرمى بنفسـه عن الفرس إلى الأرض ورمى برمحه وقال يا محمد أنت آمن أصحـابك فـادعو ربـك أن يطلق لي جـوادي ولك علي عهـد وميثاق أن أرجـع عنك ولا عليـك مني ، فرفع النبي (ص) يديه إلى السماء وقال اللهم إن كان صادقاً فيما يقول فاطلق له جـواده ، قال فـاطلق الله تعالى قـوائم فرسـه حتى وقف على الأرض صحيحاً سليماً فأخرج سراقة سهماً من كنانتـه ودفعه إلى النبي (ص) وقـال يا محمد خذ هذا السهم معك فإنك ستمر بإبل لي ، فيها غـلام لي يرعـاها خـذ منها ما شئت فادفع إليه السهم ، واستعر من أباعيري بعيراً أو بعيرين مـا أردت توصل به ، ولي غنم أيضاً ترعى أمامـك خذ منهـا ما شئت فـاذبحه ، فقـال له النبي (ص) على أنك تؤمن بالله وتشهد بشهادة الحق في وقتـك هذا ، فقـال يا محمد أمـا الآن فلا ، ولكني أصـرف عنك النـاس ، فقال النبي (ص) إذا بخلت علينا بنفسك فلا حاجة لنا في مالك ، قال وانصرف سـراقة راجعـاً إلى مكة وسار النبي (ص) يريد يثـرب ، فلما رجـع سراقـة إلى مكة اجتمـع إليه

أهلها وقالوا أخبرنا ما وراءك يا سراقة فقال ما رأيت لمحمد أثراً ولا سمعت عنه خبراً ، والابل التي بلغكم إنها متوجهة نحو يثرب ابل لعبد القيس ، فقال أبو جهل أما واللات يا سراقة ان نفسي تحدثني أنك رأيت محمداً ولحقت به ولكنه خدعك فانخدعت ودعاك فأجبت ، قال فتبسم سراقة من قول أبي جهل وقال أما إنك لو عاينت من فرسي هذا ما عاينت لصرفت عني كلامك ، ونهض عنهم قائماً ثم إنه بعد ذلك أخبرهم بقصته مع النبي (ص) ، قال ومضى النبي (ص) وأبو بكر والدليل بين أيديهما حتى أخذ بهما أسفل عسفان ، ثم خرج بهما على قديد ثم على الفجاج ، ثم سار بهما إلى أن قربا من المدينة، والأوس والخزرج قد بلغهم خروج النبي (ص) من مكة يريد يثرب ، وكانوا يخرجون كل يوم إذا صلوا الظهر إلى ظاهر الحرة يجلسون هناك ينتظرون قدومه (ص) فلا يزالون كذلك حتى يبلغ منهم حر الشمس ، فإذا لم يروا شيئاً رجعوا إلى منازلهم ؛ قال فوصل رسول الله (ص) إلى قبا يوم الإثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول ، ونزل على كلثوم بن الهرم أخي بني عمرو بن عوف ، وقال قوم نزلوا على سعد بن خيثمة والصحيح أنه نزل على كلثوم بن هرم ، غير أنه كان إذا خرج من منزل كلثوم يجلس للناس في منزل سعد بن خيثمة ، وراودوه على الدخول إلى المدينة فقال ما أنا بداخلها حتى يقدم ابن عمي وابنتي ، يعني علياً وفاطمة رضي الله عنهما . قال أبو اليقظان ولما وصل رسول الله (ص) إلى قبا حدثنا بما أرادت به قريش من المكر ومن مبيت علي على فراشه وبين مؤاخاة الله بين جبرائيل وميكائيل ، وجعل عمر أحدهما أطول من عمر الآخر،الحديث المقدم بتمامه كما ذكره صاحب الكشاف أيضاً،قال وكتب النبي (ص) إلى علي عليه السلام يأمره بالمسير إليه والمهاجرة هو ومن معه وكان علي كرم الله وجهه بعد أن توجه رسول الله (ص) قام صارخاً بالأبطح ينادي من كان له قبل محمد رسول الله (ص) أمانة فليأت ترد إليه أمانته ، وقضى حوائجه وجميع أموره وابتاع ركايب وجمالاً بسبب المهاجرة ولم يكن ينتظر غير ورود كتاب رسول الله (ص) فلما ورد عليه الكتاب خرج بالفواطم وخرج معه أيمن بن أم أيمن

مولاة النبي (ص) وجماعة من ضعفاء المؤمنين ومعهم أيمن أيضاً ، فأتوا النبي (ص) وهو نازل بقبا على بني عمر بن عوف لم يدخل المدينة ، فلما ان جاءوا خرج من قبا يوم الجمعة تجمع من بني سالم ومن معه من المسلمين وهم يومئذٍ مائة رجل ، ثم ركب ناقته وجعل الناس يكلمونه في النزول عليهم ويأخذون بخطام الناقة ، فيقول (ص) خلوا سبيلها فإنها مأمورة فبركت عند موضع قبر رسول الله (ص) ، وهو يومئذٍ يصلي فيه رجال من المسلمين وهو مؤبد لسهل وسهيل غلامين من بني مالك بن النجار اشتراه رسول الله (ص) بعشرة دنانير ، وقيل امتنعوا من بيعه وبذلوه لله عز وجل وهو الصحيح ، فاتخذه رسول الله (ص) مسجداً وهو مكان مسجده اليوم ، وهذا تفصيل شيء من مواقف أبي الحسن (رض) ومواطن جهاده التي قام فيها بالفروض والسنن.

غزوة بدر :

فمنها ما كان مع رسول الله (ص) وذلك على رأس ثمانية عشر شهرا من مقدمه إلى المدينة الشريفة وعمر علي (رض) إذ ذاك سبع وعشرون سنة فاتفقت غزوة بدر[1] التي أردت بالشرك فقصمت مطاه وفصمت عراه فيومها يوم خصه الله تعالى بابدار بدره وبشرت بالنصر تباشير فجره ونزلت فيه الملائكة المسومة لامداد نصره ، وانقسمت جموع المشركين يومئذٍ إلى مجدول بقتله ومخذول بأسره ، فكان علي (رض) خائضاً لجج غمراته بقلب لا ينحرف وقدم اقدام لا ينصرف ، يقط بشبا سيفه رقاب الهام قط الأقلام ، فكان عدة من قتل علي كرم الله وجهه من مقاتلة المشركين على ما قيل في المغازي واحداً وعشرين قتيلاً، منهم من اتفق الناقلون على انفراده بقتله وهم تسعة ، وليد بن عتبة بن ربيعة خال معاوية بن أبي سفيان قتله مبارزة وكان شجاعاً جريئاً فتاكاً وقاحاً تهابه الأبطال ، والعاص بن سعيد بن العاص بن أمية

---

(١) أخبار غزوة بدر في مغازي الواقدي وسيرة ابن هشام وكتاب المغازي في صحيح البخاري وإرشاد المفيد الخ . .

وكـان هولاً عـظيماً من الـرجال المعـدودين ، وعامـر بن عبدالله ، ونـوفـل بن خـويلد وكان من شيـاطين قريش ، وكـان من أشد النـاس عداوة للنبي (ص) وكانت قريش تقدمه وتعظمه ، ولما عرف رسول الله (ص) حضوره سأل الله أن يكفيه أمره فقتله علي بن أبي طالب (رض) ومسعود بن أميـة بن المغيرة ، وأبو قيس بن الفاكهة ، وعبدالله بن المنذر بن أبي رفاعـة والعاص بن منبـه بن الحجاج ، وحاجب بن السائب ، أما الذين شاركه في قتلهم غيره فهم أربعة ، حنظلة بن أبي سفيان بن حرب أخو معاوية وعبيدة بن الحارث ، وربيعة وعقيل ابنا الأسود بن المطلب ، وأما المختلف فيهم فسبعـة وهم طيعـم بن عدي بن نوفل وكان من رؤوس أهل الضلال ، وعمر بن عثمان بن عمر ، وأبـو قيس بن الـوليـد بن المغيـرة وأبـو العـاص بن قيس ، وأوس الجمحى ، وعقبـة بن أبي معيط ، ومعـاوية .بن عـامر ، فهـده عدة من قتله علي كـرم الله وجهه يـوم بدر وأجمـع أهل الغـزوات على أن عدة من قتـل من مقـاتلة المشـركين يـوم بـدر سبعـون رجلاً . وروي عن أبي رافـع مولى رسـول الله (ص) قال لمـا أصبح الناس يوم بدر اصطفت قريش أمامها عتبة بن ربيعة وأخوه شيبـة وابنه الـوليد ، فنادى عتبة رسول الله (ص) يا محمد اخرج الينا أكفاءنـا من قريش فبـدر إليه ثلاثة من شبان الأنصار ، فقال لهم عتبة من أنتم فانتسبوا له فقال لهم لا حاجة لنا في مبارزتكم إنما طلبنا بني عمنـا فقال رسـول الله (ص) للأنصـار ارجعوا إلى مواقفكم ، ثم قال قم يـا علي قم يا حمـزة قم يا عبيـدة قاتلوا على حقكم الـذي بعث به نبيكم إذ جاءوا بباطلهم ليـطفئوا نـور الله ، فقامـوا فصفـوا في وجوههم وكان على رؤوسهم البيض فلم يعـرفوهم ، فقـال لهم عتبة يـا هؤلاء تكلموا فإن كنتم أكفاءنا قاتلناكم ، فقال حمزة أنا حمزة بن عبـد المطلب أسـد الله وأسـد رسولـه فقال عتبـة كفو كـريم ، وقال علي أنـا علي بن أبي طالب ، وقال عبيدة أنا عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ، فقال عتبـة لابنه الـوليد قم يا وليد ابرز لعلي ، وكانا إذ ذاك اصغر الجماعة سناً فاختلفا بضربتين اخـطأت ضربة الوليد ووقعت ضَربةَ علّي على اليدَ اليسرى من الوليد فأبَانتها، ثم ثنى عليه بأخرى فجدله صريعاً ، وروي عن علي عليه السلام أنه كان إذا ذكر بدراً وقتله الوليد قال في حديثه كأني أنظر إلى وميض خاتمه في شمالـه عندمـا أبنيت يده

منه وبها أثر من خلوق فعلمت أنه قريب عهد بعرس، وبارز عتبة حمزة فقتله حمزة ، وبارز عبيدة شيبة وكانا من أسن القوم فاختلفا بضربتين فأصاب سيف شيبة عضلة ساق عبيدة فقطعتها فاستنقذه علي وحمزة منه وقتلا شيبة ، فحمل عبيدة فمات بالصفراء رحمه الله تعالى .

غزوة أُحد :

ومنها غزوة أحد في شوال سنة ثلاث من الهجرة وتلخيص القول في هذه القضية أن أشراف قريش لما كسروا يوم بدر وقتل بعضهم وأسر بعضهم دخل الحزن على أهل مكة بقتل رؤسائهم وأشرافهم، فتجمعوا وبذلوا أموالاً واستمالوا جمعاً من الأحابيش من كنانة وغيرهم ليقصدوا النبي (ص) بالمدينة لاستئصال المسلمين وتولى ذلك أبو سفيان بن حرب فجند الجنود وحشد وقصد المدينة ، فخرج النبي (ص) بالمسلمين فاتفق النفاق بين جماعة من الذين خرجوا مع النبي (ص) فرجع قريب من ثلثهم وبقي مع النبي (ص) سبعمائة من المسلمين، وهذه القصة ذكرها الله تعالى في سورة آل عمران في قوله تعالى : ﴿ **وإذ غدوت من أهلك تبرىء المؤمنين مقاعد القتال والله سميع عليم** ﴾[1] إلى آخر ستين آية ، واشتدت الحرب ودارت رحاها واضطرب المسلمون واستشهد حمزة وجماعة من المسلمين وقتل من مقاتلة المسلمين اثنان وعشرون قتيلاً . ونقل أصحاب المغازي أن علياً قتل منهم سبعة هم طلحة بن أبي طلحة بن عبد العزى وعبدالله بن جميل من بني عبد الدار وأبو الحكم بن الأخنس وسباع بن عبد العزى وأبو أمية بن المغيرة ، هؤلاء الخمسة متفق على أن علياً قتلهم وأبو سعد طلحة بن طليحة وغلام حبشي مولد لبني عبد الدار مختلف فيهما ، وعاد أبو سفيان ومن معه من المشركين طالبين مكة ودخل النبي (ص) المدينة فدفع سيفه ذا الفقار إلى فاطمة رضي الله عنها فقال اغسلي عن هذا دمه يا بنية فوالله لقد صدقني اليوم وناولها علي رضي الله عنه وقال لها مثل ذلك .

---

(١) سورة ال عمران الآية ١٢١ .

وروى محمد بن اسحق ان علياً رضي الله عنه لما فرغ من القتال ناول سيفه فاطمة وأنشد يقول :

أفاطم هاك السيف غير ذميم   فلست برعديد ولا بمليم
لعمري لقد اعذرت في نصر أحمد   وطاعة رب بالعباد عليم

وقال ابن اسحق في هذا اليوم هبت ريح فسمع هاتفاً يقول :

لا سيف إلا ذو الفقار   ولا فتى إلا علي
فإذا ندبتم هالكاً   فابكوا الولي ابن الولي

وأنشد الخطيب ضياء الدين اخطب خوارزم الموفق بن أحمد الخوارزمي ثم المكي رحمة الله تعالى عليه :

أسد الإله وسيفه وقناته   كالظفر يوم صياله والناب
جاء النداء من الإله وسيفه   بدم الكماة يسح في تسكاب
لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى   إلا علي هازم الأحزاب

فكان السيف لمنية بن الحجاج السهمي كان مع ابنه العاص بن منيه يوم بدر فقتله علي (ص) وجاء بالسيف إلى رسول الله (ص) فأعطاه رسول الله (ص) علياً بعد ذلك فقاتل به دونه يوم أحد . ويروى أن بلقيس أهدت إلى سليمان (عليه السلام) سبعة أسياف كان ذو الفقار منها، وقد جاء في بعض الروايات عن علي بن أبي طالب (رض) أنه قال جاء جبرئيل إلى النبي (ص) فقال له أن صنماً باليمن مغفر في الحديد فابعث إليه فادققه وخذ حديده ، وقال علي (رض) فدعاني رسول الله (ص) وبعثني إليه فذهبت ودققت الصنم وأخذت الحديد فجئت به إلى رسول الله (ص) واستضرب منه سيفين فسمى أحدهما ذو الفقار والآخر مخذما ، فتقلد رسول الله ذو الفقار وأعطاني مخذما ، ثم اعطاني بعد ذلك ذو الفخار فرآني وأنا أقاتل به دونه يوم أحد فقال :

لا سيف إلا ذو الفقار   ولا فتى إلاّ علي

قال الواقدي في المغازي أنه لما فر الناس يوم أحد ما زال النبي (ص) شبـراً واحـداً ، بـل مـرة يـرمي عن قـوسـه ومـرة يضـرب بسيفـه ومـرة يـرمي بـالحجارة ، وصبـر معه أربعـة عشر رجـلاً سبعـة من المهـاجـرين وسبعـة من الأنصـار أبو بكـر وعبد الـرحمن بن عوف وعلي بن أبي طـالب وسعـد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيدالله وأبو عبيدة بن الجراح والـزبير بن العـوام فهؤلاء من المهاجرين . ومن الأنصار الحباب بن المنذر ، وأبو دجانة ، وعاصم بن ثابت والحارث بن الصمت ، وسهل بن حنيف ، وأسيد بن حضير ، وأسعد بن معاد ويقال ثبت ابن سعد بن عبادة ومحمد بن مسلمـة . وبايعـه يومئـذٍ ثمانيـة على الموت ثلاثة من المهاجرين وخمسة من الأنصـار ، الزبيـر وطلحة وأبـو دجانـة والحارث بن الصمت وحباب بن المنذر وعاصم بن ثابت وسهل بن حنيف ولم يقتل منهم أحد ، وأصيبت يومئذٍ عين قتـادة بن النعمان حتى وقعت على خـده قـال فجئت إلى النبي (ص) وقلت يا رسـول الله ان تحتي امرأة شـابة جميلة احبهـا وتحبني ، وأنا اخشى أن تقـدر مكان عيني ، قـال فأخـذها رسـول الله (ص) فردها فأبصرت بها وعادت أحسن مما كانت لم تؤلمني ساعة من الليل أو نهار ، وكان يقول بعد ما أسن هي أقوى عيني وأحسنهما . وعن ابن عباس (رض) قـال خـرج طلحـة بن أبي طلحـة يـوم أحـد وكـان صـاحب لـواء المشركين ، فقال يا أصحاب محمد تزعمون أن الله يعجلنا بأسيافكم إلى النار ويعجلكم بأسيافنـا إلى الجنة ، فـأيكم يبرز إلي فبـرز إليه علي بن أبي طـالب وقـال له والله لا أفـارقك حتى اعجلك بسيفي إلى النـار ، فـاختلفـا بضـربتين فضربه على رجله فقطعها وسقط إلى الأرض ، فأراد علي أن يجهز عليـه فقال انشدك الله والرحم يا ابن عم، فانصرف عنه إلى مـوقفه فقـال المسلمون هـلا أجهـزت عليه فقـال ناشـدني الله ولن يعيش ، فمـات من سـاعتـه وبشـر النبي (ص) بـذلك فسـر وسر المسلمـون . قال محمـد بن اسحق وكان الفتـح يوم احـد نصر علي عليـه السلام وعنـايته وثبـاته وحسن بـلائه وفي ذلـك يقـول الحجاج بن علاط السلمي شعراً :

لله أي مـذبـب عـن حـربـه أعني ابن فـاطمة المعم المخـولا

وشـددت شـدة بـاسـل فكشفتهم بالسفح إذ يجـرون اسفل اسفـلا
وعللت سيفـك بالـدماء ولم يكن لـتـرده ضمـآن حـتـى ينـهـلا

وروى الحافظ محمد بن عبـد العزيـز الجنابـذي في كتاب معـالم العترة النبوية مرفوعاً إلى قيس بن سعد عن أبيه ، أنه سمـع علياً يقـول أصابتني يـوم أحد ست عشرة ضربة سقطت إلى الأرض في أربع منهـا فجاءني رجـل حسن الوجه طيب الريح ، فأخذ بضبعي فأقامني ثم قال أقبل عليهم فـإنك في طـاعة الله ورسوله وهما عنك راضيان ، قال علي فأتيت رسول الله (ص) فأخبرته ، فقال يا علي أقـر الله عينك ذاك جبرئيل.

قصة الأحزاب والخندق وابن ود:

ومنهـا غزوة الخنـدق وهي أن قـومـاً تجمعت وقـائـدهم أبـو سفيـان بن حـرب ، وأن غطفـان تجمعت وقائـدهـم عتبة بن حصين بن حـذيفة بن بـدر ، واتفقـوا مع بني النضيـر من اليهود على قصـد رسول الله صلّى الله عليـه وآلـه وحصـار المدينـة ، أخذ رسـول الله (ص) في حراسـة المـدينـة بعمـل خنـدق عليها ، وعمل (ص) فيـه بنفسه الشـريفة فـاحكمه في أيـام ، وكان في حفـر الخندق آيات من معجزات رسول الله (ص) شاهدها المسلمون نذكرها ليزداد من وقف عليها إيماناً بالله وتصديقاً لرسوله (ص)

منها ما رواه ابن مساعة أن ابنة بشر بن سعد بن أخت النعمان بن بشير ، قـالت دعتني أمي بنت رواحة فـاعـطتني حفنـة من تمـر في ثـوبي ، ثـم قـالت اذهبي إلى أبيـك أو خالـك عبدالله بن رواحـة بغـذائهمـا ، قـالت فـأخـذتهـا وانـطلقت بها فمـررت برسـول الله (ص) وأنـا التمس أبي أو خـالي ، فقـال تعالي يا بنيـة ما هـذا معك ، قـالت فقلت يا رسـول الله (ص) قليل من تمـر بعثتني به أمي إلى بشير بن سعيد وخالي عبـدالله بن رواحة يتغـديان بـه ، قال (ص) هـاتيـه فصببتـه في كفي رسـول الله (ص) فـامـلأهـا ثم أمـر (ص) بثوب فبسط ثم دحى بالتمر عليه وغطاه بثوب آخر، وقال لانسان عنده اصرخ في أهل الخندق ان هلم إلى الغداء فاجتمع أهل الخندق عليه فجعلوا يـأكلون منه

وجعل يزيد حتى صدر أهل الخندق عنه وأنه يسقط من أطراف الثوب ، ومنها ما رواه جابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنه قال اشتدت عليهم في الخندق كودية عجز حافروها عنها فشكوها إلى رسول الله (ص) ، فدعا بإناء فيه ماء فتفل فيه ، ثم دعا بما شاء الله تعالى أن يدعو به ، ثم نضح الماء على تلك الكودية فقال من حضرها والذي بعث محمداً بالحق نبياً لقد انهالت حتى عادت كالرمل لا يرد فأساً ولا مسحاة .

ومنها ما رواه جابر أيضاً قال كان عملنا مع رسول الله في الخندق وكانت عندي شويهة ، فقالت فقلت لو وضعناها لرسول الله (ص) ، قال فأمرت امرأتي فطحنت لنا شيئاً من شعير فصنعت لنا خبزاً وذبحت تلك الشاة وصنعتها لرسول الله (ص) قال وأمسينا وذلك أنا كنا نعمل في الخندق نهاراً فإذا أمسينا رجعنا إلى أهلنا ، فقلت يا رسول الله إني قد صنعت لك شويهة كانت عندنا وصنعنا معها شيئاً من خبز هذا الشعير ، وأحب أن تنصرف معي إلى منزلي وإنما أردت أن ينصرف مع رسول الله (ص) وحده قال فلما إن قلت له ذلك ، أمر صارخاً فصرخ أن انصرفوا مع رسول الله (ص) إلى بيت جابر بن عبدالله ، قال فقلت إنا لله وإنا إليه راجعون ، قال فأقبل رسول الله (ص) وأقبل الناس معه فجلسنا وأخرجنا ذلك إليه، فبرك عليه وسمى الله تعالى وأكل وتواردها الناس كلما فرغ قوم جاء قوم غيرهم ، حتى صدر أهل الخندق بأسرهم وفضل الطعام ، ولما فرغ رسول الله (ص) من حفر الخندق وأقبلت قريش بجيوشها وأتباعها من كنانة وأهل تهامة في عشرة آلاف ، وأقبلت غطفان ومن تبعها من أهل نجد فنزلوا من فوق المسلمين ومن أسفلهم كما قال الله تعالى : ﴿ إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم ﴾[1] فخرج النبي (ص) بالمسلمين وهم ثلاثة آلاف وجعلوا الخندق بينهم ، واتفق المشركون مع اليهود على رسول الله (ص) وقد ذكر الله تعالى هذه القضية في سورة الأحزاب ، وطمع المشركون بكفرهم ومعاقبة اليهود لهم في استيصال المسلمين ، واشتد الأمر على المسلمين فركب فوارس من قريش

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٣٣.

منهم عمرو بن عبد ود وكان من مشاهيرهم وأبطالهم ، وعكرمة بن أبي جهل وأقبلوا تتعثر بهم خيولهم حتى وقفوا على الخندق ، ثم قصدوا مكاناً ضيقاً منه وضربوا خيولهم فاقتحمته وجالت بين الخندق والمسلمين فلما رأى علي بن أبي طالب عليه السلام ذلك ، خرج ومعه نفر من المسلمين وبادر الثغرة التي دخلوا منها وأخذ عليهم المضيق الذي دخلوا منه واقتحموه ووقف فيه وخرج عمرو بن عبدود من بينهم ومعه ولده حبيل ، وقد كان عمرو جعل له علامة يشتهر بها وليعرف مكانه ويظهر شأنه فقال هل من مبارز فقال علي عليه السلام أنا له،فقال النبي (ص) إنه عمرو فسكت ، فنادى عمرو الثانية والثالثة فقال هل من مبارز ثم جعل يؤنبهم ويقول اين جنتكم التي تزعمون أن من قتل دخلها ، أفلا يبرز إلي رجل منكم ثم ارتجل يقول شعراً :

ولقد بححت من النداء بجمعكم هل من مبارز
ووقفت إذ جبن المشجع موقف القرن المناجز
وكذاك إني لم أزل متسرعاً قتل الهزاهز
إن الشجاعة في الفتى والجود من خير الغرائز

فقال علي (عليه السلام) أنا له يا رسول الله فقال (ص) إنه، عمرو ، فقال وإن كان عمرو فأذن له رسول الله (ص) في مبارزته ، وقال له ادن مني يا علي فدنا منه فنزع عمامته من رأسه (ص) وعممه بها وأعطاه سيفه وقال امض لشأنك ، ثم قال اللهم قد خرج علي (عليه السلام) وهو يقول :

لا تعجلن فقد أتاك مجيب صوتك غير عاجز
ذو نية وبصيرة والصدق منجي كل فائز
إني لأرجو أن أقيم عليك نائحة الجنائز
من ضربة نجلا ويبـ ـقى ذكرها عند الهزائز

ثم قال له يا عمرو إنك أخذت على نفسك عهداً أن لا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أجبته إلى واحدة منهما ، قال له أجل فقال له علي رضي الله عنه فإني أدعوك إلى الله تعالى ورسوله وإلى الإسلام فقال أما

هذه فلا حاجة لي فيها فقال له علي فإذا كرهت هذه فإني أدعوك إلى النزال قال ولم يابن أخي فما أحب أن أقتلك ولقد كان أبوك خلا لي ، فقال علي ولكني والله أحب أن أقتلك ، فحمي عمرو وغضب من كلامه فاقتحم عن فرسه إلى الأرض وضرب وجهها ، ونزل علي (رض) عن فرسه وأقبل كل واحد منهما نحو الآخر فتصاولا وتجاولا ساعة ، ثم ضربه علي (رض) على عاتقه بالسيف ورمى جثته إلى الأرض وتركه قتيلاً ، ثم ركب علي (رض) على فرسه وكر على ابنه حسل بن عمرو فقتله ، فخرجت خيولهم منهزمة ورمى عكرمة بن أبي جهل رمحه وفر منهزماً مع من انهزم من أصحابه ، فرجع علي بن أبي طالب (رض) وهو يقول :

أعلي تفتخر الفوارس هكذا	عني وعنهم سائلوا أصحابي
اليوم تمنعني الفرار حفيظتي	ومصمم في الرأس ليس بناب
أرديت عمراً إذ طغى بمهند	صافي الحديد مجرب قصاب
هذا ابن عبد الود كذب قوله	وصدقت فاستمعوا إلى الكذاب
نصر الحجارة من سفاهة رأيه	ونصرت دين محمد بصوابي
وغدوت حين تركته متجدلاً	كالعير بين دكادك وروابي
وعففت عن أثوابه ولو انني	كنت المجدل بزني أثوابي
لا تحسبن الله خاذل دينه	ونبيه يا معشر الأحزاب

ولما قتل عمرو وولده حسل وانهزم عكرمة ومن معه من فوارس قريش الذين اقتحموا الخندق ، أرسل الله تعالى الريح على قريش وغطفان ووقع الاختلاف والاضطراب بينهم فولوا راجعين ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً . وفي قتل عمرو بن عبد ود يقول حسان (رض) :

أمسى الفتى عمرو بن ود يرى	بجنوب يثرب غارة لم ينظر
ولقد وجدت سيوفنا مشهورة	ولقد وجدت رماحنا لم تقصر

ولقد رأيت غداة بدر عصبة ضربوك ضرباً ليس ضرب المحضر
أصبحت لا تدعى ليوم عظيمة يا عمرو كلا والإله الأكبر

وقالت أخت عمرو وقد نعي إليها أخوها عمرو ، من اجترأ عليه فقالوا علي بن أبي طالب فقالت كفو كريم وأنشدت تقول :

أسدان في ضيق الكر تصاولا وكلاهما كفو كريم باسل
فتخالسا مج النفوس كلاهما وسط المجال مجالد ومقاتل
وكلاهما حضر القراع حفيظة لم يثنه عن ذاك شغل شاغل
فاذهب علي فما ظفرت بمثله قول سديد ليس فيه تحامل

ثم قالت والله لا ثأرت قريش بأخي ما حنت النوق وقالت أم عمرو ترثيه :

لو كان قاتل عمرو غير قاتله ما زلت أبكي عليه دائم الأبد
لكن قاتله ما لا يراب به من كان يدعى أبوه بيضة البلد
من هاشم في ذراها وهي صاعدة إلى السماء تميت الناس بالجسد
قوم أبى الله إلا أن تكون لهم مكارم الدين والدنيا إلى الأبد
يا أم كلثوم ابكيه ولا تدعي بكاء معولة حرى على ولد

فأسلاها وعزاها وهون عليها قتل ولدها جلالة القاتل وافتخرت بكون ولدها مقتولاً له .

وقعة الجمل:

ومنها وقعة الجمل ثم صفين التي كانت كل واحدة منهما أمر من الحنظل والدفلى ، وأقامت النوادب وأجرت الدموع السواكب على ألوف من القتلى وألبست الأجساد أثواباً من الأحزان لا تخلق ولا تبلى ، وكم قد تركت كل واحدة منهما نساء إيما وأخريات ثكلى . ذكر حملة الأخبار وأصحاب المقالات من أهل التاريخ ان البيعة لما عقدت لعلي بن أبي طالب (عليه الصلاة والسلام) بملأ من المهاجرين والأنصار وذلك بعد أن أقامت المدينة خمسة أيام بعد قتل عثمان وأميرها الفافقي بن حرب العكي مقدم المصريين

الذين قصدوا عثمان بالمدينة وأصحاب رسول الله (ص) يترددون إلى علي (عليه السلام) لأجل المبايعة ، ويقولون له لابد للناس من إمام وهو يقول لا حاجة لي في أمركم من اخترتموه رضيت به ، فقالوا ما نختار غيرك ولا نعلم أحداً أحق بهذا الأمر منك ولا أقدم سابقة ولا أقرب قرابة من رسول الله (ص) فقال فإن كان لا بد ففي المسجد ، فإن بيعتي لا تكون خفية ، وكان كلامهم له (رض) في بيته وقيل في حائط لبني عمرو بن مبذول فخرج إلى المسجد ، فقام إليه الناس فبايعوه وكان أول من بايعه طلحة بن عبدالله ، فنظر إليه رجل يقال له حبيب بن ذويب فقال إنا لله وإنا إليه راجعون أول يد بايعت يد شلاء لا يتم هذاالأمر،ثم بايعه الزبير (رض) ثم بقية الصحابة بعد ذلك من المهاجرين والأنصار غير نفير يسير فإنهم لم يبايعوه في ذلك الوقت لأنهم كانوا عثمانية ، منهم محمد بن مسلمة ، والنعمان بن بشير ، ونافع بن خديج ، وفضالة بن عبيدة وكعب بن عجرة ، وصهيب بن سنان ، وأسامة بن زيد ، وكانت البيعة لعلي رضي الله عنه يوم الجمعة لخمس بقين من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين من الهجرة ، فما كان من النعمان بن بشير فإنه أخذ قميص عثمان الذي قتل فيه مضرجاً بالدم ، وأخذ أصابع يد زوجته نايلة التي قطعت حين مدت يدها دونه وهرب بها إلى الشام إلى معاوية ، وأما طلحة بن عبدالله والزبير فإنهما هربا إلى مكة بعد المبايعة بأربعة أشهر ، ثم أن علياً (رض) فرق عماله على البلدان وكتب إلى بعض عمال عثمان ليستقدمهم عليه وكتب إلى معاوية بن أبي سفيان أيضاً كتاباً يستقدمه فيه ، وكانت صورة الكتاب : « من عبدالله أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان أما بعد أنه كان عثمان ذا حق وقرابة ، إلا أن الله تعالى قلدني أمر الناس عن مشاورة من المهاجرين والأنصار ألا وإن الناس تبع لهم فيما رأوا وعملوا وأحبوا وكرهوا فالعجل علي ثم العجل ، فإني قد بعثت إلى جميع العمال لا عمد إليهم وأقلدهم من ذلك ما قلدت ، استبرىء من ذلك ديني وأمانتي لأني لم أجد من تلك بداً فأقدم إلي مع أشراف أصحابك عند وقوفك على كتابي هذا إن شاء الله تعالى » فعند فراغه من كتابة الكتاب جاء المغيرة بن شعبة فقال ما هذا يا أمير المؤمنين ، قال كتاب كتبته إلى معاوية أستقدمه فيه وأريد أن أبعث به إليه

رسولاً ،فقال يا أمير المؤمنين عندي لك نصيحة فاقبلها مني قال هات قال انه ليس أحد يتشعب عليك غير معاوية ، وفي يده الشام وهو ابن عم عثمان وعامله فابعث إليه بعهده تلزمه طاعتك فإذا استقرت قدماك رأيت فيه رأيك ، فقال علي كرم الله وجهه يمنعني من ذلك قول الله تعالى : ﴿ **وما كنت متخذاً المضلين عضداً** ﴾[1] والله لا يراني الله مستعيناً بمعاوية أبداً ولكني أدعوه إلى ما نحن عليه فإن أجاب وإلا حاكمته إلى الله تعالى ، فخرج عنه وقال نبيت هذا اليوم إلى غدايتك إن شاء الله تعالى ثم ننظر ماذا يكون ، فلما كان من الغد جاءه المغيرة بن شعبة ، وقال له يا أمير المؤمنين إني قد جئتك بالأمس وأشرت إليك بما أشرت وخالفتني فيه ، ثم إني بت ليلتي هذه فرأيت أن الرأي ما رأيت فارسل إلى معاوية بالكتاب الذي كتبته فإن قدم وإلا فاعزله فهو أهون شوكة وأضيق عضا وقل من تثق به قال نفعل إن شاء الله تعالى فخرج عنه المغيرة بن شعبة وهو يقول :

نصحت علياً في ابن هند نصيحة ... فرد فما مني له الدهر ثانية
وقلت له ارسل إليه بعهده ... إلى الشام حتى يستقر معاوية
ويعلم أهل الشام أن قد ملكته ... وأم ابن هند بعد ذلك هاوية
فتحكم فيه ما تريد فإنه ... لداهية فارفق به أي داهية
فلم يقبل النصح الذي جئته به ... وكانت له تلك النصيحة كافية

ثم ان المغيرة بن شعبة هرب إلى مكة وكان يقول نصحت علياً فلما لم يقبل غششته .

وعن ابن عباس (رض) قال أتيت علياً (رض) بعد مبايعة الناس له فوجدت المغيرة بن شعبة مستخلياً به ، فقلت له بعد أن خرج عنه ما كان يقول لك هذا ، فقال قال لي قبل يومه أن لك حق الطاعة والنصيحة وأنت بقية الناس وان الرأي اليوم يحرز ما في غد ، وان الضياع اليوم يضيع به ما في غد ، وأشير عليك بشور وهو أن تقر معاوية وابن عامر وعمال عثمان على

---

(١) سورة الكهف الآية ٥١ .

عملهم حتى يأتيك بيعتهم وتسكن النـاس ثم اعزل من شئت منـه ومن شئت ، فـأبيت عليه ذلـك وقلت لا اداهن في ديني ولا اعطي الـدنية في أمـري ، قال فإن كنت أبيت علي فانزع من شئت واترك معاوية ، فإن لمعاوية جرأة وهـو في أهـل الشام يـطيعونـه ويسمعون منه وذلـك حجـة في ابقـائـه ، فـإن عمـر بن الخـطاب ولاه الشام في خـلافتـه فقلت لا والله لا استعمـل معـاويـة يـومين ، فانصرف من عنـدي وأنا اعـرف منه أنـه يرى أني مخـطىء ، ثم عاد إلي الآن فقال إني أشرت اليك أول مرة بالذي أشرت وخالفتني فيه ، ثم رأيت بعد ذلك أن تصنـع الذي رأيت أن تعـزل من تختار وتستعين بمن تثق بـه فقد كفى بـالله تعـالى وهو أهـون شوكـة وأقل عـدداً ، قال ابن العبـاس (رض) فقلت لعلي (عليه السلام) إنما المرة الأولى فقد نصحك وأما المرة الثانية فقد غشك قـال وكيف نصحه لي ، قلت لأن معاويـة وأصحابـه أهل دنيـا فمتى اثبتهم وأبقيتهم على عملهم لا يبالون من ولي هذا الأمر ، ومتى تعزلهم يقولون أخذ هذا الأمر بغيـر حق وهو قتـل اصحابنـا ويولـون عليك فينتقض عليـك أهل الشـام وأهل العراق ، مع إني لا آمن طلحـة والزبيـر أن يكدرا عليـك ، وأنا أشيـر أيضاً أن تبقي معاوية فـإن بايـع فلك علي أن أقلعه من منـزله ، فقـال علي (رض) لا أعطيه إلا السيف ثم تمثل بقول القائل :

ومـا ميتـة ان متهـا غيـر عـاجـز بعـار إذا مـا غـالت النفس غـولهـا

فقلت يا أمير المؤمنين أنت رجل شجاع لست بصـاحب رأي في الحرب أما سمعت قول رسول الله (ص) الحرب خـدعة فقـال بلى ، فقلت وأيم الله لئن اطعتنـي لاصـدرن منهم بعـد الـورود على مـا في نفسـك ، ولأتـركنـهم ينظرون في أدبار الأمور ولا يعرفون ما كان وجوههـا في غير نقصـان عليك ولا اثم لـك ، فقال يـا ابن عباس لست من هينهـاتك ولا من هينهـات معاويـة في شيء . قال ابن عباس (رض) فقلت له أطعنـي في شيء الحق بمالـك بينبع واغلق عليك بابك فإن العرب تحول حوله وتضطرب فلا تجد غيرك ولا تنهض مـع هؤلاء القوم ، فلئن نهضت معهم ليحملنـك دم عثمان ، فـأبى ذلـك مني وقال لك أن تشير علي وأرى فإذا عصيتـك فاطعني ، قـال فقلت له أفعـل فإن

ايسر مالـك عندي الطاعة وإني باذ لهالك ، فقال له علي (رض) أريد منك أن تسير إلى الشام فقد وليتكها ، فقال ابن عباس مـا هذا بـرأي ، معاوية رجل من بني أمية وهو ابن عم عثمـان وعامله ولست آمن أن يضـرب عنقي بعثمان وإن أدنى ما هو صانع بي وإن أحسن إلي أن يحبسني ويحتكم في لقـرابتي منك ، وكلما حمل عايك حمل علي ، ولكن أرسل إليه الكتاب الذي كتبته مستقدمـه فيـه وانظر مـاذا يجيب ، قال فـأرسل إليـه علي مع بشيـر الجهني فأقـدم على معاوية بالكتاب فأخذه منه ووقف على ما فيه ولم يجب عليه بشيء وكلما تنجز جوابه لم يزده على قوله :

آدم ادامـة حصن أو فخـذ بيـدي	حر باضر وساتشب الجزل والضرما
في جـاركم وابنكم إذ كـان مقتله	شنعـاً شيت الاضـلاع واللممـا
أعني المسـود بها والسيـدون فلم	يوجد لهـا غيرنـا مولا ولا حكمـاً

حتى إذا كـان الشهر الثـالث من مقتل عثمـان ، وفي أواخـر صفـر دعـا معاوية رجلاً من بني عبس فدفع إليه طوماراً مختـوماً على غيـر كتابـه ليس في باطنه شيء وعنـوانه من معـاوية بن أبي سفيـان إلى علي بن أبي طالب (عليـه السلام) . وقال للعبسي إذا دخلت بالمدينة فادخلها نهاراً واعط عليـاً الطومـار على رؤوس الناس فإذا فضه وفتحه إلى آخره ولم يجد فيه شيئاً فنراه يقول لك مـا الخبر ، فقـل له كيت وكيت بكـلام أسره إلي رسـول الله ، ثم دعا معـاوية بشيرة الجهني رسول علي ، فجهزه مع رسوله جميعـاً فقدمـا المدينـة في اليوم الثامن من شهر ربيع الأول، فرفع رسول معاوية الـطومار على يـده عند دخـوله المدينة -وتبعه الناس ينظرون ما أجـاب معاويـة وعلموا أنـه يتعرض ويتشعب ، فدخل الرسول على علي بن أبي طالب وأعطاه ففض خـاتمه وفتحـه إلى أخره فلم يجد فيه كتابه ، فقـال للرسول مـا وراءك قال آمن قـال نعم إن الرسـول لا يقتل ، قال إني تركت ورائي أقواماً يـقـولـون لا نـرضى إلا بالقـود ، قال ممن قال يقولـون من خيط رقبة علي ، وتـركت ستين ألف شيخ يبكي تحت قميص عثمان وهو منصـوب لهم قد لبسـوه منبر مسجـد دمشق وأصابـع زوجته معلقـة فيه ، فقال علي عليه السلام ، أمني يطلبون دم عثمان اللهم إني أبرأ إليك من

دم عثمان ما نجا والله قتلة عثمان إلا أن يشاء الله ، فإنه إذا أراد أمراً بلغه أخرج قال وأنا آمن قال وأنت آمن فخرج العبسي وأراد الناس أن يقتلوه ، فقالوا ما هذا الكلب رسول الكلاب يتكلم بمثل هذا ، ولولا أمان علي (عليه السلام) لقتلناه ثم أحب أهل المدينة بعد ذلك أن يعلموا رأي علي (رض) في معاوية هل يقاتله أو ينكل عنه ، وقد بلغهم أن ابنه الحسن (رض) دعا إلى القعود ، ونزل الناس فتقدم إليه زياد بن حنلة التميمي وكان منقطعاً إلى علي (عليه السلام) فجلس إليه ساعة فقال له علي (عليه السلام) يا زياد تجهز فقال لأي شيء يا أمير المؤمنين فقال لحرب أهل الشام فقال زياد الاناة والرفق يا أمير المؤمنين امتثل يا أمير المؤمنين وانشد:

ومن لم يصانع في أمور كثيرة يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم

فقال علي بن أبي طالب عليه السلام :

متى تجتمع القلب الذكي وصارما وأنفاً حميا تجتنبك المظالم

فخرج زياد من عنده والناس ينتظرونه ، فقالوا له ما وراءك قال السيف فعرفوا ما هو فاعل ثم إن علياً رضي الله عنه تجهز يريد الشام لقتل معاوية ، فدعا بمحمد بن الحنفية فأعطاه اللواء وجعل عبدالله بن عباس ميمنة وعمرو ابن سلمة ميسرة وجعل أبا ليلى عمر بن الجراح بن أبي عبيدة بن الجراح على مقدمته ، واستخلف على المدينة قثم بن العباس وكتب إلى العراق إلى قيس بن سعد والي عثمان بن حنيف وإلى أبي موسىٰ الأشعري أن يندبوا الناس إلى الخروج إليه إلى قتال أهل الشام وقال لأهل المدينة : إن في سلطان الله تعالى عصمة لأمركم فأعطوه طاعتكم غير ملومة ولا مستكرهين لها لعل الله تعالى أن يلم شعثكم ويجمع كلمتكم ويصلح بكم ما يريد هؤلاء القوم فساده . فبينما هم كذلك على قصدهم التوجه إلى الشام إذ أتاهم الخبر عن طلحة والزبير وعائشة أنهم على الخلاف وأنهم قد سخطوا مأربه وهم يريدون الخروج إلى البصرة

وكان سبب ذلك أن طلحة والزبير لما قدما من المدينة إلى مكة وجدا

عائشة فقالت لهما ما وراءكما ، قالا إنا تحملنا هرباً من المدينة من غوغاء أعراب وفارقنا قومنا حيارى لا يعرفون حقاً ولا ينكرون باطلاً ولا يمنعون أنفسهم ، فقالت ننهض إلى هذه الغوغاء فقالوا كيف يكون فقالت أو نأتي الشام ، فقال ابن عامر وكان قد أتى من البصرة إلى مكة بعد مقتل عثمان لا حاجة لكم في الشام فقد كفاكم معاوية ، ولكن نأتي البصرة فإن لي بها صنايع ، ولي بها المال ولأهل البصرة في طلحة هوى وهو الأوفق بنا والأليق، فاستقام رأيهم على التوجه إلى البصرة وأجابتهم عائشة إلى ذلك ، ودعوا عبدالله بن عمر ليسير معهم فأبى قال أنا من أهل المدينة أفعل ما فعلوه فتركوه ، وأرادت حفصة اخت عبدالله بن عمر المسير معهم فمنعها أخوها عبدالله بن عمر ، وجهزهم يعلى بن منية بستمائة ألف درهم وستمائة بعير ، وكان من عمال عثمان على اليمن قدم مكة بعد مقتل عثمان ، ونادى منادي عائشة أن أم المؤمنين وطلحة والزبير شاخصون إلى البصرة فمن أراد إعزاز الدين وقتال المحلين والطلب بثأر عثمان وليس له مركب وجهاز فليأت ، فحملوا ستمائة على ستمائة وساروا في الف من أهل المدينة ولحقهم أناس آخرون فكانوا ثلاثة آلاف رجل ، وأعطى يعلى بن منية عائشة جملاً اسمه عسكر اشتراه لها بمائتي دينار وقيل بل كان الجمل لرجل من عرينة ، قال العريني بينما أنا راكب على جمل لي إذ عرض لي والبة بن الحباب ، قال اتبيع جملك قلت نعم ، قال بكم قلت بألف درهم قال امجنون أنت ؟ قلت ولم وأنا والله ما طلبت عليه أحداً إلا لحقته ، ولا طلبني أحد إلا فته ، قالوا لا تعلم لمن نريده إنما نريده لأم المؤمنين عائشة قلت فخذه بغير ثمن ، قال بل تذهب معنا إلى الرجل فنعطيك دراهم وناقة ، قال فرجعت فأعطوني ناقة مهرية وستمائة درهم ، وبعثت أم الفضل ابنة الحرث أم عبدالله بن العباس (رض) رجلاً من جهينة استأجرته يسمى ظفراً إلى علي بن أبي طالب عليه السلام يخبره بخروج طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة ، قال وخرجت عائشة ومن معها من مكة فلما خرجوا منها وصاروا على مرحلة وجاء وقت الصلاة أذّن مروان بن الحكم ، ثم جاء حتى وقف على طلحة والزبيْر وابنيهما جالسين

عندهما فقال لهما على أيكما اسلم بالإمارة وأؤذن بالصلاة فقال عبدالله بن زبير على أبي ، وقال محمد بن طلحة على أبي ، فبلغ ذلك عائشة فأرسلت إلى مروان وقالت تريد أن يفترق أمرنا ليصلّ بالناس عبد الرحمن بن عتاب ابن أسيد ، فكان معاذ بن جبل يقول والله لو ظفرنا لاقتتلنا ما كان الزبير يترك طلحة والأمر ، ولا كان طلحة يترك الزبير ، وخرج مع عائشة أمهات مودعات لها إلى ذات عرق ، وبكوا على الإسلام فلم يـر يوم كان أكثر باكياً من ذلك اليوم وكان يسمى يوم النحيب ، ثم انهم ساروا متوجهين إلى نحو البصرة وسار علي (رض) من المدينة في معسكره على قصده الشام ، وكان ذلك في آخر شهر ربيع الآخر سنة خمس وثلاثين ، فبينما هو في مسيره إذ أتاه رسول أم الفضل (رض) يخبره عن طلحة والزبير وعائشة بما كان منهم ، وخرجوا من مكة قاصدين إلى البصرة فلما بلغه ذلك دعا وجوه أهل المدينة فخطبهم ، فحمد الله وأثنى عليه وقال إن آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما يصلح أوله فانصروا الله تعالى ينصركم ويصلح أمركم ثم إن علياً (رض) اعرض عن قصد الشام وحث المسير إلى جهة البصرة رجاء أن يدرك طلحة والزبير قبل وصولهما اليها فيراهما ويناجزهما ، فلما انتهى إلى الربذة أتاه الخبر بأنهم سبقوا إلى البصرة وقد نزلوا بقبابها . قال علقمة بن وقاص الليثي رأيت طلحة في مخرجه هذا مع الزبير وعائشة بعد بيعة أهل البصرة لهم وأحب المجالس إليه اخلاها وهو ضارب بيده على لحيته مفكراً ، فقلت له يا أبا محمد إني أرى أحب المجالس إليك اخلاها وإني لم أزل أراك ضارباً بيدك على لحيتك مفكراً إن كرهت شيئاً فاجلس ، قال فقال يا علقمة بينما نحن على يد واحدة على من سوانا صرنا جبلين من حديد يطلب بعضنا بعضاً ، يا علقمة إنه كان مني في عثمان شيء ليس توبتي منه إلا أن يسفك دمي في طلب دمه ، قال فقلت رد ابنك محمداً فإن لك ضياعاً وعيالاً فإن يك شيئاً يخلفك ، قال فكلمه لعله يسمع منك ، قال فأتيت ابنه محمداً فقلت له أقمت فإن حدث في أبيك حدث كنت تخلفه في عياله وضياعه ، قال ما أحب أن أسأل عنه الركبان.

ويروى أن طلحة قال في بعض هذه الأيام الفتنة التي كنا نتحدث بها

فقال له بعض مواليه تسميها فتنة وتقاتل فيها ، فقال له ويلك إنا نبصر ولا تبصروا وما كان أمر قط إلا وأنا أعلم موضع قدمي فيه غير هذا الأمر ، فإني لا أعلم أنا مقبل فيه أم مدبر . وحدث شهاب بن طارق قال خرجت مستقبلاً لعلي أيام خروجه إلى الجمل فكان صديقاً لي فلقيته وقد ترك الربذة فسألت ما أقدمه الربذة ، فقيل لي خالفه طلحة والزبير وعائشة وتوجهوا إلى البصرة وهم على وجه القتال ، فقلت في نفسي أقاتل حواري رسول الله (ص) وأم المؤمنين فهذا عظيم . قال ثم أتيت علياً فسلمت عليه وجلست إليه فأقبل بوجهه إلي ثم قص علي قصته وقصة القوم ، فلما فرغ اذن بالصلاة فصلى بنا الظهر ثم انفتل ، فقام إليه ابنه الحسن (رض) فجلس بين يديه فبكى وقال يا أبت أمرتك بأمر فعصيتني ثم أمرتك وها أنت تقبل غداً بمضيعة من الأرض ولا ناصر لك ، فقال له علي (رض) ما عندك انك لا تزال تحن حنين الجارية ، ما الذي أمرتني فزعمت أني عصيتك فيه ، قال أمرتك حين أحاط الناس بعثمان أن تعزل ناحية فإن الناس إن قتلوه طلبوك حيث كنت فبايعوك ، فلم تفعل ثم قتل عثمان فلما أتاك الناس يبايعونك امرتك بأن لا تفعل حتى يجتمع الناس ويأتيك وفود العرب فلم تفعل ، ثم جاءك طلحة والزبير فأمرتك أن لا تتبعهما وتدعهما فإن اجتمعت إليك الأمة قبلت ذلك منهما ، وإن اختلفت رضيت بقضاء الله ، قال له علي (رض) والله لا أكون كالضبع ينتظر اللدم حتى يدخل طالبها وجارها فيدخل الحبل في رجلها ثم يقول ذباب ذباب فيقطع عروقها ، ولكن أبوك يضرب المدبر بالمقبل والعاصي بالطائع والمخالف بالسامع ثم الأمر لله يفعل ما يشاء : « اللدم شيء يحرك عند غار الضبع حتى تسمعه فترتاع من صوته فتنحجر في غارها فيدخل عليها طالبها وهو يقول ذباب ذباب فيربطها أي لا انخدع كما ينخدع الضبع » . ثم إن علياً (رض) كتب من الربذة إلى طلحة والزبير يقول لهما أما بعد يا طلحة ويا زبير فقد علمتما اني لم أرد الناس حتى ارادوني ، ولم أبايعهم حتى أكرهوني وأنتما أول من بادر إلى بيعتي ، ولم تدخلا في هذا الأمر بسلطان غالب ولا لعرض حاضر ، وأنت يا زبير ففارس قريش وأنت يا طلحة فشيخ المهاجرين

ورفعكما هذا القبر قبل أن تدخلا فيه كان أوسع لكما من خروجكما منه ، ألا وهؤلاء بنو عثمان هم أولياؤه المطالبون بدمه وانتما زجلان من المهاجرين وقد أخرجتما أمكما من بيتها التي أمرها الله تعالى أن تقر فيه والله حسبكما والسلام . وكتب إلى عائشة أما بعد خرجت من بيتك تطلبين أمراً كان منك موضوعاً ثم تزعمين انك لن تريدين إلا الاصلاح بين الناس فخبريني ما النساء وقود العسكر ، وزعمت أنك مطالبة بدم عثمان وعثمان من بني أمية وأنت امرأة من بني تيم بن مرة، لعمري إن الذي اخرجك لهذا الأمر وحملك عليه لأعظم ذنباً إليك من كل أحد فاتق الله يا عائشة وارجعي إلى منزلك ، واسبلي عليك سترك والسلام فرجع الجواب، يابن أبي طالب جل الأمر عن العناد وضاق الوقت عن الجواب . ثم أن علياً (رض) كتب إلى أهل الكوفة وسير كتابه مع محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر (رض) يقول لهم إني أخرتكم على أهل الأمصار وفزعت اليكم لما حدث ، فكونوا للدين أعواناً وأنصاراً ، فانهضوا إلينا فالإصلاح نريد لتعود هذه الأمة اخواناً فمضيا ، وأرسل علي (رض) إلى أهل المدينة فأتاه ما أراد من دابة وسلاح وقام في الناس فخطبهم ، فقال ان الله تعالى أعزنا بالإسلام ورفعنا به وجعلنا به اخوانا بعد ذلة وتنافر وتباغض ، فجرى الناس على ذلك ما شاء الله تعالى ، الإسلام دينهم والحق مذهبهم والكتاب امامهم حتى أصيب هذا الرجل بأيدي هؤلاء القوم الذين يرغمهم الشيطان لينزع بين هذه الأمة ، إلا وإن هذه الأمة لابد مفترقة كما افترقت الأمم قبلها فنعوذ بالله من شر ما هو كائن . ثم عاد ثانية فقال لابد مما هو كائن أن يكون ألا وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة شرها فرقة تنتحلني ولا تعمل بعملي وقد أدركتم ورأيتم فالزموا دينكم واهتدوا بهدى محمد (ص) واتبعوا سنته واعرضوا ما أشكل عليكم على القرآن فما عرفه القرآن فالزموه وما أنكره فردوه ، وارضوا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد (ص) نبياً ورسولاً وبالقرآن حكماً وإماماً ، ثم سار علي (رض) من الربذة إلى ذي قار ، وأما المحمدان ، محمد بن أبي بكر ومحمد ابن جعفر (رض) فإنهما أتيا الكوفة ودخلا بالكتاب على أبي موسى الأشعري

فقرأه على الناس فلم يجابا بشيء ، فلما كان الليل دخل ناس من ذوي الحجا على أبي موسىٰ الأشعري فقرأه على الناس فقالوا ما ترى في الخروج فقال كان الرأي بالأمس ليس اليوم ، إن الذي تهاونتم به فيما مضى هو الذي جر عليكم ما ترون اليوم ، وإنما هو أمران القعود سبيل الآخرة والخروج سبيل الدنيا ، فاختاروا فلم ينفر إليهما أحد فغضب المحمدان وأغلظا لأبي موسى القول ، فقال لهما والله إن بيعة عثمان لفي عنقي وعنق صاحبكما ، فإن لم يكن بد من قتال فلا نقاتل أحداً حتى يفرغ من قتلة عثمان حيث كانوا فانطلقا إلى علي رضي الله عنه فأخبراه الخبر وهو بذي قار ، فقال للاشتر وكان معه أنت صاحبنا في أبي موسى والمعترض في كل شيء ولم نقر أبا موسى على عمل الكوفة إلا برأي منك إذهب أنت والحسن بن علي والعمار فأصلح ما أفسده ، فخرجوا وقدموا الكوفة فدخلوها والناس في المسجد وأبو موسى يخطبهم ويثبطهم ، ويقول أيها الناس إن أصحاب محمد الذين صحبوه أعلم بالله ورسوله ممن لم يصحبه ، وإن لكم علينا حق النصيحة وإن هذه فتنة صماء ، ولقد سمعت رسول الله (ص) يقول ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم ، والقائم خير من الماشي ، والماشي خير من الراكب ، وقد جعلنا الله تعالى إخواناً وحرم علينا دماءنا وأموالنا . فقام إليه الحسن بن علي (رض) فسكَّته ، وقال اعتزل عملنا يا شيخ لا أم لك ، فقال أجلني هذه العشية فقال هي لك ، ثم قام الحسن رضي الله عنه فصعد المنبر فخطب ، فقال أيها الناس أجيبوا دعوة أميركم فانفروا إلى إخوانكم والله لئن بلي هذا الأمر أو النهي فإنه مثل في العاجل والآجل،وخير لكم في العاقبة فأجيبوا دعوتنا على ما ابتلينا به وابتليتم ، فإن أمير المؤمنين يقول قد خرجت مخرجي هذا ظالماً أو مظلوماً ، وإني أذكر الله تعالى رجلاً رعى حق الله بفرقان إن كنت مظلوماً ما أعانني ، وإن كنت ظالماً أخذ مني والله إن طلحة والزبير أول من بايعني ، وأول من خرج علي فهل استأثرت بمال أو بدلت حكماً ، فانفروا فأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر . وقام عمار رضي الله عنه فتكلم أيضاً .

روى البخاري في صحيحه عن أبي مريم عبدالله بن زياد الأسدي قال

لما سار طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة ، بعث علي (عليه السلام) عمار ابن ياسر وابنه الحسن فقدما علينا الكوفة وصعدا المنبر ، وكان الحسن بن علي ، (عليه السلام) في أعلى المنبر ، وعمار (رض) اسفل من الحسن ، فاجتمعنا إليهما فسمعت عماراً يقول إن عائشة سارت إلى البصرة والله إنها لزوجة نبيكم (ص) في الدنيا والآخرة ، ولكن الله ابتلاكم ليعلم إياه تطيعون أم هي ، انتهى . وجعل الأشتر (رض) لا يمر بقبيلة ولا بجماعة إلا دعاهم فتسامع الناس وأجابوه، فقام هند بن عمر وقال لقومه إن أمير المؤمنين قد دعانا وأرسل إلينا رسل مع ابنه الحسن فاستمعوا لقوله وانتهوا إلى أمره وأعينوه برأيكم وانظروا معه في هذا الأمر . وقام حجر بن عدي رحمه الله ، فقال أيها الناس أجيبوا أمير المؤمنين وانفروا خفافاً وثقالاً فانفروا وأنا أولكم وأذعن للمسير ، فقال الحسن أيها الناس إنا عازمون فمن شاء منكم أن يخرج معنا على الظهر ، ومن شاء في المساء فنفر معهم قريب تسعة آلاف ومائتان في البر ، والفان وثمانمائة في البحر ، فقدموا على أمير المؤمنين عليه السلام بذي قار فلقيهم في ناس من وجوه أصحابه ، منهم عبدالله بن عباس (رض) فرحب بهم ، وقال يا أهل الكوفة انتم قتلتم ملوك العجم وفضضتم جموعهم حين صار إليكم ثروتهم وأغنيتم حوزتكم واعنتم الناس على عدوهم ، وقد دعوناكم لتشهدوا معنا إخواننا من أهل البصرة فإن رجعوا فذاك الذي نريد ، وإن يلحوا دارينا بالرفق حتى يبدأونا بظلم، ولم ندع أمراً فيه صلاح إلا آثرناه على ما فيه الفساد إن شاء الله تعالى ، ثم دعا علي (رض) بالقعقاع فأرسله إلى أهل البصرة ، وقال له الق هذين الرجلين يعني طلحة والزبير وكان القعقاع من أصحاب النبي (ص) ، فادعهما إلى الألفة والجماعة وعظم عليهما الفرقة والمبايعة ومثلك يعلم كيف يصنع فخرج القعقاع حتى قدم البصرة فبدأ بعائشة ، فقال أي أم ما اشخصك ما أقدمك هذه البلدة ، فقالت أي شيء لإصلاح بين الناس ، قال فابعثي إلى طلحة والزبير حتى تسمعي كلامي وكلامهما فبعثت إليهما فحضرا فقال لهما القعقاع (رض) إني سألت أم المؤمنين ما أقدمها ، قالت الإصلاح فما تقولان أنتما متابعان أم مخالفان ،

فقالا بل متابعان ، فقال اخبراني ما وجه الإصلاح فوالله إن عرفتماه لتصلحن وإن أنكرتما لا يقع شيء ، قالا قتلة عثمان ، فقال لهما القعقاع هذا ما لا يكون في هذا الوقت ولا يتهيأ ، فالرأي عندي تسكين هذه الثائرة في هذه الساعة وحقن دماء المسلمين فإذا سكنت فاختلجوا وليس لهذا الأمر دواء غير هذا ، وإن أبيتم إلا مكابرة هذا الأمر واعتسافه كانت علامة شر وذهاب الأموال والأرواح فارتزقوا العافية ترزقوها ، وكونوا مفاتيح خير ولا تتعرضوا للبلاء فيصرعنا وإياكم ، وايم الله إني لا أقول هذا القول وأدعوكم وإني لخائف أن لا يتم حتى يأخذ الله حاجته من هذه الأمة ، فقالوا قد أصبت وأحسنت فإن قدم علي على مثل رأيك هذا فقد صلح الأمر ، فرجع القعقاع إلى علي وأخبره بذلك فسر به واعجب وأشرف القوم على الصلح ، وكره ذلك من كرهه ورضيه من رضيه وأقبلت وفود العرب من البصرة نحو علي (ع) بذي قار لينظروا ما رأى إخوانهم من أهل الكوفة ، فأخبروهم أن الذي عليه رأيهم الإصلاح ، ولا خطر لهم القتال على بال ، وسأل علي (رض) جريراً عن طلحة والزبير ، فقال أما الزبير فإنه يقول بايعنا كرهاً وأما طلحة فإنه يتمثل بالأشعار فيقول شعراً :

ألا بلغ بني بكر رسولاً — فليس إلى بني كعب سبيل
سيرجع ظلمكم منكم عليكم — طويل الساعدين له وصول

فتمثل علي عليه السلام بقوله :

ألم تعلم أبا سمعان أنا — برد الشيخ مثلك ذا الصداع
ونذهل عقله بالحرب حتى — يقوم فيستجيب بغير داع
فدافع عن خزاعة جمع بكر — وما بك يا سراقة من دفاع

ثم أن علياً (رض) قام خطيباً في الناس فحمد الله تعالى وأثنى عليه وذكر الجاهلية وشقاها والإسلام وسعادة الناس به ، وإنعام الله على الأمة بالجماعة والخليفة بعد رسول الله (ص) ، ثم الذي يليه ثم حدث هذا الأمر الذى جرت على الأمة أقوام طلبوا الدنيا وحسدوا من أفاء الله تعالى منها ،

وأرادوا رد الإسلام والأمور على أدبارها والله بالغ أمره ، ثم قال علي عليه السلام ، ألا وإني راحل غداً فارتحلوا ولا يرتحلن أحد أعان على قتل عثمان بشيء من أمور الناس ، وليغن السفهاء عن أنفسهم ، فشق ذلك على الذين خرجوا على عثمان وكان معه منهم بذي قار الفان وخمسمائة ، وباتوا بأسوأ ليلة وهم يتشاورون فقال لهم رئيسهم عبدالله بن سبأ وهو الشهير بابن السوداء ، يا قوم ان عزكم في مخالطة الناس فلا تتركوا علياً والزموه ، فإذا كان غداً والتقى الناس فانشبوا القتال فمن كنت معه لا يجد بد من أن يمتنع ، فإذا اشتغل الناس بالناس ننظر ماذا يكون فتفرقوا على رأيه ، وأصبح علي عليه السلام على ظهر حتى نزل على عبد القيس فانضموا وسار من هناك يريد البصرة ، فقام إليه الأعور بن بيان المنقري فقال يا أمير المؤمنين ما تريد بإقدامك إلى البصرة فقال الإصلاح واطفاء الثائرة لعل الله تعالى يجمع شمل هذه الأمة بنا ويضع حربهم ، قال فإن لم يجيبوا قال تركناهم فاتركونا ، قال فإن يتركوا قال دفعناهم عن أنفسنا ، قال فهل لهم من هذا مثل الذي عليهم قال نعم ، وقام إليه أبو سلام الدلاني فقال يا أمير المؤمنين أترى لهؤلاء القوم حجة بتأخير ذلك ،قال نعم إن الشيء إذ كان يدرك فإن الحكم فيه ما كان أحرجه واعمه نفعاً ، قال فما حالنا وحالهم إن ابتلينا غداً بقتالهم ، قال إني لأرجو أن لا يقتل منا ومنهم أحد وقلبه مخلص لله تعالى إلا ادخله الله تعالى الجنة ، وسار طلحة والزبير وعائشة فالتقوا عند قصر عبيد الله بن زياد فنزل الناس هناك وهم يتراؤن ، فأقاموا ثلاثة أيام لم يكن بينهم شيء إلا الصلح وهم يتراسلون ، وكان نزولهم في النصف من جمادى الآخرة سنة ثمان وثلاثين ، فقام علي عليه السلام فخطب أصحابه فقال أيها الناس املكوا عن هؤلاء أيديكم ، وإياكم أن تسبقوا إلى شيء فإن المخصوم غداً من خصم اليوم ، وكانت عائشة حين نزولهم نزلت في الأزد ويرأس الأزد يومئذٍ صبرة بن سبحان ، فقال له كعب بن سوران الجموع إذا تراءت لم تستطع كفافها إنما هي نحو تدفق ، فاطعني ولا تشهدهم واعتزل بقومك ، فإني اخاف أن لا يكون صلح ،ودع مضراً أو ربيعة فإنهما أخوان فإن اصطلحا أردنا وإن اقتتلا كنا حكاماً عليهم غداً ، وكان كعب في الجاهلية على دين النصرانية فقال له صبرة

أخشى أن يكون فيك شيء من دين النصرانية ، أتأمرني أن أغيب عن اصلاح بين الناس ، وأخذل أم المؤمنين وطلحة والزبير إذا أرادوا الصلح ، والله لا أفعل ذلك أبداً ، فاطبق أهل اليمن على الحضور وحضر مع عائشة المنجاب ابن راشد في الرباب، وهم تيم وعدي وثور وعكل بنو عبد مناف بن طابخة ابن الياس بن مضر، وضبة بن أد بن طابخة، وحضر أيضاً أبو الحربا في بني عمر بن تيم وهلال بن وكيع في بني حنظلة ، وصبرة بن سبحان على الأزد ومجاشع بن مسعود السلمي على سليم ، وزفر بن الحارث في بني عامر وغطفان ، ومالك بن مشبع على بكر ، والحارث بن راشد على بني ناجية وعلى اليمن ذوي الأحمر الحميري فنزلت مضر على مضر ، وهم لا يشكون في الصلح ونزلت ربيعة إلى ربيعة ، واليمن إلى اليمن ، وكل قبيلة نزلت إلى أختها ، وكان أصحاب علي عليه السلام عشرين ألفاً ، وأصحاب طلحة والزبير وعائشة ثلاثين ألفاً ، فأرسل علي (ع) عشية اليوم الثالث من نزولهم عبدالله بن عباس إلى طلحة والزبير بالسلام ، وأرسل طلحة والزبير إلى علي بالسلام وترددت الرسل بينهم في الصلح فتداعوا إليه وشاع ذلك في الفئتين فسر الناس بذلك وباتوا بليلة لم يبيتوا بمثلها من الفرح والسرور ولما أشرفوا عليه من الصلح ، وبات الذين أثاروا أمر عثمان بأسوئها ليلة لما رأوه ونظروه من تراسل القوم وتصافيهم ، فباتوا يتشاورون ليلتهم ، فأجمع رأيهم على انشاب الحرب مع الفجر ، فلما كان غلس الصبح ثاروا إلى أصحاب طلحة والزبير مضرهم إلى مضرهم وربيعتهم إلى ربيعتهم ووضعوا فيهم السلاح ، فسارت كل قبيلة إلى اختها وقام الحرب بينهم وثبت القتال ولم يدر الناس كيف الأمر ولا كيف كان ، فقام في الميمنة أصحاب عبد الرحمن بن الحارث ، وفي الميسرة عبد الرحمن عتاب ، وفي القلب طلحة والزبير ، ثقالوا لاصحابهم كيف كان هذا الأمر ، قالوا لاندري إلا وقد طرقونا في غلس الصبح واضعين فينا السيوف ، فقال طلحة والزبير إن علياً لم يطعنا حتى يسفك الدماء وقام علي (ع) في أصحابه وقال كيف هذا فقال السبأية ما شعرنا الا وقد بيتونا فرددناهم فركبونا ، فثار الناس وثبت القتال ، فقال علي

(ع) قد علمت أن طلحة والزبير غير منتهين حتى يسفك الدماء وأنهما لم يطاوعا ، والسبأية لا تفر عن القتال وقد وضع الناس السيف في بعضهم بعضاً ، فأقبل كعب بن سور على عائشة فقال لها اركبي وقد أبى الناس إلا القتال ، فاركبوها هو دجاً والبسوا هودجها الأدراع وشدوا على جملها عسكر وأبرزوه للناس ، ثم إن علياً (عليه السلام) نادى في معسكره أيها الناس أنشدكم الله أن لا تقتلوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح ولا تستحلوا سبياً ولا تأخذوا سلاحاً ولا متاعاً ، ثم أنه عليه السلام رفع يديه إلى السماء وقال اللهم إن طلحة والزبير اعطياني صفقة أيديهما طائعين ، ثم نصبا لي الحرب ظاهرين ، اللهم فاكفيهما بما شئت فكيف شئت هذا كله وعلي عليه السلام على بغلة وعليه قميص ورداء وعمامة فلما أسفر النهار خرج علي (عليه السلام) ما بين الصفين وهو على تلك الصفة ، ونادى بأعلى صوته اين الزبير بن العوام فليخرج إلي فقال الناس يا أمير المؤمنين أتخرج إلى الزبير وأنت على هذه الهيئة وقد علمت أنه فارس قريش وبطلها ، فقال ليس له علي منة ، ثم نادى الثانية اين الزبير بن العوام فليخرج إلي فخرج إليه الزبير فدنا كل منهما من الآخر إلى أن اعتنق أعناق دوابهما فقال له علي (عليه السلام) ما حملك على ما صنعت يا زبير ، قال حملني على ذلك الطلب لدم عثمان ، فقال علي إن انصفت من نفسك ،أنت وأصحابك قتلتموه ، ولكني أنشدك الله يا زبير أما تذكر يوم قال لك رسول الله (ص) يا زبير اتحب علياً فقلت وما يمنعني من حبه وهو ابن خالي ، فقال لك أما إنك ستخرج عليه وأنت ظالم له ، فقال اللهم بلى قد كان ذلك ، فقال انشدك الله أتذكر يوم جاء رسول الله (ص) من عند بني عوف وأنت معه وهو آخذ بيدك فاستقبلته فسلمت عليه فضحك في وجهي وضحكت إليه ، فقلت أنت لا يدع ابن أبي طالب زهوة ، فقال لك (ص) مهلاً يا زبير ليس بعلي زهوة ولتخرجن عليه يوماً وأنت ظالم له ، فقال الزبير اللهم بلى ولكني قد نسيت ذلك ، وبعد أن ذكرتنيه لانصرفن ولو ذكرت هذا قبل ما خرجت عليك ، ولكن هذا تصديقاً لقوله (ص) ثم كر راجعاً ، فقالت عائشة ما وراءك يا أبا عبدالله ، فقال لها والله ما وقفت موقفاً

ولا شهدت مشهداً في شرك ولا إسلام إلا ولي فيه بصيرة ، وأما اليوم على شك من أمري وما أكاد أبصر موضع قدمي ، ثم شق الصفوف وخرج من بينهم وأخذ طريق مكة ، فنزل على قوم من بني تميم فقام إليه عمر بن جرموز المجاشعي فضيفه وخرج معه إلى وادي السباع واراه أنه يريد مسايرته ومؤانسته فقتله غيلة بعد أن خدعه بذلك وأخذ سيفه وخاتمه ومضى يؤم علياًبن أبي طالب (عليه السلام) فلما وصله سلم عليه وهناه بالفتح وأخبره بقتله للزبير بن العوام ، فقال له علي أبشر بالنار يعني قوله بشر قاتل ابن صفية بالنار ؛ قال ابن جرموزانا لله وأنا إليه راجعون إنا إن قاتلناكم فنحن في النار ، وإن قتلنا لكم فنحن في النار، فقال علي بن أبي طالب ذلك شيء سبق لابن صفية .

وأما طلحة فأصابه سهم غريب ، فشك رجله بصفحة الفرس وهو ينادي عباد الله الصبر الصبر ، فقال له القعقاع بن عمرو يا أبا محمد إنك تجزع وإنك لفي شغل عما تريد ادخل البيوت فدخل ودمه يسيل وهو يقول اللهم خذ لعثمان مني حتى يرضى ، فلما امتلأ خفه دماً قال لغلامه اركب من خلفي واسكني وابغني مكاناً أنزل فيه ، فدخل به البصرة وأنزله في دار من خرابها قريباً من ظاهرها فمات من فوره ، وقيل أنه اجتاز به رجل من أصحاب علي (ع) فقال أنت من أصحاب أمير المؤمنين قال نعم ، قال امدد يدك أبايعك فبايعه خوفاً من أن يموت وليس في عنقه بيعة، ولما قضى دفن في بني سعد بظاهر البصرة ، قال ولم أر شيخاً أضيع دماً مني وتمثل عند دخوله البصرة بقوله شعراً :

فإن تكن الحوادث اقصدتني ... واخطاهن سهمي حين أرمي
فقد ضيعت حين تبعت سمعاً ... سفاهة ما سفهت بفضل حلمي
أطعتهم بفرقة آل طه ... فالقوا للسباع دمي ولحمي

وكان الذي رمى طلحة مروان بن الحكم وقيل غيره والله أعلم . ثم ما كان بأسرع من أن افجأ الناس هزيمة طلحة والزبير ، وأطافت الخيل بالجمل

فلما رأى المنهزمون إطافتهم بالجمل عادوا قلباً واحـداً بحيث كانـوا أول مرة ، تواقفوا فوقفت مضر البصـرة لمضر الكـوفة وربيعتهـا لربيعتهـا وتيمها لتيمهـا ، فاقتتلوا أشد القتال وأعظمـه وأكثر ممـا كان أول مـرة واختلط القوم بعضهم في بعض ، فما رأى قبلها ولا بعدها ولا أكثر ذراعاً مقطوعاً ولا يداً مقطوعـة ، ولم يـزل الأمر كـذلـك حتى قتـل خلق كثيـر ولا يحصـون من الفريقين على خطام الجمل ، قال وأخـذ الخطام سبعون رجلاً من قـريش ما نجـا منهم واحد بـل كلهم قتلوا ، وكان ممن أخذ بخطام الجمل محمـد بن طلحة فجعـل لا يحمل عليه أحد إلا من قـال « حم لا يبصرون » وكـان ذلك من شعـار أصحاب علي (عليـه السلام) وكـان علي عليه السـلام قـد أذن في أصحـابـه بـأن لا يقتـل محمد بن طلحة من عسى أن يظفر بـه ولا يتعرضـه أحد بسـوء ، فحمل عليـه شريح بن أوفى العبسي فقال حم وقد سبقه شريـح بالـطعنة فـأتى على نفسه ، فكـان كما قيـل سبق السيف العـذل وكـان محمـد .بن طلحـة هـذا من العبـاد والزهاد واعتزل الناس على جانب ، وإنما خرج براً بأبيه وكان يعرف بـالسجاد لكثرة صلاته وسجوده وفي ذلك يقول قاتله شريح بن أوفى العبسي :

وأشـعـث قـوام بـآيات ربـه ... قليل الأذى فيما ترى العين مسلم
شككت بصدر الرمح جيب قميصه ... فخـر صـريعـاً لليـدين ولـلفم
على غير شيء غير أن ليس تـابعاً ... عليـاً ومن لا يتبـع الحق ينـدم
يـذكـرني حم والـرمـح شـاجـر ... فهـلا تـلا حم قـبـل التـقـدم

وأخذ بخطام الجمل عمر بن الأشرف ، فجعل لا يدنو منه أحد إلا خبطه فأقبل إليه الحارث بن زهير الأسدي وهو يقول :

يـا أمنـا يـا خيـر أم تعلم ... أمـا تـرين كم شجـاع مكلم
وتجتـلي هامتـه والـمعصـم

وحمـل كل واحـد منهما على صـاحبه فـاختلفا بضـربتين فوقعت ضـربة واحد منهما على الآخر فقتلته وأحدقت أهل النجدات والشجاعة بالجمل فكان لا يأخذ أحد بخطام الجمـل إلا قتل ، وكـان لا يأخـذه إلا من تنسب وقال أنـا

فلان بن فلان الفلاني فوالله إن كان إلا الموت الأحمر وما أخذه أحد ثم أفلت منه فعاد إليه .

وجاء عبدالله بن الزبير وأخذ بخطام الجمل وهو ساكت لم يتكلم اسماً فجاءه الأشتر (رض) وهو آخذ بالخطام فاقتتلا قتالاً شديداً فضربه الأشتر (رض) على رأسه فجرحه جراحة خفيفة ثم اعتنق كل واحد منهما بصاحبه وسقطا على الأرض ، فقال ابن الزبير اقتلوني ومالكاً فلم يعرفوا مالكاً منه ولو عرفه أصحاب ابن الزبير لقتلوه ، ثم أنهما افترقا فجاء الأشتر يقول لقيت في ذلك اليوم جماعة من الأبطال فما لقيت منهم ما لقيت من ابن الزبير ، ولقيت من عبد الرحمن بن عتاب أشد من ذلك لقيته أشد الناس بأساً وأشجعهم قلباً وأثبتهم جأشاً وما كدت أن أنجو منه وتمنيت أني لم أكن لقيته ، وما رأى مثل ذلك اليوم وكثرة من أصيب يوم الجمل ومن قتل حوله من العسكرين وقتل عليه خلائق لا يحصون ، وقطعت عليه أيد كثيرة حتى صاح علي اعقروا الجمل إن يعقر الجمل تفرق الناس ، فانتدب رجل يقال له بحتر بن دلجة الكلابي فضرب ساقه فسقط إلى الأرض فانهزم الناس، وتفرق أصحاب عائشة فجاء القعقاع وورقة بن نوفل فقطعا ابطان الجمل وحملا الهودج وأنزلاه إلى الأرض وفيه عائشة وأن الهودج لكان كقنفذ لما فيه من السهام ، ثم أطافا به وفر من فر وانهزم من انهزم ،فأمر علي (عليه السلام) بالنداء في الناس أن لا يتبعوا مدبراً ولا يجهزوا على جريح ولا يدخلوا داراً ولا يدزوا سلاحاً ولا ثياباً ولا متاعاً وأمر علي (عليه السلام) بأن يحمل الهودج من بين القتلى وأرسل إلى عائشة أخاها محمد بن أبي بكر وأمره أن يضرب عليها قبة ، وقال انظر هل وصل إليها شيء من سهوم أو جرح، فأدخل رأسه في هودجها فقالت من أنت قال ابغض أهلك إليك قالت ابن الخثعمية ، قال نعم قالت يا ابن أبي الحمد لله الذي عافاك . فلما كان الليل أدخلها أخوها إلى البصرة وأنزلها في دار عبدالله بن خلف الخزاعي على صفية بنت الحرث بن أبي طليحة بن العزى بن عثمان بن عبد الدار وهي أم طلحة الطليحات ، وتسلل الجرحى ليلاً من بين القتلى فدخلوا البصرة ، وأقام علي (عليه السلام) بظاهر البصرة

ثلاثاً وأذن للناس في دفن قتلاهم فخرجوا إليهم فدفنوهم، وطاف علي (عليه السلام) على القتلى فلما أتى كعب بن سور ، قال زعمتم أن لا يخرج معهم الا السفهاء ، وأتى علي (عليه السلام) على عبد الرحمن بن عتاب فقال هذا يعسوب القوم الذي كانوا يطوفون به واجتمعوا على الرضى به لصلاتهم ، وأتى علي عليه السلام على قبر طلحة بن عبيدالله فقال لهفي عليك يا أبا محمد إنا لله وإنا إليه راجعون ، والله لقد كنت أكره أن أرى قريشاً صرعىٰ أنت والله يا أبا محمد كما قال الشاعر :

متى كان يدنيه الغنى من صديقه إذا ما هو استغنى واسعده الفقر

وأتى علي ابنه محمد وهو صريع فوقف عليه وقال هذا رجل قتله بره بأبيه . وصلّى علي (عليه السلام) على جميع القتلى من أهل البصرة والكوفة وغيرهم ، وأمر فدفنت الأطراف جميعاً في قبر عظيم وجمع ما في العسكرين من سلاح وثياب وطرح في المسجد وقال من عرف شيئاً فليأخذه إلا سلاحاً في الخزائن عليه سمة السلطان .

ولما فرغ عليه (عليه السلام) من الوقعة أتى الأحنف بن قيس في بني سعد ، يهنونه بالنصر فقال له علي (عليه السلام) تربصت يا أحنف ، فقال الأحنف ما كنت أرى إلا أني قد أحسنت ، وبأمرك كان ما كان يا أمير المؤمنين ارفق فإن طريقتك التي سلكت بعيد وأنت إلى غد أحوج منك إلى أمس فاعرف إحساني واستبق مودتي لغد ، ولا تقل مثل هذا فإني لم أزل لك ناصحاً ، ودخل علي (عليه السلام) البصرة يوم الإثنين فبايعه أهلها على راياتهم حتى الجرحى والمستأمنة ، ثم راح إلى عائشة وهي في بيت عبدالله ابن خلف وهي أعظم دار بالبصرة فسلم عليها وجلس إليها، ثم أن عائشة سألت عن الناس ومن قتل منهم ممن كان معها ومع علي ، فكلما نعي واحد من الفئتين قالت يرحمه الله فقيل لها كيف ذلك قالت كذلك قال رسول الله فلان في الجنة وفلان في الجنة وقال علي (عليه السلام) إني لأرجو أن لا يكون أحد قتل منا ومنهم وقلبه نقي مخلص لله تعالى إلا أدخله الله الجنة ، ثم إن علياً (ع) جهز عائشة بكل ما ينبغي لها من مركب وزاد وغير ذلك ، وبعث

معها كل من نجا ممن كان معها في الوقعة من أصحابها إلا من أحب الإقامة واختار لها اربعين امرأة من نساء أهل البصرة المخبورات المعروفات سيرهن معها وسير معها أخاها محمد بن أبي بكر ، ولما كان اليوم الذي ارتحلت فيه عائشة أتاها علي (عليه السلام) بنفسه فوقف لها وحضر الناس لوداعها ، فقالت يا بني لا يغضب بعضنا على بعض والله لم يكن بيني وبين علي في القديم إلا ما يكون بين المرأة وحماها، وأنه على معتى لمن الأخيار ، فقال علي (عليه السلام) صدقت والله ما كان بيني وبينها إلا ذاك وانها لزوجة نبينا (ص) في الدنيا والآخرة ، وخرجت يوم السبت غرة رجب وسار معها علي عليه السلام أميالاً وسير بنيه معها يوماً كاملاً وكان توجهها إلى مكة المشرفة، فأقامت بها إلى أيام الحج فحجت ثم رجعت إلى المدينة، وأما المنهزمون يوم الجمل فكان منهم عتبة بن أبي سفيان جرح هو وعبد الرحمن ويحيى ابنا الحكم فسار وأتى البلاد ، فلقيهم عصمة بن مير التميمي فقال هل لكم في الجوار فقالوا نعم فأجارهم وأنزلهم عنده حتى برأت جراحاتهم ،وسيرهم نحو الشام في أربعمائة راكب فلما وصلوا معهم إلى دومة الجندل قالوا ارجعوا فقد رفث دية صاحبكم وقد قضيتم ما عليكم فرجعوا عنهم .وأما ابن عامر فإنه جرح أيضاً فلقيه رجل من بني حرقوص ، فأجاره وسيره إلى الشام وأما مروان بن الحكم فاستجار بمالك بن مسمع فأجاره فحفظ بنو مروان ذلك لمالك في أيام خلافتهم وانتفع بهم وشرفوه وكرموه ، وأما عبدالله بن زبير فإنه نزل بدار رجل من أزد وبيده ست وثلاثون جراحة فقال للأزدي اذهب إلى أم المؤمنين عائشة وأخبرها بمكاني ولا يعلم محمد بن أبي بكر، فقالت اذهب مع هذا الرجل وأتني بابن اختك عبد الله فانطلق معه حتى دخلا عليه فخرج به إلى عائشة وهي بدار عبدالله بن خلف التي كانت نازلتها في البصرة ، ولما فرغ علي (عليه السلام) من بيعة أهل البصرة قسم ما كان في بيت المال على من شهد له الوقعة فأصاب كل واحد منهم خمسمائة دينار ، وقال لهم إن اظفركم الله بأهل الشام فلكم مثلها إلى اعطياتكم قال القعقاع بن عمر ما رأيت شيئاً أشبه من قتال يوم الجمل بقتال يوم صفين ، ولقد رأيتنا ندافعهم باسنة رماحنا ونتكىء على ازجتها وهم مثل ذلك حتى لو أن الرجال مشت عليها لاستقلت

بها . وقال عبدالله بن سنان الكاهلي : لما كان يوم الجمـل ترامينـا بالنبـل حتى فنيت وتطاعنا بالرماح حتى انكسرت وتشبكت في صـدورنا وصـدورهم ، حتى لو أن الخيل سيرت عليها لسارت ،فقال علي (ع) السيوف يا ابناء المهاجـرين والأنصـار فمـا شبهت وقـع اصـواتهـا في البيض والحجف إلا بـأصـوات القصارين .

وعلم أهـل المدينـة بوقعـة الجمل من يـومها من البصـرة قبل أن تغـرب الشمس وذلك لما كانت تمر النسور حول المدينة يرى معها من أعضاء القتلى من يد ورجل وعضد وغير ذلك فيتساقط منها ، ووجد كف فيه خاتم نقش عبد الـرحمن بن عتاب . وعلم من بين مكـة والمدينـة لمثل ذلـك لما يتسـاقط من النسور عليهم من أعضاء بني آدم .

وذكر نقلة الأخبار وأصحاب التواريـخ أن عدة من قتـل من أهل الجمـل ستة عشر ألفاً وسبعمائة وتسعون رجلاً، وكانت جملتهم ثلاثين ألفاً فـأتى القتل على أكثر من نصفهم ، وأن عدة من قتـل من أصحاب علي عليـه السلام ألفـاً وسبعون رجلاً وكانت عدتهم عشرين ألفاً وقيل غير ذلك والله أعلم .

وقعـة صفيـن :

ولمـا انقضت وقعـة الجمـل اتفق حـرب صفين المشتمـل على وقـائـع يضـطرب لهـا فؤاد الجليـد ويشيب لهـا فـود الـوليـد ويجب منهـا قلب البـطل الصنديد . وذلك أن علياً (عليـه السلام) لمـا عاد من البصـرة بعد فـراغه من الجمل قصد الكـوفة وأرسـل إلى جريـر بن عبدالله البجلي وكـان عامـلاً على همدان استعمله عليها عثمـان وأرسل إلى الأشعث بن قيس وكـان عامـلاً على أذربيجان من جهة عثمان أيضاً،فلمـا حضرا أخـذ عليهما البيعـة واقرهمـا على عملهما، ثم إن علياً (عليه السلام) خرج بعسكره إلى النخيلة واستقـر الناس للمسير إلى معاويـة وقتال أهـل الشام فبلغ ذلـك معاويـة ، فاستشـار عمروبـن العاص فقال له. أما إذا سار إليك علي بنفسه فاخـرج إليه بنفسـك ولا تغب عنه

برأيك ومكيدتك ، فخرج معاوية وخرج معه عمرو بن العاص فكتبا الكتائب وعبيا الجيوش وعقد معاوية لواء لعمرو بن العاص ولواء لابنيه محمد وعبدالله ولواء لغلامه وردان وفي ذلك يقول :

هل تغنين وردان عني قنبراً — وتغني الفرسان عني حميراً
إذا الكماة لبسوا السنورا

فبلغ ذلك علياً عليه السلام فقال :

لاصبحن العاص ابن العاص — سبعين الفاً عاقدي النواصي
مجنبين الخيل بالقلاص — مستحقبين حلق الدلاص

ثم إن كل واحد منهما سار في لقاء الاخر فتوافوا على الفرات فدعا علي (عليه السلام) أبا عمرو بشير بن عمرو بن محصن الأنصاري ، وسعد بن قيس الهمداني وشبث بن ربعي التميمي ، فقال لهم اذهبوا إلى هذا الرجل يعني معاوية وادعوه إلى الله تعالى وإلى الطاعة والجماعة لعل الله تعالى أن يهديه ويلتئم شمل هذه الأمة . وكان ذلك في أول يوم من ذي الحجة سنة ست وثلاثين من الهجرة، فأتوه ودخلوا عليه فابتدأ بشير بن عمرو الأنصاري فحمد الله وأثنى عليه ، وقال يا معاوية ان الدنيا عنك زائلة وإنك راجع إلى الآخرة وأن الله تعالى محاسبك بذلك ومجازيك عليه، وإني انشدك الله تعالى ان لا تفرق جماعة هذه الأمة وأن لا تسفك دماءها فيما بينها ، فقطع معاوية عليه كلامه وقال هلا أوصاك بذلك صاحبك فقال إن صاحبي ليس أحد مثله وهو صاحب السابقة في الإسلام والفضل والدين والقرابة من رسول الله (ص)، قال فما الذي عندك يا بن عمرو وما الذي تأمرني به قال الذي عندي وما آمرك به تقوى الله وإجابة ابن عمك إلى ما يدعوك إليه من الحق فإنه أسلم لك في دنياك وخير لك في عاقبة أمرك ، قال معاوية واترك دم عثمان والله لا أفعل ذلك أبدا. ثم تكلم سعد بن قيس وشبث بن ربعي فلم يلتفت معاوية إلى كلامهم وقال انصرفوا عني فليس عندي إلا السيف ، فقال له شبث بن ربعي أتهول علينا بالسيف والله لَنُعَجِّلها إليك ، فأتوا علياً عليه السلام فأخبروه بذلك

فجعل علي (عليه السلام) بعد أتيانهم بكلام معاوية يأمر الرجل ذا الشرف من أصحابه أن يخرج في خيل مثلها فيقتتلان ثم تنصرف كل خيل إلى أصحابها ، وذلك لما كرهوه من ملاقاة جمع أهل العراق لجمع أهل الشام فيكون فيه استئصال العسكرين وذهاب الفئتين وهلاك المسلمين ، فكان علي (عليه السلام) يخرج مرة ، ومرة الاشتر ، ومرة حجر بن عدي الكندي ، ومرة شبث بن ربعي ومرة خالد بن المعمر ، ومرة زياد بن النضر الحارث ومرة زياد بن خصفة التميمي ومرة سعد بن قيس الهمداني ، ومرة معقل بن قيس الرياحي ، ومرة قيس بن سعد الأنصاري رضي الله عنهم . وكان الأشتر (رض) أكثرهم مخرجاً ، وكان معاوية يخرج إليهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد مرة ، ومرة أبو الأعور السلمي ، ومرة حنيف بن مسلم الفهري ، ومرة ذي الكلاع الحميري ، ومرة عبدالله بن عمر ، ومرة شرحبيل بن السمط الكندي ، ومرة حمزة بن مالك الهمداني ، فاقتتلوا أيام ذي الحجة وربما اقتتلوا في اليوم الواحد مرتين ، ثم دخلت سنة سبع وثلاثين فحصل في شهر المحرم منها بين علي (عليه السلام) ومعاوية موادعة على الحرب طمعاً في الصلح ، واختلفت الرسل بينهما فلم يتفق صلح ، فلما انسلخ المحرم أمر علي (عليه السلام) منادياً فنادى يا أهل الشام يقول لكم أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب اني استقدمتكم لتراجعوا الحق وتنيبوا إليه فلم تفعلوا ولم تنتهوا عن طغيان ولم تجيبوا إلى طاعة وإني قد نبذت اليكم على سواء والله لا يحب الخائنين .

ثم أصبح علي (عليه السلام) فجعل على خيل الكوفة الأشتر (رض) وعلى البصرة سهل بن حنيف وعلى رجالة الكوفة عمار بن ياسر (رض) وعلى رجالة البصرة قيس بن سعد ، وجعل مسعر بن فذكي على قراء الكوفة [illegible] اء أهل البصرة ، وأعطى الراية هاشم بن عتبة المرقال وخرج إلى مصافهم وذلك في أول يوم من صفر ، فخرج إليهم معاوية وقد جعل على ميمنته ذا الكلاع الحميري وعلى ميسرته حبيب بن مسلمة الفهري وعلى مقدمته أبا الأعور السلمي وعلى خيل دمشق عمرو بن العاص ، وعلى رجالة دمشق اسلم بن عيينة المري وعلى بقية اصحابه الضحاك بن قيس ، وبايع رجال رجالاً من

أهل الشام على الموت فعقلوا أنفسهم بعمايمهم وكانوا خمسة صفوف فلما توافقت الأبطان وتصافت للمبارزة والنزال ؛ خرج من عسكر معاوية فارس من أهل الشام معروف بشدة البأس وقوة المراس يقال له المحراق بن عبد الرحمن ، فوقف بين الصفين وسأل المبارزة فخرج إليه فارس من أهل العراق يقال له ابن عبيد المرادي فتطاعنا بالرماح ثم تضاربا بالصفاح وظفر به الشامي فقتله ثم نزل عن فرسه فجر رأسه وحك بوجهه الأرض وتركه مكبوباً على وجهه ، ثم ركب فرسه وسأل المبارزة فخرج إليه فتى من الأزد يقال له مسلم بن عبد ربه فقتله الشامي أيضاً وفعل به ما فعل بالأول ايضاً ، ثم ركب فرسه وخرج إلى المبارزة فخرج إليه علي عليه السلام متنكراً فتجاولا ساعة ثم ضربه الإمام البطل الهمام علي بن أبي طالب عليه السلام بالسيف جاءت على عاتقه رمت بشعشعة إلى الأرض وسقط ونزل علي (عليه السلام) عن فرسه وجر رأس الشامي وجعل وجهه إلى السماء ، ثم ركب ونادى هل من مبارز ؟ خرج إليه فارس من فرسان الشام فقتله علي (عليه السلام) ونزل عن فرسه وجر رأسه وخلا وجهه إلى السماء ، ثم ركب ونادى هل من مبارز فخرج إليه فارس من فرسان الشام فقتله وفعل به كما فعل بصاحبيه الأولين وهكذا إلى أن قتل منهم سبعة ، فأحجم الناس ولم يقدم على مبارزته أحد بعد أولئك فجال بين الصفين جولة ورجع إلى أصحابه ولم يعرفه أهل الشام لأنه كان متنكراً .

ومنها ما اتفق في بعض أيامها وقد تقابل الجيشان إذ خرج فارس من أبطال عسكر أهل الشام يقال له كريب بن الصباح فوقف بين الصفين وسأل المبارزة فخرج إليه فارس من أهل العراق يقال له المرقع الخولاني فقتله الشامي ، ثم خرج إليه الحارث الحكمي فقتله الشامي أيضاً فنظر الناس إلى مقام فارس صنديد فخرج إليه علي عليه السلام بنفسه الكريمة فوقف بإزائه وقال له من أنت أيها الفارس فقال أنا كريت بن صالح الحميري فقال له علي (عليه السلام) يا كريت أحذرك الله في نفسك وادعوك إلى كتابه وسنة نبيه محمد (ص) فقال كريت من أنت فقال أنا علي بن أبي أطالب يا كريت ،

الله الله في نفسك فإني أراك بطلاً فارساً فيكون لك ما لنا وعليك ما علينا ، ولا يغررك معاوية فقال ادن مني يا علي وجعل يلوح بسيفه فجرد الإمام سيفه ودنا منه فتجاولا ساعة ثم اختلفا بضربتين فسبقه الإمام بالضربة فقتله وسقط إلى الأرض ، ثم نادى هل من مبارز فخرج إليه الحرث الحميري فقتله . وهكذا لم يزل يخرج إليه فارس بعد فارس إلى أن قتل منهم أربعة وهو يقول الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واعلموا أن الله مع المتقين. ثم صاح علي (عليه السلام) يا معاوية هلم إلى مبارزتي لا تفني العرب بيننا ، فقال معاوية لا حاجة لي في مبارزتك فقد قتلت أربعة من أبطال العرب فحسبك ، فصاح فارس من أصحاب معاوية يقال له عروة فقال يابن أبي طالب إن كان معاوية قد كره مبارزتك فأنا له وجرد سيفه وخرج للإمام فتجاولا ، ثم أنه سبق الإمام بضربة تلقاها علي عليه السلام في سيفه ، ثم أن علياً (عليه السلام) ضربه ضربة على رأسه القاه إلى الأرض قتيلاً ، فعظم على أهل الشام قتل عروة لأنه كان من أعظم شجعانهم ومشاهير فرسانهم ثم حجز الليل بينهم .

ومنها ما اتفق أيضاً في بعض أيامها ، وقد تقابل الجيشان إذ خرج علي بن أبي طالب (عليه السلام) متنكراً فدعا بالمبارزة فقال معاوية لعمرو ابن العاص عزمت عليك إلا ما خرجت لمبارزة هذا الفارس فخرج إليه عمرو وهو لا يعرف أنه علي فلما رآه علي عرفه فانهزم بين يديه ليبعده عن أصحابه فتبعه عمرو وهو يقول :

يا قادة الكوفة يا أهل الفتن اضربكم ولا أرى أبا الحسن

فكر عليه علي (عليه السلام) وهو يقول :

أبو الحسين فاعلمن والحسن قد جاك يقتاد العنان والرسن

فعرفه عمرو فولى عنه ركضاً وهو يقول مكره أخاك لا بطل فلحقه علي (عليه السلام) فطعنه طعنة جاءت في فصول درعه فالقته إلى الأرض فظن أن علياً قاتله فرفع رجله فبدت سوأته ، فصرف علي عنه وجهه راجعاً إلى عسكره

وهو يقول. عورة المؤمن حمى ، فقام عمرو فركب فرسه وأقبل على معاوية فجعل معاوية يضحك منه فقال عمرو ومم تضحك والله لو تكن أنت وبدا له من صفحتك ما بدا من صفحتي لصرت كذلك وما أقالك ، فقال له معاوية لو كنت أعلم أنك ما تحمل مزاحاً ما مازحتك فقال عمرو وما احملني للمزاح ولكنني رأيت ان لقي رجل رجلاً قصد أحدهما على الآخرلانفطرت السماء دما فقال معاوية ولكنها سوأة تعقب فضيحة الأبد أما والله لو عرفته ما قدمت عليه وإلى ذلك أشار أبو فراس بقوله :

ولا خير في رد الردى بمذلة كما ردها يوماً بسؤاته عمرو

ثم إنَّ فارساً من فرسان معاوية كان مشهوراً بالشجاعة يقال له بسر بن اارطاة حدثته نفسه بالخروج إلى علي بن أبي طالب (عليه السلام) ومبارزته ، وكان له غلام شهم شجاع يقال له لاحق فشاوره في ذلك فقال ما أشير عليك الا أن تكون واثقاً من نفسك أنك من أقرانه ومن فرسان ميدانه فابرز إليه فإنه الأسد الخادر والشجاع المطرق وأنشد العبد يقول :

فأنت له يا بسر إن كنت مثله وإلا فإن الليث للضبع آكل
متى تلقه فالموت في رأس رمحه وفي سيفه شغل لنفسك شاغل

قال ويحك هل هو إلا الموت والله لابد لي من مبارزته على كل حال، فخرج بسر بن ارطاة لمبارزة علي فلما رآه علي (عليه السلام) حمل عليه ودقه بالرمح فسقط على قفاه إلى الأرض فرفع رجله فبدت سوأته فصرف علي (عليه السلام) وجهه، فوثب قائماً وقد سقط المغفر عن رأسه فعرفه أصحاب علي فصاحوا به يا أمير المؤمنين إنه بسر بن ارطاة لا يذهب فقال ذروة وإن كان فعليه ما يستحق ، فركب جواده ورجع إلى معاوية فجعل معاوية يضحك منه ويقول له لا عليك ولا تستحي ، فقال نزل بك ما نزل بعمر ، فصاح فتى من أهل الكوفة ويلكم يا أهل الشام أما تستحون من كشف الاستاه ، وأنشد يقول :

الأكل يوم فارس بعد فارس له عورة تحت العجاجة بادية

يكف حيا منها علي سنانه ويضحك منها في الخلاء معاوية
بدت أمس من عمرو فقنع رأسه وعورة بسر مثلها حذو حاذية
فقولا لعمرو وابن ارطاة أبصرا سبيلكما لا تلقيا الليث ثانية
ولا تحمدا إلا الحيا وخصاكما هما كانتا للنفس والله واقية
فلولاهما لم تنجيا من سنانه وتلك بما فيها عن العود كافية
متى تلقيا الخيل المغيرة صيحة وفيها علي فاتركا الخيل ناحية

وكان بسر بن ارطاة يضحك من عمرو ، وصار عمرو يضحك منه وتحامى أهل الشام علياً وخافوه خوفاً شديداً ولم يصر واحد منهم على مبارزته وصار علي (عليه السلام) لا يخرج إلى المبارزة إلا متنكراً ، ثم إن مولى من موالي عثمان يقال له الأحمر وكان شجاعاً خرج يبغي المبارزة فخرج له مولى لعلي يقال له كيسان فحمل كل منهما على صاحبه فسبقه الأحمر بالضربة فقتله فقال (عليه السلام) قتلني الله إن لم أقتلك به، فكر علي على العبد فرجع العبد عليه بالسيف فضربه فتلقاها علي بسيفه فنشب السيف بالسيف فدنا علي منه ومد يده إلى عنقه فقبض عليها ورفعه عن فرسه وجلد به الأرض فكسر ظهره ورجع عنه .

وكان لمعاوية عبد يقال له حريث ، وكان فارساً بطلاً شجاعاً ومعاوية يحذره من التعرض لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) فخرج علي متنكراً يطلب المبارزة ، وقد عرفه عمرو بن العاص فقال لحريث عليك بهذا الفارس لا يفوتنك اقتله وتشيع به، فخرج له حريث وهو لا يعرف أنه علي فما كان بأسرع من أن ضربه الإمام بالسيف ضربة على أم رأسه سقط منها إلى الأرض ، وتبين لمعاوية ولأهل الشام قاتله علي بن أبي طالب (عليه السلام) فشق ذلك على معاوية وقال لعمرو أنت قتلت عبدي وغررته ولم يقتله أحد غيرك ، ومنها ما اتفق في بعض مصافه ان خرج العباس بن ربيعة الهاشمي من أصحاب علي (ع ليه السلام) وخرج إليه فارس مشهور يقال له غرار من أصحاب معاوية فقال يا عباس هل لك في المبارزة ، فقال العباس هل لك في المنازلة، فقال نعم فرمى كل واحد منهما بنفسه عن فرسه وتلاقيا وكف أهل

الجيشين عنهما لينظرا ما يكون من أمرهما ، فتجاولا ساعة بسيفهما فلم يقدر أحد منهما على الآخر ، ثم أنهما تجاولا ثانية فتبين للعباس وهن في درع الشامي وكان سيف العباس قاطعاً فضربه بالسيف على وسط من فوق الدرع فقسمه بنصفين ، فكبر الناس وعجبوا لذلك وعطف العباس على فرسه فركبها وجال بين الصفين فقال معاوية لاصحابه من خرج منكم لهذا الفارس فقتله فله عندي ديتان فخرج فارسان من لخم ، وقال كل واحد منهما أنا له فقال اخرجا فأيكما قتله فله عندي ما قلت وللآخر نصف مثله ، فخرجا جميعاً ووقفا في مقر المبارزة ثم صاحا يا عباس هل لك في المبارزة فابرز لاينا اخترت فقال استأذن أميري وارجع إليكما فجاء إلى علي (عليه السلام) فاستأذنه فقال أنا لهما أدن مني يا عباس وهات لبسك وفرسك وجميع ما عليك وخذ لبسي وفرسي ، ثم أن علياً (عليه السلام) خرج إليهما فجال بين الصفين وكل من رآه يظنه العباس فقال له اللخميان استأذنت صاحبك فتحرج علي (عليه السلام) من الكذب فقال « اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير » فتقدم إليه أحدهما فاختلفا بضربتين سبقه أمير المؤمنين بالضربة فجاء على بطنه فقطعه بنصفين ، فتقدم إليه الآخر فما كان بأسرع من طرفة عين من أن الحقه بصاحبه ، وجال بين الصفين جولة ورجع إلى مكانه ، فتبين لاهل الشام ومعاوية أنه علي بن أبي طالب (عليه السلام) ولكنه تنكر فقال معاوية قبح الله اللجاج انه لقعود ما ركبه أحد قط إلا خذله ، فقال عمرو المخذول والله اللخميان.

ليلة الهرير ورفع المصاحف:

ومنها ليلة الهرير التي كلما اردى علي فيها قتيلاً أعلن عليه بالتكبير ، فأحصيت تكبيراته في تلك الليلة فكانت خمسمائة تكبيرة وثلاث وعشرين تكبيرة بخمسمئة قتيل وثلاث وعشرين قتيلاً ، وكان الناس يتلاطمون في هذه الليلة تلاطم السيول والأمواج ويتصادمون تصادم الفحول عند الهياج ، ولما أسفر صبح هذه الليلة عن ضياء وحسر الليل عن ظلمائه كانت عدة القتلى من الفريقين ستة وثلاثون ألفاً ، وكانت هذه الليلة ليلة الجمعة وأصبح أمير

المؤمنين عليه السلام والمعركة كلها خلف ظهره وهو في قلب معسكره والأشتر (رض) في الميمنة وابن عباس (رض) في الميسرة، والناس يقبلون من كل جانب ولوائح النصر لائحة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) والأشتر يزحف في الميمنة يقاتل بها ويقول لاصحابه ازحفوا قبل هذا الرمح ويزحف بهم زحفة ثانية ويقول قيد هذا القوس ، وكلما اقتتلوا يزحف نحو أهل الشام ويقول مثل ذلك ، ولما رأى علي بن أبي طالب (عليه السلام) الظفر من ناحية الأشتر (رض) أمده برجال ، ولما رأى عمرو بن العاص وهن أهل الشام وخورهم وأن أهل العراق استعلوا عليهم وأن الحرب قد قضت أصحابه وقد تضاحى عليهم النهار وتخايل عليهم الهزيمة والفرار، قال لمعاوية هل لك في أمر أعرضه عليك لا يزيدنا إلا اجتماعاً ولا يزيدهم الا فرقة ، قال نعم قال ترفع المصاحف على رؤوس الرماح ثم تقول ندعوكم لما فيها وهذا حكم بيننا وبينكم ، فإن أبى بعضهم أن يقبلها وجدت فيهم من يقول ينبغي أن تقبل كتاب الله عزّ وجل فيكون فرقة بينهم ، وإن قبلوا لما فيها رفع القتال عنا إلى أجل فرفعوا المصاحف على رؤوسهم وقالوا هذا كتاب الله بيننا وبينكم من لثغور الشام بعد أهله ومن لثغور العراق بعد أهله فلما رآها الناس ، قالوا نجيب إلى كتاب الله تعالى فقال له علي بن أبي طالب (عليه السلام) عباد الله امضوا إلى حقكم وصدقكم في قتال عدوكم فإن معاوية ، وعمرو بن أبي معيط ، وابن أبي سرح ، والضحاك أنا اعرف بهم منكم ، ليسوا بأصحاب قرآن وقد صحبتهم أطفالاً ثم رجالاً ويلكم والله ما رفعوها إلا مكيدة وخديعة ، وقد وهنوا فقال أصحاب علي (عليه السلام) القراء منهم لا يسعنا ان ندعى إلى كتاب الله عزّ وجل فنأبى أن نقبله، فقال لهم علي (عليه السلام) إني إنما أقاتلهم ليدينوا لحكم الكتاب فإنهم قد عصوا الله تعالى فيما يأمرهم ونسوا عهده ونبذوا كتابه ، فقال له مسعود بن فدك التميمي وزيد بن حسن الطائي في عصابة من القراء الذين صاروا خوارج فيما بعد ، يا علي أجب إلى كتاب الله تعالى إذا دعيت إليه وإلى ما فيه وإلا دفعناك برمتك إلى القوم ، وكان الأشتر (رض) في الميمنة وعلي (عليه السلام) في القلب وابن عباس في الميسرة على ما سبق ذكره فكف علي وابن عباس عن القتال ولم يكف الاشتر وذلك

لما رأى من لوائح النصر والظفر ، فقالوا ابعث إلى الأشتر فليأتك ويكف عن القتال فبعث إليه علي يزيد بن هانىء يستدعيه ، فقال الاشتر قل لأمير المؤمنين ليست هذه الساعة بالساعة التي ينبغي أن يزيلني بها عن مكاني فإني قد وجدت ريح الظفر ، فأتى علياً وأخبره بمقالته فرده إليه ثانياً وهو يقول له أقبل فإن الفتنة تريد أن تقع ، فجاء الأشتر (رض) وقال ما هذا الرفع للمصاحف، قال نعم قال والله لقد ظننت أنها سترفع اختلافاً وفرقة ، وأنها مشورة ابن العاص فأقبل الأشتر على القوم من أصحابه وقال يا أهل العراق يا أهل الذل والوهن ، أحين علو تم القوم وعرفوا أنكم قاهرون رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها ، ويلكم امهلوني فواقاً فإن الفتح قد حصل والنصر قد أقبل ، قالوا لا يكون ذلك أبداً فقال أمهلوني عدو الفرس قالوا إذن ندخل معك في خطيئتك ، قال فخبروني عنكم متى كنتم محقين أحين تقاتلون وخياركم يقتلون ، لم الآن حين امسكتم عن القتال ، فقالوا دعنا منك يا أشتر قاتلناهم لله وتدعهم لله ، قال خدعتم ودعيتم إلى وضع الحرب فأجبتم يا أصحاب الجباه السود،كنا نظن صلاتكم زهادة في الدنيا وشوقاً إلى لقاء الله تعالى، فلا أرى مرادكم إلا إلى الدنيا يا أشباه البقر الجلالة ما أنتم برائين بعدها عزاً أبداً ، فابعدوا كما بعد القوم الظالمون فسبوه وسبهم وضربوا دابته فصاح بهم علي بن أبي طالب عليه السلام .

تحكيم الحكمين :

واتفق الناس على أن يجعلوا القرآن حكماً بينهم ورضوا بذلك ، فجاء الأشعث إلى علي (عليه السلام) فقال أرى الناس قد رضوا بما دعوا إليه من حكم القرآن بينهم وإن شئت أتيت معاوية فسألته ما يريد ، قال ائته فأتاه فقال لأي شيء رفعتم هذه المصاحف قال لنرجع نحن وأنتم إلى أمر الله تعالى في كتابه تبعثون رجلاً ترضونه ونبعث رجلاً نرضاه ونأخذ عليهما أن لا يعملا إلا بما في كتاب الله تعالى لا يعدوانه،ثم نتبع ما اتفقا عليه قال الأشعث هذا هو الحق ورجع إلى علي فأخبره بما قال معاوية ، فقال الناس قد رضينا ذلك

وقبلناه فقال أهل الشام نرضى عمراً وقال الأشعث وأولئك الذين صاروا خوارج فيما بعد نرضى بأبي موسى الأشعري ، فقال لهم علي (عليه السلام) قد عصيتموني في أول الأمر ، ولا تعصوني الآن لا أرى أن تولوا أبا موسى الحكومة فإنه يضعف عن عمرو ومكائده ، فقال الأشعث وزيد بن حصن ومسعود بن فدكي لا نرضى إلا به فإنه قد حذرنا مما وقعنا فيه فلم نسمع منه ، فقال علي (عليه السلام) إن أبا موسى لا يكمل في الأمر ولكن هذا ابن عباس دعوني أوليه فإنه أدرى منه بهذه الأمور ، فقالوا والله لا نبالي أنت كنت أم ابن عباس لا نريد إلا رجلاً هو منك ومن معاوية سواء ، فقال فدعوني أجعل الأشتر قالوا وهل سعر الأرض ناراً إلا الأشتر ، فقال قد أبيتم أن ترضوا إلا أبا موسى قالوا نعم قال فاصنعوا ما شئتم ، فبعثوا إلى أبي موسى وجاءوا به وكان معتزل القتال من الفئتين ، فأتاه مولى له فقال له إن الناس قد اصطلحوا فقال الحمد لله فقال قد جعلوك حكماً بينهم فقال إنا لله وإنا راجعون .

ولما حضر أبو موسى جاء الأحنف بن قيس إلى علي بن أبي طالب عليه السلام وكان الأحنف أيضاً معتزل القتال عن الفئتين فقال يا أمير المؤمنين إنك رميت بحجر الأرض عمرو بن العاص ، وإني عجمت عود أبي موسى الأشعري وجليت سطره فوجدته كليل الشفرة قريب القعر وأنه لا يصلح لهؤلاء القوم إلا رجل يدنو منهم حتى يصير في أكفهم ويبعد حتى يصير بمنزلة النجم منهم ، فإن رأيت أن تجعلني حكماً وإلا فاجعلني ثانياً أو ثالثاً لن يعقد عمرو عقدة إلا حللتها ولا تحل عقدة إلا ربطتها،فقال له عليه السلام إن الناس قد أبوا ولن يرضوا بأحد إلا أبا موسى وحضر عمرو بن العاص عند علي (عليه السلام) ليكتب القصة بحضوره ، فكتب الكاتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ومعاوية بن أبي سفيان ومن معهما فقال عمرو بن العاص هو أميركم وأما أميرنا فلا امح اسم الإمرة، فقال الأحنف بن قيس لأمير المؤمنين لا تمحها وإلا قتل الناس بعضهم بعضاً، فإني اتخوف إن محوتها لا ترجع إليك أبداً فأبى ذلك علي ملياً من النهار ثم أن الأشعث بن قيس كلمه في ذلك فمحاه وقال علي (عليه السلام) الله

أكبر سنته بسنته، والله إني لكاتب رسـول الله يوم الحـديبية فكتب محمـد رسول الله فقال المشركون لست برسول الله ولكن أكتب اسمك واسم أبيك ، فأمرني رسول الله (ص) بمحوه فقلت لا استطيع قال فأرنيه فأريتـه إياه فمحـاه بيده ، وقـال إنك ستـدعى إلى مثلها فتجيب ، قـال عمرو سبحـان الله اتشبـه الكفـار ونحن مؤمنون ، فقال اكتبوا هذا ما تراضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان قاضي علي على الكـوفة ومن معهم ، وقـاضي معاويـة على الشام ومن معهم ، أنا ننزل عند حكم الله وكتابه وأن لا يكون بيننـا غيره، وأن كتـاب الله تعـالى بيننا من فـاتحته إلى خـاتمته نحي مـا أحيى ونميت ما أمـات ، فما وجد الحكمان في كتاب الله تعالى وهما أبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص عملا به وما لم يجدا في كتاب الله تعالى فالسنة العادلة الجـامعة خـذ المعرفـة وأخذ الحكمان من علي ومعاوية وجنديهما عهـوداً ومواثيق أنهمـا آمنان على أنفسهمـا وأهليهما والأمـة لهما انصـار على الـذي يتقـاضيـان عليـه وعلى أبي مـوسى عبدالله بن قيس وعمـرو عهد الله وميثـاقـه أن يحكمـا بين هـذه الأمـة بحكم القـرآن ولا يرداهـا في حرب ولا فـرقة حتى يقضيـا ، وأحـل الفتيـا إلى رمضان وإن أحبا أن يؤخرا ذلك أخراه وأن مكان قضيتهما مكاناً عدلاً بين أهـل الكـوفة وأهـل الشام، وكتب في الصحيفـة الأشعث بن قيس وعـدي بن حجـر وسعـــد بـن قيس الهمـــداني وورقـــا بن شمس وعبـــدالله بن عكـــل العجلي وحجر بن عدي الكنـدي وعقبة بن زيـاد الحضرمي ويـزيد بن حجـرة التميمي وملك بن كعب الهمداني هؤلاء كلهم من أصحاب علي (عليه السلام)، وكتب من أصحـاب معاويـة أبو الأعـور السلمي وحبيب بن مسلمة وزميـل بن عمـرو العدوي ومرة بن مالك الهمداني وعبد الرحمن بن خالد المخزومي وسبيـع بن يزيد الأنصاري وعتبه .بن أبي سفيان ويزيد بن الحرث العبسي، وخرج بالكتاب الأشعث بن قيس فقرأه على الناس وكانت كتابته يوم الأربعاء لثلاث عشرة ليلة خلت من صفر سنة سبع (وثلاثين) واتفقـوا على أن يكون اجتمـاع الحكمين وهما أبو موسى عبدالله بن قيس الأشعري وعمرو بن العاص بن وابل السهمي بدومة الجندل ، وهو موضع كثيـر النخل وبـه حصن اسمه مارد، قال أبـو سعيد الضـرير دومـة الجندل في غـايط من الأرض خمسـة فـراسـخ فيهـا عين تسقي

النخل والزرع انتهى . ثم رجع الناس عن صفين ولما رجع علي (عليه السلام) إلى الكوفة خالفت الحرورية وخرجت وأنكرت التحكيم وقالت لا حكم إلا لله ولا طاعة لمن عصى وكان ذلك أول ما ظهر من أمرهم ورجعوا إلى غير الطريق الذي كانوا فيه .

ولما جاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) النخيلة ورأى بيوت الكوفة فإذا بعبد الله بن وديعة الأنصاري قد لقاه فدنا منا وسلم عليه وقال مرحباً يا أمير المؤمنين ثم أنه سايره فقال له علي (عليه السلام) ما سمعت الناس يقولون ، قال يقولون ان علياً كان له جمع عظيم ففرقه وكان له حصن حصين فهدمه فمتى يبني ما انهدم ويجمع ما تفرق ولو كان مضى بمن أطاعه إذ عصاه من عصاه فقاتل حتى يظفر أو يهلك كان ذلك الحزم ، فقال علي عليه السلام أنا هدمت أم هم هدموا أنا فرقت أم هم فرقوا ، وأما قولهم كان يمضي بمن أطاعه فيقاتل حتى يظفر أو يهلك فوالله ما خفي هذا عني وإن كنت سخياً بنفسي عن الدنيا ، طيب النفس بالموت ولقد هممت بالإقدام على القوم فنظرت إلى هذين قد ابتدراني يعني الحسن والحسين عليهما السلام ، ونظرت إلى هذين الآخرين وقد استقدماني يعني عبدالله بن جعفر ومحمد بن الحنفية (رض) فقلت هذين إن يهلكا يقطع نسل رسول الله (ص) من هذه الأمة ، فكرهت ذلك وأشفقت أيضاً على هذين أن يهلكا على أثرهما ، وأيم الله إن لقيتم بعد يومي هذا ما لقيتهم وهم معي في معسكر ، ثم حرك دابته ومضى وإذا على جنبه قبور ستة أو سبعة فقال علي عليه السلام لمن هذه القبور فقالوا يا أمير المؤمنين الحباب بن الأرث بعد مخرجك أوصى إن مات أن يدفن ظاهر البلد ، وكان الناس قبل ذاك يدفنون موتاهم في دورهم وافنيتهم وكان أول من دفن بظاهر الكوفة هو ودفن إلى جنبه ، فقال علي (عليه السلام) رحم الله حباباً فلقد أسلم راغباً وهاجر طائعاً وعاش مجاهداً وابتلي في جسمه سنيناً ، ولن يضيع الله أجر من أحسن عملاً ووقف عليهما وقال السلام عليكم يا أهل الديار الموحشة والمحال المقفرة من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات انتم لنا سلف ونحن لكم تبع وبكم عما قليل لاحقون ، اللهم

اغفر لنا ولهم وتجاوز بعفوك عنا وعنهم طوبى لمن ذكر المعاد وعمل للحساب وقنع بالكفاف ورضي عن الله عزّ وجل ثم أقبل حتى حاذى سكة الصورين فسمع البكاء، فقال ما هذه الأصوات فقيل البكاء على قتلى صفين فقال (عليه السلام) أما إني أشهد لمن قتل منهم صابراً محتسباً بالشهادة ثم مر بالقاسطين فسمع مثل ذلك ، ثم مر بالشاميين فسمع مثل ذلك ، وسمع معه رجة شديدة فوقف فخرج إليه حرب بن شرحبيل الشامي فقال له أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ما هذا تغلبكم نساؤكم ألا تنهونهن عن هذه الفعال ، فقال يا أمير المؤمنين لو كانت داراً أو دارين أو ثلاثاً أو أربعاً قدرنا على ذلك ولكن قتل من هذا الحي وحده مائة وثمانون رجلاً، فليس داراً إلا وفيها البكاء وأما نحن معاشر الرجال فأنا لا نبكي ولكن نفرح بالشهادة ، فقال علي (عليه السلام) رحم الله قتلاكم وغفر لموتاكم وأقبل حرث يمشي وعلي (عليه السلام) راكب ، فقال له ارجع وامسك دابته عن السير ، فقال بل أمشي بين يديك يا أمير المؤمنين ، فقال بل أرجع فإن مشي مثلك مع مثلي فتنة الموالي ومذلة المؤمنين ثم مضى فلم يزل يذكر الله تعالى حتى دخل القصر .

وقال ابن خيثمة : وفي أوائل سنة سبع وثلاثين ، سار معاوية من الشام وكان قد دعا لنفسه ، وعلي بن أبي طالب في العراق فالتقيا بصفين على الفرات فقتل من أصحاب علي (عليه السلام) خمسة وعشرون ألفاً منهم عمار بن ياسر (رض) وخمسة وعشرون بدرياً، وكان عدة عسكره تسعون ألفاً ، وقتل من أصحاب معاوية خمس وأربعون ألفاً وكان عدتهم مئة الف وعشرون ألفاً وذكر أنهما أقاما بصفين مئة يوم وعشرة أيام ، وكان بينهم سبعون وقعة ثم تداعيا إلى الحكومة فرضي علي وأهل الكوفة بأبي موسى الأشعري ، ورضي معاوية وأهل الشام بعمرو بن العاص وعلى أن الحكمين مجتمعان بدومة الجندل بأن ينظرا للمسلمين ويتفقا على حالة واحدة ويختارا أمراً يكون فيه مصلحة للمسلمين وائتلاف الفريقين ومهادنة بين الفئتين انتهى .

الخوارج

ولما دخل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) الكوفة لم يدخل الخوارج معه وأتوا حروراً فنزلوا بها وهم اثنا عشر ألفاً ، ونادى مناديهم أن أمير القتال شبث بن ربعي التميمي وأمير الصلاة عبد الله بن الكوا اليشكري والأمر شورى بعد الفتح والبيعة لله عزّ وجل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وزعموا أن علياً (عليه السلام) كان إماماً إلى أن حكم الحكمين فشك في دينه وحار في أمره وأنه الحيران الذي ذكره الله في القرآن بقوله تعالى : **﴿له أصحاب يدعونه إلى الهدىٰ﴾** وكذبوا فيما زعموا قاتلهم الله وإنما ضرب الله تعالى بالآية المذكورة مثلاً لغيره كما هو معروف في كتب التفاسير وليس علي (عليه السلام) بحيران بل به يهتدي الحيارى ، ولما سمع علي بن أبي طالب (عليه السلام) هو وأصحابه ذلك بعث إليهم عبدالله بن عباس وقال له لا تعجل في جوابهم وخصومتهم حتى آتيك فإني في أثرك ، فلما أتاهم عبدالله بن عباس رحبوا به وأكرموه وقالوا ما جاء بك يا ابن عباس ، قال قد جئتكم من عند خليفة رسول الله (ص) وابن عمه وأعلمنا بربه وسنة نبيه محمد (ص) فقالوا يابن عباس إنا اذنبنا ذنباً عظيماً حين حكمنا الرجال في دين الله تعالى فإن تاب كما تبنا ونهض لمجاهدة عدونا رجعنا إليه ، فلم يصبر ابن عباس على مجاوبتهم وقال انشدكم الله ألا صدقتم ما قال الله تعالى : **﴿ فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلهاإن يريدا إصلاحاً يوفّق الله بينهما﴾** في حق المرأة وزوجها قالوا اللهم نعم قال ، فكيف بأمة محمد (ص) فقالت الخوارج أما ما جعل الله تعالى حكمه إلى الناس وأمرهم بالنظر فيه فهو إليهم ، وأما ما حكم به وأمضاه فليس للعباد أن ينظروا فيه ، حكم في الزنا مائة جلدة وفي السارق القطع فليس للعباد أن ينظروا في هذا ، فقال ابن عباس (رض) قال الله تعالى : **﴿ يحكم به ذوا عدل منكم وآخران من** غيركم هدياً بالغ الكعبة) في أرنب يساوي ربع درهم يصاد في الحرم فقالوا تجعل الحكم في الصيد وشقاق الرجل وزوجته كالحكم في دماء المسلمين ؟ ثم قالوا له أعدل عندك عمرو بن العاص وهو

بالأمس يقاتلنا فإن كان عدلاً فلسنا بعدول وقد حكمتم بأمر الله تعالى . الرجال قوامون على النساء وقد أمضى الله تعالى حكمه في معاوية وأصحابه أن يقتلوا أو يرجعوا ، وقد كتبتم بينكم وبينهم كتاباً وقد جعلتم بينكم الموادعة وقد قطع الله الموادعة بين المسلمين وأهل الحرب منذ نزلت براءة إلا من أقر بالجزية ، ثم خرج علي (عليه السلام) في أثر عبدالله بن عباس فانتهى إليهم وهم يخاصمونه وهو يخاصمهم ، فقال له علي (عليه السلام) ألم انهك عن كلامهم ثم قال لهم علي (عليه السلام) من زعيمكم ، قالوا عبدالله بن الكوى فقال عليٌّ به ، فلما حضر قال له علي (عليه السلام) ما أخرجكم علينا هذا المخرج قال تحكيمكم يوم صفين ، فقال له علي انشدكم الله تعالى ألم أقل لكم حين رفعوا المصاحف أنا أعلم بالقوم منكم إنهم استحر بهم القتل وإنما رفعوها خديعة ومكيدة لكم ليفتنوكم ويثبطوكم عنهم ويقطعون الحرب ويتربصون بكم الدوائر فلم تسمعوا مني ، واشترطت على الحكمين أن يحييا ما أحيا القرآن ويميتا ما أماته فإن حكما بحكم القرآن فليس لنا أن نخالفه ، وإن أبيا فنحن من حكمهما براء ، فقالوا أخبرنا عن عمرو اتراه عدلاً حتى تحكمه في الدماء قال إنما حكمت القرآن وهذا القرآن إنما هو خط مسطور بين دفتين لا ينطق وإنما يتكلم به الرجال ، فقالوا أخبرنا عن الأجل لم جعلته بينكم قال ليعلم الجاهل ويثبت العالم ولعل الله عز وجل أن يصلح الأمة في هُدَن هذه المدة ويُلهمها رشدها ، قالوا فأخبرنا عن يوم كتبت الصحيفة إذ كتب الكاتب هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان فأبى عمرو أن يقبل منك أنك أمير المؤمنين فمحوت اسمك من إمرة المؤمنين ، وقلت للكاتب اكتب هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب (عليه السلام) ومعاوية بن أبي سفيان فإن لم تكن أنت أمير المؤمنين ونحن المؤمنون فلست بأمير ، فقال علي (عليه السلام) يا هؤلاء أنا كنت كاتب رسول الله (ص) يوم الحديبية فقال النبي أكتب هذا ما تصالح عليه محمد رسول الله وسهيل بن عمرو ، فقال سهيل لو علمنا أنك رسول الله ما صددناك ولا قاتلناك فأمرني رسول الله فمحوت اسمه من الكتاب وكتبت

هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبدالله وإنما محوت اسمي من إمرة المؤمنين كما محا رسول الله اسمه من الرسالة فكان لي به اسوة فهل عندكم شيء غير هذا تحتجون علي به ، فسكتوا فقال لهم قوموا فادخلوا مصركم رحمكم الله قالوا ندخل ولكن نريد أن نمكث مدة الأجل الذي بينك وبين الحكمين ههنا ليجبى المال ويسمن الكراع ثم ندخل فانصرف عنهم علي (عليه السلام) وهم كاذبون فيما زعموه قاتلهم الله .

قرار الحكمين:

ولما جاء وقت الحكمين أرسل علي (عليه السلام) مع أبي موسى الأشعري أربعمائة راكب وعليهم شريح بن هاني الحارثي ومعهم عبدالله بن عباس (رض) يصلي بهم وارسل معاوية مع عمرو بن العاص أربعمائة رجل من أهل الشام وتوافوا بدومة الجندل وحضر معهم عبدالله بن عمر ، وعبد الرحمن بن أبي بكر وعبدالله بن الزبير وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام وعبد الرحمن بن يغوث الزهري ، وأبو جهم بن حذيفة الندوي والمغيرة بن شعبة ، وكان سعد بن أبي وقاص على ماء لبني سليم بالبادية فاتاه ابنه عمر وقال له أن أبا موسى الأشعري وعمراً بن العاص قد حضرا للحكومة وقد شهدهم نفر من قريش فاحضر معهم فإنك صاحب رسول الله (ص) واحد الستة التي كانت الشورى فيهم ، ولم تدخل في أمر تكرهه هذه الأمة وأنت أحق الناس بالخلافة فلم يفعل وقيل بل حضرهم ثم ندم على حضوره ، فأحرم بعمرة من بيت المقدس وتوجه إلى مكة المشرفة محرماً ، وكان عمرو بن العاص بعد تحكيم علي (عليه السلام) ومعاوية له ولأبي موسى الأشعري يقدم أبا موسى في كل شيء ويظهر له الاحترام والإعظام ويقول له لا اتقدمك في أمر من الأمور ولا في شيء من الأشياء ولا في كلام ولا في غيره لأنك اسن مني وأنت صاحب رسول الله (ص)، وقد دعا لك وقال اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريماً ، حتى استقر ذلك في نفس أبي موسى وسكن في خاطره وظن أن تقديمه له على نفسه تعظيماً له وتكريماً ، وإنما هو دهاء وخديعة منه له ولما اجتمعا للحكومة وتفاوضا في

الكلام ، كان كلام عمرو بن العاص أن قال لأبي موسى ، ألم تعلم أن عثمان قتل مظلوماً قال أشهد، قال ألم تعلم أن معاوية وآل معاوية أولياؤه قال نعم، قال فما يمنعك من توليته وبينة في قريش كما علمت وإن خفت أن يقول الناس ليس له سابقة فقد وجدته ولي عثمان الخليفة المقتول ظلماً وهو الطالب بدمه مع ماله من حسن السياسة والتدبير، وهو أخو أم حبيبة زوج النبي (ص) وكاتب وحي النبي (ص) وعرض له بسلطان فقال أبو موسى يا عمرو اتق الله ، أمّا ما ذكرت من شرف معاوية فالشرف لأهل الدين والفضل مع أني لو كنت معطيه أفضل قريش شرفاً أعطيته علي بن أبي طالب ، فأما قولك معاوية ولي دم عثمان فوله هذا الأمر فلم أكن أوليه معاوية وادع المهاجرين الأولين، وأما تعريضك لي بالسلطان ، فوالله لو خرج معاوية عن سلطانه ماوليته ، فقال له عمرو فما تقول في ابني عبد الله وأنت تعلم فضله وصلاحه ، فقال قد غميت ابنك في هذه الفتنة ولا يكون ذلك ، فقال عمرو إن هذا الأمر لا يصلح إلا لرجل يأكل ويطعم فسمع ابن الزبير كلمته ، فقال يا أبا موسىٰ تفطن وتنبه لكلام عمرو ، ثم قال يابن العاص إن العرب قد اسندت إليك أمرها بعدما تقارعوا بالسيوف وأشرفوا على الحتوف فلا تردنهم في فتنة واتق الله ، ولما راود عمرو بن العاص أبا موسى على معاوية وعلى ابنه عبد الله فأبى أبو موسى منه راود أبو موسى عمراً على تولية الخلافة لعبدالله بن عمر ، فأبى عمرو منه ، ثم قال هات رأياً غير هذا ، فقال أبو موسى أرى أن تخلع هذين الرجلين يعني علياً ومعاوية فتجعل الأمر شورى فيختار المسلمون من أحبوه ، فقال عمرو الرأي ما رأيت فأقبلا على الناس بوجوههما وهم مجتمعون ينظرون ما يتفقان عليه ، فقال عمرو تكلم يا أبا موسىٰ وأخبرهم أن رأينا اتفق ، فقال أبو موسى أيها الناس إن رأينا اتفق على أمر نرجو أن يصلح الله به أمر الأمة ويلم شعثها ويجمع كلمتها فقال عمرو صدق أبو موسىٰ وبر فيهما قال فتقدم يا أبا موسى وتكلم ، فقام إليه عبدالله بن عباس وقال له يا أبا موسى إن كنت وافقته على أمر فقدمه يتكلم به قبلك ، فإني اخشى من خديعته لك وإني لا آمن أن يكون قد اعطاك الرضا فيما بينك ، فإذا قمت في الناس خالفك فقال أبو موسىٰ قد

توافقنا وتـراضينا ومـا ثم مخالفـة أبداً ، وكـان أبو مـوسىٰ رجلاً سليم القلب ، فتقدم فحمد الله تعالى واثنى عليه ثم قال أيها الناس إنا قد نظرنـا في أمر هـذه الأمة فلم نر اصلح لأمـرها ولا ألمَّ شعثـاً من أمر قـد اجتمع رأيي ورأي عمـرو عليه ، وهو أن نخلع علياً ومعاوية وتستقبل هذه الأمة هذا الأمر بـأنفسها فتـولوا عليهم من أحبوا واختاروا ، وإني قـد خلعت علياً ومعـاوية فـاستقبلوا أمركم ، ولـوا عليكم من رأيتموه أهـلاً لذلـك ، ثم تنحى فأقبـل عمرو بن العـاص فقام مقامه فحمد الله وأثنى عليه ثم قـال أيها النـاس إن أبا مـوسى قد خلع صـاحبه علياً ، وقد قال ما سمعتم وأنـا أيضاً قـد خلعت صاحبـه علياً وأبقيت صـاحبي معاوية على الخـلافة فـإنه ولي عثمـان بن عفان والمـطالب بدمـه وأحق الناس بمقامه ثم تنحى ، فقال أبو مـوسى مالـك لا وفقك الله غـدرت وفجرت وإنمـا مثلك مثـل الكلب إن تحمل عليـه يلهث أو تتـركـه يلهث ، فقـال عمـرو لأبي موسىٰ أنت إنما مثلك كمثل الحمار يحمل اسفاراً ، وقال سعد لأبي مـوسىٰ ما أضعفك يا أبـا موسى عن عمـرو ومكائـده ، فقال أبـو موسىٰ مـا أصنع وافقني على أمـر ثم غدر ، فقـال ابن عباس (رض) لا ذنب لـك يا أبـا مـوسىٰ إنمـا الذنب لمن قدمك وأقامك في هذا المقام ، وقال عبد الرحمن بن أبي بكـر لو غاب هذا الأشعري قبل هذا القوم كـان خيراً ، وحمـل شريـح بن هاني على عمرو فضربـه بالسـوط ، وحمل ابن عمـرو على شريـح فضربـه بعصىً وحجز الناس بينهم ، فكان شريح يقول بعد ذلـك ما نـدمت على شيء ندامتي أن لا أكـون ضربت عمـراً بالسيف عـوضاً عن السـوط والتمس النـاس أبـا مـوسىٰ فوجدوه وقد ركب راحلته وهرب إلى مكة ، وكان أبو مـوسىٰ يقول حـذرني ابن عباس غدر عمرو ولكني اطمأننت إليه لما يظهر لي وظننت أن هـذا الغادر لا يؤثر شيئاً على مصالح المسلمين ونصيحة الأمة ، وانصرف عمرو بن العاص وأهل الشام إلى معاوية وسلموا عليه بالخلافة ، فقيل أن معاوية قـام في الناس فقال أما بعد فمن كان متكلماً في هذا الأمر بعد ذلك فليطلع لنا قرنة ، قال ابن عمـر فاطلعت جيـاتي وأردت أن أقول لـه يتكلم فيه رجـال قاتلوك وأبـاك على الإسلام، فخشيت أن تكون كلمة يتفرق بهـا جماعـة ويسفك بهـا دماء، فقلت

ما وعد الله في الحساب أحب من ذلك ، فلما انصرفت إلى منزلي جاءني حبيب بن مسلمة فقال ما منعك أن تتكلم حين سمعت هذا الرجل يقول ، قلت أردت ذلك فخشيت أن تكون كلمة يتفرق بها جماعة ويسفك بها دماء ، فقال حبيب وفقت وعصمت . وخرج شريح بن هاني مع ابن عباس (رض) إلى علي (عليه السلام) وأخبراه الخبر فقام في الكوفة فخطبهم فقال : الحمد لله وإن أتى بالخطب الفادح والحدثان الجليل وأشهد أن لا إلّه إلاَّ الله وأنَّ محمداً رسول الله ، أما بعد فإن المعصية تورث الحسرة وتعقب الندامة وكنت أمرتكم في هذين الرجلين وفي هذه الحكومة أمري فأبيتم ونحلتم رأيي فما الويتم ، فكنت أنا وأنتم كما قال أخو هوازن :

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى فلم يستبين النصح الا ضحى الغد

أما بعد فإن هذين الرجلين اللذين اخترتموهما حكمين قد نبذا حكم القرآن وراء ظهورهما وأحييا ما أمات القرآن ، واتبع كل واحد منهما هواه من غير هدى من الله ، فحكما بغير حجة بينة ولا سنة مضيئة واختلفا في حكمهما وكلاهما لم يرشد، استعدوا وتأهبوا للمسير إلى الشام وأصبحوا في معسكركم يوم الإثنين . ثم نزل وكتب إلى الخوارج بالنهروان : « بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالله أمير المؤمنين إلى زيد بن حصن وعبدالله بن وهب ، وعبدالله بن الكوى ومن معهم من الناس ، أما بعد فإن هذين الرجلين اللذين ارتضيا حكمين قد خالفا كتاب الله واتبعا هواهما بغير هدى من الله ولم يعملا بالسنة ولم ينفذا للقرآن حكماً، فإذا وصلكم كتابي هذا فأقبلوا إلينا فإنا سائرون إلى عدونا وعدوكم ونحن على الأمر الأول الذي كنا عليه» فكتبوا إليه أما بعد فإنك لم تغضب لربك ، وإنما غضبت لنفسك فإن شهدت على نفسك بالكفر واستقبلت التوبة نظرنا فيما بيننا وبينك ، وإلا فقد نابذناك على سواء إن الله لا يحب الخائنين . فلما قرأ كتابهم أيس منهم ، ورأى أن يدعهم ويمضي بالناس إلى أهل الشام فيناجزهم فقام في أهل الكوفة فحمد الله تعالى وأثنى عليه ، ثم قال أما بعد فإنه من ترك الجهاد في الله تعالى وداهن في أمره كان على شفا هلكة إلا أن يتداركه الله تعالى برحمته ، فاتقوا الله تعالى وقاتلوا من

حادّ الله وحاول أن يطفيء نور الله ، قاتلوا الخائنين الذين لو ولـوا عملوا فيكم أعمال كسرى وهرقل ، وتـأهبوا للمسيـر إلى عدوكم من أهـل الشام وقـد بعثنا إلى إخوانكم من أهل البصرة ليقدموا عليكِم فإذا اجتمعتم شخصنا إن شاء الله تعالى ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العـظيم . وكتب إلى عبدالله بن عبـاس (رض) أما بعد فـإنا خـرجنا إلى معسكـرنا بـالنخيلة وقد اجتمعنـا بالمسيـر إلى عدونا من أهل الحرب فأشخص بمن معك من أهل البصرة. فقـرأه ابن عباس على النـاس ، وندبهم على المسيـر مـع الأحنف بن قيس فشخصـوا إلى علي (عليه السلام) في ثلاثة آلاف ومائتين وكتب علي (عليه السـلام) إلى رئيس كل قبيلة من القبائل يستفزه بما في عشيرته من المقاتلة وأبنائهم الذين ادركـوا وعبـدانهم ومواليهم ، وجـاءه سعد بن قيس الهمـداني وقال يـا أميـر المؤمنين سمعـاً وطاعـة أنا أول النـاس إجـابـة وجـاءه معقـل بن قيس وعـدي بن حـاتم وزياد بن حفصة وحجر بن عدي وأشراف الناس والقبـائل في أربعين الفـاً من المقاتلين الرجـالة وستـة عشر من أبنـاء الموالي والعبيـد . وكتب إلى سعد بن مسعود بالمدائن يأمره بإرسال من معه من المقاتلة ، وبلغ علياً عليـه السلام أن الناس يقولون لو سار بنا إلى قتال هؤلاء الحرورية فإذا فـرغنا منهم وجهنـا إلى قتال المخلين ، فقال لهم علي عليـه السلام بلغني أنكم قلتم كيت وكيت وأن غير هؤلاء الخارجين أهم إلينا فدعوا ذكرهم وسيروا بنا إلى معاوية وأهل الشام أن لا يكونوا جبارين في الأرض ولا يتخذوا عبـاد الله خولاً ، فنـاداه الناس يـا أميـر المؤمنين نحن حزبـك وأنصارك وأتبـاعك نعـادي من عـاداك ونـوالي من والاك ونبايع من أناب إلى طاعتك من كانوا وأين كانوا سر بنا حيث شئت .

فبينما أمير المؤمنين علي بن أبي طالب معهم في الكلام إذ أتاه الخبر أن الخوارج خرجوا على الناس وأنهم قتلوا عبد الله بن حباب صاحب رسول الله (ص) وبقـروا بطن امـرأته وهي حـامـل وقتلوا ثـلاث نسـوة من طي وقتلوا أم سنان الصيداوية ، فلما بلغ علياً ذلك بعث إليهم الحرث بن مرة ليأتينهم وينظر صحة الخبر فيما بلغه عنهم ويكتب به إليه لا يكتمه شيئاً من أمرهم ، فلما دنـا منهم وسألهم قتلوه وأتى علياً (عليـه السلام) الخبـر بذلـك وهو في معسكـره

فقال الناس يا أمير المؤمنين علام تدع هؤلاء القوم وراءنا يخلفونا في أموالنا وعيالنا سر بنا إليهم فإذا فرغنا منهم سرنا إلى أعدائنا من أهل الشام ، فقام إليه الأشعث بن قيس فتكلم بمثل كلامهم ، وكان الناس يرون أن الأشعث يرى رأي الخوارج ، لأنه كان يقول يوم صفين انصف يوماً يدعونا إلى كتاب الله تعالى ، فلما قال هذه المقالة علم الناس أنه لم يكن يرى رأيهم فأجمع علي (عليه السلام) المسير إليهم فجاءه منجم يقال له مسافر بن عدي فقال يا أمير المؤمنين إذا أردت المسير إلى هؤلاء القوم فسر إليهم في الساعة الفلانية فإنك إن سرت في غيرها لقيت أنت وأصحابك ضراً شديداً ومشقة عظيمة فخالفه علي (عليه السلام) وسار في غير الساعة التي أمره المنجم بالمسير فيها، فلما قرب علي عليه السلام منهم دنا بحيث أنه يراهم ويرونه نزل وأرسل اليهم أن ادفعوا الينا قتلة اخواننا نقتلهم بهم واتركم وأكف عنكم حتى القى أهل الشام ، فلعل الله تعالى أن يقبل بقلوبكم ويردكم إلى خير مما انتم عليه من أموركم ، فقالوا كلنا قتلناهم وكلنا مستحلون لدمائكم ودمائهم فخرج قيس بن سعد بن عبادة ، فقال لهم عباد الله أخرجوا إلينا إخواننا منكم وادخلوا في هذا الأمر الذي خرجتم عنه ، وعودوا إلى قتال عدونا وعدوكم فإنكم قد ركبتم عظيماً من الأمر تشهدون علينا بالشرك وتسفكون دماء المسلمين ، فقال عبدالله بن سحرة السلمي ، إن الحق قد أضاء لنا فلسنا بتابعيكم ، ثم إن علياً عليه السلام خرج إليهم بنفسه فقال لهم أيها العصابة التي أخرجها عداوة المراء والحجاج وصدهم عن الحق اتباع الهوى واللجاج ، إن أنفسكم الأمارة سولت لكم فراقي لهذه الحكومة التي أنتم بدأتموها وسألتموها ، وأنا لها كاره وأنبأتكم أن القوم إنما فعلوه مكيدة فأبيتم علي إباء المخالفين وعندتم على عناد العاصين حتى صرفت رأيي إلى رأيكم ، وأني معاشرهم والله صغار الهام سفهاء الأحلام فأجمع رؤساؤكم وكبراؤكم أن اختاروا رجلين فأخذنا عليهما أن يحكما بالقرآن ولا يتعديانه ، فتاها وتركا الحق وهما يبصرانه فبينوا لنا بما تستحلون قتالنا والخروج عن جماعتنا ، ثم تستعرضون الناس تضربون أعناقهم إن هذا لهو الخسران المبين . فنادوا أن لا تخاطبوهم ولا تكلموهم وتهيؤا

للقتال ، الرواح الرواح إلى الجنة ، فرجع علي (عليه السلام) عنهم إلى أصحابه ثم عبأهم للقتال فجعل على ميمنته حجر بن عدي (رض) وميسرته شبث بن ربعي وقيل معقل بن قيس الرياحي ، وعلى الخيل أبا أيوب الأنصاري وعلى الرجالة أبا قتادة الأنصاري ، وفي مقدمتهم قيس بن سعد بن عبادة (رض) وعبأت الخوارج قاتلهم الله أصحابها ، فجعلوا على ميمنتهم زيد بن قيس الطائي وعلى الميسرة شريح بن أوفى العبسي ، وعلى خيلهم حمزة بن سنان الأسدي وعلى رجالتهم حرقوص بن زهير السعدي ، وأعطى علي (عليه السلام) لأبي أيوب الأنصاري راية أمان ، فناداهم أبو أيوب (رض) من جاء إلى هذه الراية فهو آمن ممن لم يكن قتل ولا تعرض لأحد من المسلمين بسوء ، ومن انصرف منكم إلى الكوفة فهو آمن ، ومن انصرف إلى المدائن فهو آمن لا حاجة لنا بعد أن نصيب قتلة اخواننا في سفك دمائكم فانصرف عروة بن نوفل الأشجعي في خمسمئة فارس ، وخرج طائفة أخرى منصرفين إلى الكوفة ، وطائفة أخرى إلى المدائن وتفرق أكثرهم بعد أن كانوا اثني عشر ألفاً فلم يبق منهم غير أربعة آلاف ، فزحفوا إلى علي عليه السلام وأصحابه ، فقال علي لأصحابه كفوا عنهم حتى يبدأوكم فتنادوا الرواح الرواح إلى الجنة ، فحملوا على الناس فانفرقت خيل علي عنهم فرقتين حتى ساروا في وسطهم عطفوا عليهم من الميمنة والميسرة واستقبلت الرماة وجوههم بالنبل وعطفت عليهم الرجالة بالسيوف والرماح فما كان بأسرع من أن قتلوهم عن آخرهم ، وكانوا أربعة آلاف فلم يفلت منهم إلا تسعة أنفس لا غير ، رجلان هربا إلى خراسان وبها نسلهما إلى الآن ، ورجلان صارا إلى بلاد عمان وبها نسلهما إلى الآن ورجلان إلى بلاد اليمن وبها نسلهما وهم الذين يقال لهم الأباضية أصحاب عبدالله بن اباض ، ورجلان صارا إلى الجزيرة ، ورجل صار إلى تل موذن وغنم أصحاب علي (عليه السلام) منهم غنائم كثيرة وقتل من شيعة علي رجلان ، ولم يسلم من الخوارج المقتولين غير هؤلاء التسعة المذكورين خذلهم الله .

وهذه كرامة من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وأنه

قال قبل ذلك نقتلهم ولا يقتل منا عشرة ولا يسلم منهم عشرة[1].

فـائـدة :

الخوارج هم هؤلاء الذين خرجوا على علي (عليه السلام) لما حكم الحكمان وقالوا لا حكم إلا لله ، وهم الذين قال فيهم النبي (ص) وآله يمرقون من الدين كما تمرق السهم من الرمية كما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري ، قال سمعت رسول الله (ص) يقول يخرج في هذه الأمة ولم يقل منها قوم تحقِّرون صلاتكم مع صلاتهم يقرأون القرآن ولا يجاوز حلوقهم ، أو قال حناجرهم ، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية . ومنهم عبدالله بن ذي الخويصرة التميمي ، جاء إلى النبي (ص) وهو يقسم الصدقات فقال اعدل يا رسول الله ، فقال (ص) ويلك فمن يعدل إن لم أعدل . قال عمر بن الخطاب أيأذن لي رسول الله أن أضرب عنقه ، قال (ص) دعه فإن له أصحاباً يحقِر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ، وفيهم نزل قوله تعالى : ﴿ **ومنهم من يلمزك في الصدقات** ﴾[1] الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ايضاً عن عبدالله بن عمر ، ويقال لهم الحرورية بحاء مهملة وراء مكررة بينهما واو ثم بالنسبة إلى حرور ، أرض نزلوا بها لما مضوا عن علي عليه السلام .

بعض كلماته الرايقة الفايقة :

في ذكر شيء من كلماته الرايقة الفايقة ومواعظه النافعة ورواجزه الصادعة ونكته الحسنة ومقاصده المستحسنة :

فمن ذلك كلمات من كلامه (عليه السلام) جمعها الجاحظ في بعض

---

(١) الخوارج والتحكيم في مناقب ابن شهرآتوب ج ٣ ص ١٨١ .

(٢) سورة التوبة الآية ٥٨ ، والحديث في أسباب النزول للواحدي ص ١٧٣ والبخاري كتاب استتابة المرتدين، وكتاب الأدب وكتاب الأنبياء وكتاب المناقب .

تصانيفه وهي تشتمل على كثير من الحكمة كل كلمة منها تعد بألف كلمة وهي هذه :

« الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا » « الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم » « قيمة كل امرىء ما يحسنه » « من عرف نفسه فقد عرف ربه » « المرء مخبوء تحت لسانه » « من عذب لسانه كثر اخوانه » « بشر مال البخيل بحادث أو وارث » « لا تنظر إلى من قال وانظر إلى ما قال » « في الجزع عند البلاء تمام المحنة » « لا ظفر مع البغي » « لا ثناء مع الكبر » « لا بر مع الشح » « لا صحة مع النهم » « لا شرف مع سوء الأدب » « لا اجتناب محرم مع الحرص » « لا راحة مع الحسد » « لا سؤدد مع الانتقام » « لا محبة مع المراء » « لا صواب مع ترك المشورة » « لا مروة لكذوب » « زيادة مع زعارة » « لا وفاء لملوك » « لا كرم أعز من التقي » « لا شرف أعلى من الإسلام » « لا معقل أحسن من العقل » « لا شفيع انجح من التوبة » « لا لباس أجمل من العافية » « لا داء أعيى من الجهل » « لا مرض اخفى من قلة العقل » « لسانك يقتضيك ما عودته » « المرء عدو ما جهله » « رحم الله أمرءاً عرف نفسه ولم يتعد طوره » « أعاذة الاعتذار تذكرة بالذنب » « النصح بين الملأ تقريع » « إذا تم العقل نقص الكلام » « الشفيع جناح الطالب » « نفاق المرء ذله » « نعمة الجاهل كروض على مزبلة » « الجزع اتعب من الصبر » « المسؤول حر حتى يعده » « أكبر الأعداء اخفاهم مكيدة » « من طلب ما لا يعنيه فاته ما يعنيه » « السامع للغيبة أحد المغتابين » « الذل مع الطمع » « العز مع اليأس » « الحرمان مع الحرص » « من كثر مزاحه حقد عليه واستخف به » « عبد الشهوة أذل من عبد الرق » « الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له » « منع الجود سوء الظن بالمعبود » « كفى بالظفر شفيعاً للذنب » « رب ساع فيها يضره » « لا تتكل على المنى فإنها بضائع التوكي » « اليأس حر والرجاء عبد » « العاقل كهانة » « من نظر اعتبر » « العداوة شغل القلب » « القلب إذا كره عمي » « الأدب صورة العقل » « من لانت أسافله صلبت أعاليه » « من أتى في عجانه قل حياؤه وبَذَأ لسانه » « السعيد من وعظ بغيره » « البخل جامع لمساوىء العيوب » « كثرة الوفاق نفاق وكثرة الخلاف شقاق « رب أمل خائب » « رب

رجاء يؤدي إلى الحرمان » « رب ربح يؤدي إلى الخسران » « رب طمع كاذب » « البغي سائق الجبن » « في كل جرعة شرقة » « مع كل أكلة غصة » « من كثر ذكره في العواقب لم يشجع » « إذا حلت المقادير ضلت التدابير » « إذا حل القدر بطل الحذر » ، « الإحسان يقطع اللسان » « الشرف بالعقل والأدب بالأصل والنسب » « أكرم النسب حسن الأدب » « افقر الفقر الحمق » « أوحش الوحشة العجب » « أغنى الغنى العقل » « الطامع في وثاق الذل » « ليس العجب ممن هلك كيف هلك إنما العجب ممن نجا كيف نجا » « احذروا نفار النعم فما كل شارد بمردود » « أكثر مصارع العقول تحت بروق الأطماع » « من ابدى صفحته للحق هلك » « إذا ملقتم فبادروا بالصدقة » « من لاَنَ عوده كثرت أغصانه » « قلب الأحمق في فيه ولسان العاقل في قلبه » « من جرى في ميدان أمله عثر في عنان أجله » « إذا وصلت اليكم أطراف النعم فلا تنفروا أقصاها بقلة الشكر » « إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو شكر القدرة عليه ، ما أضمر احد شيئاً في قلبه إلا ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه » « البخيل يستعجل الفقر يعيش في الدنيا عيشة الفقراء ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء » « لسان العاقل وراء قلبه وقلب الأحمق وراء لسانه » انتهى .

ذكر الشيخ المفيد في كتاب الإرشاد[1] :

ومن كلامه عليه السلام في شيعتهم المخلصين ما رواه نقلة الأخبار أنه عليه السلام خرج ذات ليلة من المسجد وكانت ليلة قمراء فأم الجبانة ولحقه جماعة يقفون أثره ، فوقف وقال من أنتم قالوا نحن شيعتك يا أمير المؤمنين فنظر في وجوههم ثم قال فمالي لا أرى فيكم سيماء الشيعة، قالوا وما سيماء الشيعة يا أمير المؤمنين قال : « صفر الوجوه من السهر حدب الظهور من القيام ، عمش العيون من البكاء خمص البطون من الصيام ذبل الشفاه من

---

(١) ارشاد المفيد ص ١٢٧ .

الدعاء وعليهم غبرة الخاشعين ».

ومن ذلك ما نقل عنه (عليه السلام) في العلم والعقل والمال قـال عليه السـلام : « العلم حياة القلوب ونـور الأبصـار ينـزل الله تعـالى حـامله منـازل الأخيار ويمنحه صحبة الأبرار ويرفعه في الدنيا والآخرة ».

وقال (عليه السلام) : « العلم يرفع الوضيع ويضع الرفيع ».

وقـال (عليه السـلام) : « العلم خير من المـال يحرسـك وأنت تحرس المال ، العلم حاكم والمال محكوم عليه ».

وقـال (عليه السـلام) : « قصم ظهري رجـلان عالم متهتـك وجـاهـل متنسك هذا ينفر الناس بتهتكه وهذا يضل الناس بتنسكه ».

وقال (عليه السلام) : « أقل الناس قيمة أقلهم علماً ،لكـل امـرىء مـا يحسنه وكفى بالعلم شرفا انـه يدعيـه من لا يحسنه ، ويفـرح إذا نسب إليه ، وكفى بالجهل ذماً انه يبـرأ منه من هـو فيه ، ويغضب إذا نسب إليـه ، والناس عالم ومتعلم وسائرهم همج رعاع ».

وقال (عليه السلام) (في العقل) : الانسـان عقل وصـورة فمن أخطأه العقل لزمته الصورة ومن لم يكن كاملاً كان بمنزلة جسد بلا روح ».

وقـال عليه السـلام في صفة الـدنيا : « ألا إن الـدنيا قـد أدبـرت وآذنت بـوداع والآخرة قـد أقبلت وآذنت بـاطـلاع ، ألا وإن المضمـار اليـوم والسبـاق غداً ، فإما إلى الجنة وإما إلى النار ، وإنكم في أيام مهل من ورائه أجل يحثـه عجـل ، من عمل في أيـام مهله قبل حلول أجله نفعـه عمله ولم يضـر أمله ، ومن لم يعمـل في أيام مهله قبـل حلول أجله ضره أمله ولم ينفعـه عمله ، ولو عاش احدكم ألف عام كان الموت بالغه ونحبه لا حقـه ، فلا تغـرنكم الأماني ولا يغـرنكم بالله الغـرور ، كان قبلكم في هـذه الـدنيـا سكـان شيـدوا البنيـان ووطنوا الأوطان ، اضحت أبدانهم في قبورهم هامدة وأنفاسهم خامدة ويتلهف المفـرط منهم على مـا فـرَّط ، يقـول يـا ليتني قـدمت لنفسي يـا ليتني أطعت ربي ».

وقال عليه السلام : « كان ما هو كائن من الدنيا لم يكن ، وكان ما هو كائن من الآخرة لم يزل، وكل ما هو آت قريب، فكم من مؤمل لأمل لم يدركه، وكم جامع مالا يأكله ، وذاخر ما عساه يتركه ، ولعله من باطل جمعه ومن حرام رفعه أصابه حراماً ،وعدواناً ، واحتمل وزره وباء منه بما ضره ، خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ».

ومن ذلك ما ورد عنه (عليه السلام) في الحكم والأمثال عن ابن عباس أنه قال ما انتفعت بكلام بعد رسول الله (ص) كانتفاعي بكتاب كتبه إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) فإنه كتب إلي :

«أما بعد فإن المرء يسؤه فوت ما لم يكن ليدركه، ويسره درك ما لم يكن ليفوته فليكن سرورك بما نلت من آخرتك ، وليكن أسفك على ما فاتك منها ، وما نلت من دنياك فلا تكن به فرحاً ، وما فاتك منها فلا تأس عليه وليكن همك لما بعد الموت والسلام ».

وقال : « الشيء شيئان شيء قصر عني لم أرزقه فيما مضى ولا أرجوه فيما بقي ، وشيء لا أناله دون وقته ولو استعنت عليه بقوة أهل السموات والأرض ، فما أعجب من الإنسان يسره درك ما لم يكن ليفوته ويسؤه فوت ما لم يكن ليدركه ، ولو أنه فكر لأبصر ولعلم أنه مدبر ، واقتصر على ما تيسر ولم يتعرض لما تعسر ، واستراح قلبه مما استوعى فكونوا أقل ما لا تكونوا في الباطل أموالاً ، وأحسن ما تكونوا في الآخرة أعمالاً ، فإن الله تعالى أدب عباده المؤمنين أدباً حسناً فقال عزّ من قائل ﴿ **يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافاً** ﴾[1].

وقال : « لا تكون غنياً حتى تكون عفيفاً ولا تكون زاهداً حتى تكون متواضعاً ، ولا تكون متواضعاً حتى تكون حليماً ، ولا يسلم قلبك حتى تحب للمسلمين ما تحب لنفسك ، وكفى بالمرء جهلاً أن يرتكب ما نهي عنه ، وكفى به عقلاً أن يسلم الناس من شره ،وأعرض عن الجهل وأهله ، واكفف عن الناس ما تحب أن يكف عنك ، واكرم من صافاك وأحسن مجاورة من جاورك

(١) سورة البقرة الآية ٢٧٣ .

وألن جانبك ، واكفف الأذى واصفح عن سوء الأخلاق ولتكن يدك العليا ان استطعت ، ووطن نفسك على الصبر على ما أصابك وألهم نفسك القناعة واتهم الرجاء وأكثر الدعاء تسلم من سورة الشيطان ولا تنافس على الدنيا ولا تتبع الهوى، واحلم على السفيه تكثر انصارك عليه، وعليك بالشيم العالية تقهر من يناوئك ».

وقال : « قل عند كل شدة لا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم تُكف ، وقل عند كل نعمة الحمدلله تُرز منها ، وإذا ابطأت عليك الأرزاق فقل استغفر الله يوسع عليك ، مفتاح الجنة الصبر ، مفتاح الشرف التواضع مفتاح الكرم التقوى ، من أراد أن يكون شريفاً فيلزم التواضع ، عجب المرء بنفسه أحد حساد عقله ».

« وقال (عليه السلام) لا شرف لبخيل ، ولا همة لمهين ، ولا سلامة لمن أكثر مخالطة الناس ، ولا كنز اغنى من الفناء ولا مال اذهب للفاقة من الرضا بالقوت » .

« وقال عليه السلام من كبرت عوارفه كثرت معارفه ، من أجمل في الطلب أتاه رزقه من حيث لا يحتسب ، من كثر دينه لم تقر عينه ، من فعل ما شاء لقي ما لا يشاء ، من استكان بالرأي ملك ، ومن كابد الأمور هلك ، من أمسك عن الفضول عد من أرباب العقول ، من لم يكتسب بالأدب مالاً اكتسب به جمالاً ، ما كساه الغنى ثوباً خفيت عن العيون عيوبه ، من حسنت سياسته دامت رئاسته ، من ركب العجلة لم يأمن الكبوة ، من تقدم بحسن النية نصره التوفيق ».

وقال عليه السلام : « الوحدة راحة ، والعزلة عبادة ، والقناعة غنى والاقتصاد بلغة ، والعزيز بغير الله ذليل ، والغني الشرير فقير ، ولا تعرف الناس إلا بالاختبار فاختبر اهلك وولدك في غيبتك وصديقك في مصيبتك وذا القرابة عند فاقتك ، والتودد والملق عند عطيتك لتعلم اين منزلتك .

وقال (عليه السلام) « ما ذبَّ عن الأعراض كالصفح والإعراض ، في

إغضائك راحة أعضائك، أجلُّ النوال ما وصل قبل السؤال ، الحكيم لا يعجب بقضاء محتوم حل بمخلوق ، عفة اللسان صمة ، من الفراغ يكون الصبوة ».

وقال عليه السلام : « لا تحدث من غير ثقة تكن كذاباً ، وقارن أهل الخير تكن منهم ، وباين أهل الشر تبن عنهم ، واعلم أن الحزم عزم وساعد أخاك وإن جفاك ، وإن قطعته فاستبق له بقية من نفسك ، ولا ترغبن فيمن زهد فيك وليس جزاء من سرك أن تسوءه ، واعلم أن عاقبة الكذب الذم وعاقبة الصدق النجاة ».

وقال (عليه السلام) : « خير أهلك من كفاك ، ترك الخطيئة أهون من التوبة ، عدو عاقل خير من صديق جاهل ، التوفيق من السعادة ، من بحث عن عيوب الناس بنفسه بدأ ، من سلم من ألسنة الناس كان سعيداً ، من وقع في ألسنة الناس هلك ، من تحفظ من سقط الكلام أفلح ، خير مالك ما أعانك على حاجتك ، كم من غريب خير من قريب ، خير إخوانك من واساك وخير منه من كفاك ، من أحب الدنيا جمع لغيره ، المعروف فرض والدنيا دول ، من كان في النعمة جهل قدر البلية ، من قل سروره كان في الموت راحته ، السؤال مذلة والعطاء محبة والمنع مبغضة ، وصحبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار ، الحر حر ولو مسه الضر ، ما ضل من استرشد ولا خاب من استشار ، الحازم لا يستبد برأيه ، آمن من نفسك عندك من وثقته على سرك ، المودة بين الآباء صلة في الأبناء ، من رضي عن نفسه كثر الساخطون عليه ، من كرمت عليه نفسه هانت عليه شهوته ، من هون صغار المصائب ابتلاه الله بكبارها، رب مفتون بحسن القول فيه ، ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء طلباً لما عند الله ، وأحسن منه تيه الفقراء على الأغنياء اتكالاً على الله ، الدهر يومان يوم لك ويوم عليك فإن كان لك فلا تبطر وإن كان عليك فلا تضجر ، الراكن إلى الدنيا مع ما يعاين جاهل ، الطمأنينة إلى كل أحد قبل الاختبار عجز، البخل جامع لمساوىء الأخلاق، من نعم على العبد جلبه حوائج الناس إليه فمن قام فيها بما يجب عرضها للدوام والبقاء ،

ومن لم يقم بها عرضها للزوال والفناء ، العفاف زينة الفقر ، ومن أطال الأمل أساء العمل ، الناس ابناء الدنيا فلا لوم عليهم في حب أمهم ، الطمع ضامن غير وفي ، والأماني تعمي البصائر ، لا تجارة كالعمل الصالح ولا ربح كالثواب والله أعلم بالصواب .

في ذكر يسير من بديع نظمه ومحاسن كلامه :

فمن ذلك قوله (عليه السلام) :

فكن معدناً للحلم واصفح عن الأذى ... فإنك لاق ما عملت وسامع
وأحبب إذا أحببت حباً مقارناً ... فإنك لا تدري متى الحب راجع
وابغض إذا ابغضت بغضاً مفارقاً ... فإنك لا تدري متى الحب نافع

ولعلي عليه السلام :

لئن كنت محتاجاً إلى الحلم إنني ... إلى الجهل في بعض الأحايين احوج
ولي فرس بالحلم للحلم ملجم ... ولي فرس بالجهل للجهل مسرج
وما كنت أرضى الجهل خدنا وصاحباً ... ولكنني أرضى به حين أحوج
وإن قال بعض الناس فيه سماجة ... لقد صدقوا والذل بالحر اسمج
فإن شئت تقويمي فإني مقوم ... وإن شئت تعويجي فإني أعوج

وله عليه السلام :

فارق تجد عوضاً عما تفارقه ... فانصب فإن لذيذ العيش في النصب
فالأسد لولا فراق الغاب ما افترست ... والسهم لولا فراق القوس لم يصب

وله عليه السلام :

الصبر من كرم الطبيعة ... والمن مفسدة الصنيعة
ترك التعاهد للصديق ... يكون داعية القطيعة

وله عليه السلام :

أحمد ربي على خصال ... خص بها سادة الرجال

لزوم صبر وخلع كبر وصون عرض وبذل مال

وقال عليه السلام:

عش موسراً إن شئت أو معسراً لابد في الدنيا من الغم
دنياك بالأحزان مقرونة فلا تقطع الدنيا إلا بهم
حلاوة دنياك مسمومة فلا تأكل الشهد إلا بسم

وقال عليه السلام:

محامدك اليوم مذمومة فلا تكسب الحمد إلا بذم
إذا تم أمر بدا نقصه توقع زوالاً إذا قيل تم
إذا كنت في نعمة فارعها فإن المعاصي تزيل النعم
وداوم عليها بشكر الإله فإن الإله سريع النقم
فإن تعط نفسك آمالها فعند مناها تحل الندم
فكم عمن عاش في نعمة فما حس بالموت إلا هجم

وعن جابر بن عبدالله الانصاري رضي الله عنه قال دخلت على علي (عليه السلام) في بعض علاته وقد نقه فلما نظر إلي قال: «يا جابر من كثرت نعم الله عليه كثرت حوائج الناس إليه، فإن قام بما أمر الله تعالى عرضها للدوام والبقاء وإن لم يعمل فيها بما أمر الله تعالى عرضها للزوال والفناء ثم أنشأ يقول:

ما أحسن الدنيا واقبالها إذا أطاع الله من نالها
من لم يواس الناس من فضلها عرض للأدبار إقبالها
فاحذر زوال الفضل يا جابر واعط من الدنيا لمن سالها
فإن ذا العرض جزيل العطا يضعف بالجنة أمثالها

قال جابر ثم هزّ بضبعي هزة خيل أن عضدي خرجت من كاهلي وقال يا جابر حوائج الناس إليكم من نعم الله عليكم، فلا تملوا النعم فيحل بكم لنقم فاعلموا أن خير المال ما أكتسب حمداً أو أعقب أجراً ثم انشأ يقول:

لا تخضعن لمخلوق على طمع | فإن ذلك وهن منك في الدين
وأسأل آلهك مما في خزائنه | فإن ذلك بين الكاف والنون
ألا ترى كل من ترجو وتأمله | من البرية مسكين ابن مسكين
ما أحسن الجود في الدنيا وأجمله | وأقبح البخل فيمن صيغ من طين

قال جابر :فهممت أن أقوم ، قال أنا معك يا جابر فلبس نعليه وألقى إزاره على منكبيه وخرجنا نتساير فذهب بنا إلى الجبانة جبانة الكوفة فسلم على أهل القبور فسمعت ضجة وهجة ، فقلت ما هذا يا أمير المؤمنين فقال هؤلاء بالأمس كانوا معنا واليوم فارقونا أتسأل عن أحوالهم فهم إخوان لا يتزاورون وأودَّاء لا يتعاودون ، ثم خلع نعليه وحسر عن ذارعيه وقال يا جابر اعطوا من دنياكم الفانية لآخرتكم الباقية ومن حياتكم لموتكم ومن صحتكم لسقمكم ، ومن غناكم لفقركم ، اليوم أنتم في الدور وغداً في القبور ، . ثم أنشأ يقول :

سلام على أهل القبور الدوارس | كأنهم لم يجلسوا في المجالس
ولم يشربوا من بارد الماء شربة | ولم يأكلوا ما بين رطب ويابس
ألا فاخبروني أين قبر ذليلكم | وقبر العزيز الباذخ المتنافس

وله عليه السلام :

والله لو عاش الفتى من دهره | ألفاً من الأعوام مالك أمره
متلذذاً فيها بكل هنيئة | ومبلغاً كل المنى من دهره
لا يعرف الآلام فيها مرة | كلا ولا جرت الهموم بفكره
ما كان ذاك يفيده من عظم ما | يلقى بأول ليلة في قبره

وله أيضاً عليه السلام :

أي يوميَّ من الموت أفر | يوم لا يقدر أو يوم قدر
يوم لا يقدر لا ارهبه | ومن المقدور لا يرجى الحذر

وله عليه السلام أيضاً :

إذا عقد القضاء عليك أمراً | فليس يحله إلا القضاء

فـمـا لـك قـد اقـمـت بـدار ذل وارض الله واسـعـة الـفـضـاء

ومن نظمه :

صن النفس واحملهـا على ما يـزينها تعش سـالمـاً والقـول فيـك جميـل
ولا تـريـن الـنـاس إلا تـجـمـلاً نبـا بـك دهـر أو جفـاك خـليـل
وإن ضاق رزق اليوم فاصبر إلى غـد عسى نكبـات الـدهـر عنك تـزول
يعـز غني الـنفس أن قـل مـالـه ويغنـى فقيـر الـنفس وهـو ذليـل
ومـا أكثـر الإخـوان حين تعـدهم ولـكنـهم فـي الـنـائـبـات قـليـل

وروي أيضـاً عنه ، أنـه أتاه رجـل وقـال لـه : يـا علي أخبـر مـا واجب وأوجب ، وعجيب وأعجب ، وصعيب وأصعب ، وقـريب وأقـرب فـأجـابـه بقوله :

فـرض عـلى الـنـاس أن يـتـوبـوا لـكـن تـرك الـذنـوب أوجـب
والـدهـر فـي صـرفـه عـجـيـب وغـفـلة الـنـاس فـيـه اعـجـب
والـصبـرُ فـي الـنـائـبـات صـعـب لـكـن فـوت الـثـواب أصـعـب
وكـلـمـا يـرتـجـى قـريـب والـمـوت مـن كـل ذاك أقـرب

بعض مناقبه :

في ذكـر مناقبـه الحسنـة ومـا جـاء في ذلـك من الأحـاديث والأخبـار المستحسنـة : فمن ذلـك مـا ورد في الصحيحين من المنـاقب لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) الأولى : نزوله من المصطفى (ص) منزلة هـارون من موسى ، الثانيه ـ شهادتـه (ص) أنه يحب الله ورسـوله ، الثـالثـة ـ تخصيصه له بالراية ذات المرتبة العلية ووصفه له بالرجولة ، الرابعة ـ الشجاعة المنسوبة إليه وفتح خيبر على يديه (عليه السلام) ، الخامسة ـ علمه المشهور وعمله المشكور ، السادسـة ـ زهده المعـروف الشهير المـوصوف ، السـابعة ـ القرابة الموصوفة بالنجاة ، الثامنـة ـ قولـه (ص) اللهم هؤلاء أهلي وأشار إلى علي وفاطمة والحسن والحسين سلام الله عليهم أجمعين ، التاسعـة ـ تزويجـه

(ص) بابنته فاطمة سيدة نساء أهل الجنة ، العاشرة - أنه (عليه السلام) من الرهط أولي الجاهات العراض الذين توفي رسول الله (ص) وهو عنهم راض ، الحادية عشرة - إقامته للحق غير مكترث بمعاداة الخلق كما اتفق في قتل الفئة الباغية وجهادها المخطئة للصواب في رأيها واجتهادها ، الثانية عشرة - قوله (ص) لعمار تقتلك الفئة الباغية ثم قتل وهو من عسكره وحزبه وفي نصرته (رض) . قال الشيخ العارف ، بالله عبدالله بن أسعد اليافعي رحمه الله ، قال علماؤنا من أئمة أهل الحق هذا الحديث حجة ظاهرة في أن علياً (عليه السلام) كان محقاً ومصيباً والطائفة الأخرى بغاة لكنهم مجتهدون ، وفيه معجزة لرسول الله (ص) من أوجه ،منها أن عماراً يموت قتيلاً وأنه يقتله مسلمون وأنهم بغاة وأن الصحابة يقاتلونهم وأنهم يكونون فرقتين باغية وغيرها ، قالوا وكل هذا وقع مثل فلق الصبح صلّى الله على سيدنا محمد عبده ورسوله الذي ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحْي يوحى انتهى ذكره في كتابه المرهم ، الثالثة عشرة - ندمه في الإسلام مذ هو غلام ، الرابعة عشرة أن نسله من الزهراء البتول فاطمة بنت الرسول (رض) ، الرابعة عشرة - شهرة محاسنه الجميلة واتصافه بكل فضيلة (رض) . فمن ذلك ما رواه البيهقي في كتابه الذي صنفه في فضائل الصحابة (رض) يرفعه بسنده إلى رسول الله (ص) أنه قال من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه ، وإلى نوح في تقواه ، وإلى إبراهيم في حلمه ، وإلى موسى في هيبته ، وإلى عيسىٰ في عبادته ، فلينظر إلى علي بن أبي طالب (عليه السلام) وروى الإمام أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني بسنده إلى عبدالله بن حكيم الجهني ، قال قال رسول الله (ص) إن الله تبارك وتعالى أوحى إلي في علي ثلاثة أشياء ليلة أسري بي ، بأنه سيد المؤمنين ، وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين . وعن ابن عباس (رض) قال لما نزل قوله تعالى ﴿ **إنما أنت منذر ولكل قوم هاد** ﴾[1] قال رسول الله (ص) أنا المنذر وعلي الهادي وبك يا علي يهتدي المهتدون . وعن مكحول عن علي بن أبي

---

(١) سورة الرعد الآية رقم ٧.

طالب (عليه السلام) في قوله تعالى : ﴿ **وتعيها أذن واعية** ﴾[1] قـال قال لي رسـول الله (ص) سألت الله أن يجعلها أذنـك يـا علي ففعـل ، فكـان علي (عليه السلام) يقـول ما سمعت من رسـول الله (ص) كلامـاً إلاّ وعيته وحفظته ولم أنسه . وعن ابن عباس (رض) قـال لما نـزلت هذه الآيـة : ﴿ **إن الذين آمنـوا وعملوا الصـالحـات أولئك هم خيـر البـريـة** ﴾[2] قـال لعلي هـو أنت وشيعتـك ، تأتي يـوم القيامـة أنت وهم راضين مرضيين ويأتي اعداؤك غضـاباً مفحمين . ونقل الواحدي في تفسيره يرفعه بسنده إلى ابن عباس (رض) قال. كان مع علي بن أبي طالب اربعة دراهم لا يملك غيرها ، فتصدق بدرهم ليـلاً وبـدرهم نهاراً وبـدرهم سراً وبـدرهم علانيـة ، فأنـزل الله سبحانـه وتعـالى : ﴿ **الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سـراً وعلانيـة فلهم أجرهم عنـد ربهم ولا خـوف عليهم ولا هم يحزنون** ﴾[3]. ونقـل أبـو اسحق أحمـد بن محمـد الثعلبي في تفسيره يرفعه ، قال بينما عبدالله بن عبـاس (رض) جالسـاً قريبـاً من زمزم يقول قال رسول الله (ص) وهو يحـدث الناس إذ أقبـل رجل متلثمـاً فوقف فجعل ابن عباس لا يقول قال رسول الله ، إلا قال الرجل قال رسول الله (ص) فقال ابن عباس سألتك بـالله من أنت فقال أيهـا الناس من عـرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أبو ذر الغفاري ، سمعت رسـول الله (ص) بهاتين وإلا صمتايقول عن علي بن أبي طالب أنه قائد البررة ، وقاتل الكفرة ، منصور من نصـره مخذول من خـذله ، وصليت مـع رسول الله (ص) يـومـاً من أيـام الظهر فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد شيئاً ، فرفـع السائـل يديـه إلى السماء وقال اللهم إني أشهدك اني سألت في مسجد نبيك محمـد (ص) ولم يعطني أحد شيئاً وكان علي في الصلاة راكعاً فـأومأ إليـه بخنصره اليمنى وفيهـا

---

(١) سورة الحاقة الآية ١٢ ـ أسباب التنزيـل للواحدي ص ٣١٧ بـإسناده عن بـريدة عن رسـول الله (ص).

(٢) سورة البينة الآية ٧.

(٣) سـورة البقرة الآيـة ٢٧٤ ، كشف الغمة ٩١ و٩٣ وتفسير فرات ٨ ومجمـع البيـان (٢/ ٣٨٨) والكشاف للزمخشري (١/ ٢٨٦) والدر المنثور (١/ ٣٦٢).

خاتم فأقبل السائل فأخذ الخاتم من خنصره ، وذلك بمرأى من النبي (ص) وهو في المسجد ، فرفع رسول الله (ص) طرفه إلى السماء وقال اللهم إن أخي موسىٰ سألك فقال « رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي ، واجعل لي وزيراً من أهلي هرون أخي اشدد به ازري وأشركه في أمري »[1] فأنزلت عليه قرآناً ناطقاً سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون اليكما . اللهم وإني محمد نبيك وصفيك اللهم فاشرح لي صدري ويسر لي أمري واجعل لي وزيراً من أهلي علياً أشد به ظهري ، قال أبو ذر (رض) فما استتم دعاؤه حتى نزل جبرئيل (عليه السلام) من عند الله عزّ وجل وقال إقرأ : ﴿ **إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون** ﴾[2].

ونقل الواحدي في كتابه المسمى بأسباب النزول ، أن الحسن والشعبي والقرطي قالوا ان علياً والعباس وطلحة بن شيبة افتخروا فقال طلحة أنا صاحب البيت مفتاحه بيدي ، ولو شئت كنت فيه ، قال العباس وأنا صاحب السقاية والقائم عليها فقال علي لا أدري لقد صليت ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد ، فانزل الله تعالى : ﴿ **أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله** ﴾[3] إلى أن قال : ﴿ **الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله أولئك هم الفائزون** ﴾ ومن كتاب المناقب لأبي المؤيد

---

(١) سورة طهٓ الآية ٢٩ .

(٢) سورة المائدة الآية ٥٥ ـ أسباب النزول للواحدي ص ١٣٧ والزمخشري في الكشاف (١/ ٣٤٧) ط. مظر والرازي في أحكام القرآن ٢/ ٥٤٣ ط. البهية القاهرة والدر المنثور (٢/ ٢٩٣) ط. مصر والطبري في ذخائر العقبى ٨٨ ط. القاهرة ونقله سائر المفسرين في كتبهم ورواه في غاية المرام باب ١٨ وصاحب المراجعات . . .

(٣) تفسير القمي ٢٦٠ وكشف الغمة ٩٢ و٩٥ وروضة الكافي ٢٠٣ و٢٠٤ وتفسير العياشي وتفسير فوات ٥٦ و٥٨ وعمدة ابن بطريق ١٨ وأسباب النزول للواحدي ١٦٨ وتفسير البيضاوي (١/ ١٩١) والزمخشري في الكشاف (٢/ ٢٧) ومفاتيح الغيب (٤/ ٤٢٢ و٤٢٣) والآية في سورة التوبة رقم ١٩ .

عن أبي بردة (رض) قال قال رسول الله (ص) ونحن جلوس ذات يوم والذي نفسي بيده: لا يزال قدم عن قدم يوم القيامة حتى يسأل الله تعالى الرجل عن أربع ، عن عمره فيما أفناه ، وعن جسده فيما أبلاه ، وعن ماله مم كسبه ، وفيم أنفقه ، وعن حبنا أهل البيت ، فقال عمر ما آية حبكم فوضع يده على رأس علي وهو جالس على جانبه فقال آيته حب هذا من بعدي .

وروى الحافظ عبد العزيز بن الأخضر الجنابذي في كتابه معالم العترة النبوية مرفوعاً إلى فاطمة (عليها السلام) قالت خرج علينا رسول الله (ص) عشية عرفة فقال إن الله عزّ وجل باهى بكم وغفر لكم عامة ولعلي خاصة ، وإني رسول الله غير محاب لقرابتي أن السعيد كل السعيد من أحب علياً في حياته وبعد موته .

ورواه الطبراني أيضاً في معجمه عن فاطمة الزهراء (عليها السلام) وزاد فيه أن الشقي كل الشقي من أبغض علياً في حياته وبعد مماته .

وروى الترمذي والنسائي عن يزيد بن جنيس قال سمعت علياً عليه السلام يقول والذي فلق الحب أو قال الحبة وبرأ النسمة أنه لعهد النبي الأمي أنه لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق .

وعن أبي سعيد الخدري قال ما كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله (رض) إلا ببغضهم علياً .

وعن الحرث الهمداني قال جاء علي عليه السلام ، حتى صعد المنبر وحمد الله تعالى وأثنىٰ عليه ثم قال قضاء قضاه الله تعالى على لسان نبيكم محمد (ص) لايحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق وقد خاب من افترى .

ومن كتاب الخصايص عن العباس بن عبد المطلب (رض) قال سمعت عمر بن الخطاب وهو يقول كفوا عن ذكر علي بن أبي طالب إلا بخير فإني سمعت رسول الله (ص) يقول في علي ثلاث خصال وددت أن لي واحدة منهن ، كل واحدة منهن أحب إلي مما طلعت عليه الشمس ، وذاك إني كنت أنا وأبو بكر وأبو عبيدة بن الجراح ونفر من أصحاب رسول الله

(ص) إذ ضرب النبي (ص) على كتف علي بن أبي طالب ، وقال يا علي أنت أول المسلمين إسلاماً ، وأنت أول المؤمنين إيماناً ، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى ، كذب من زعم أنه يحبني وهو مبغضك ، يا علي من أحبك فقد أحبني ، ومن أحبني احبه الله ، ومن أحبه الله أدخله الجنة ومن أبغضك فقد أبغضني ومن أبغضني أبغضه الله تعالى وأدخله النار .

وروى مسلم والترمذي أن معاوية قال لسعد بن أبي وقاص وما منعك أن تسب أبا تراب ، فقال سعد أما ما ذكرت فلثلاث قالهن رسول الله (ص) فلن أسبه ولأن تكون واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم، سمعت رسول الله (ص) يقول وقد خلفه في بعض مغازيه فقال علي خلفتني مع النساء والصبيان ، فقال له رسول الله أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسىٰ إلا أنه لا نبي بعدي ، وسمعته يقول (ص) يوم خيبر لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فتطاولنا إليها فقال (ص) ادعوا لي علياً فأتي به أرمد فبصق في عينه فبرأ ودفع إليه الراية ففتح الله على يديه . ولما نزلت هذه الآية : ﴿**فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم**﴾ فدعا رسول الله (ص) علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً وقال : « اللهم هؤلاء أهلي » .

ومن كتاب كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب (عليه السلام) تأليف الشيخ الإمام الحافظ محمد بن يوسف بن محمد الكنجي الشافعي حكى عن عبدالله بن عباس ، وكان سعيد بن جبير يقوم بعد كفّ بصره فمر على ضفة زمزم فإذا بقوم من أهل الشام يسبون علياً فسمعهم عبدالله بن عباس ، فقال لسعيد ردني إليهم فرده فوقف عليهم وقال أيكم الساب لله تعالى ، فقالوا سبحان الله ما فينا أحد سب الله ، فقال أيكم الساب لرسوله ، فقالوا سبحان الله ما فينا أحد سب رسول الله (ص) قال.فأيكم الساب لعلي بن أبي طالب ، فقالوا أما هذا فقد كان منه شيء ، فقال أشهد على رسول الله (ص) إنما سمعته أذناي ووعاه قلبي سمعته يقول لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) يا علي من سبك فقد سبني ومن سبني فقد سب الله

ومن سب الله فقد كبه الله على منخريه في النار ، وولى عنهم وقال يا بني ماذا رأيتهم صنعوا قال فقلت لهم يا ابتي :

نـظروا إلـيـك بـأعيـن محـمـرة   نـظر التيـوس إلى شفـار الجـاذر

فقال زدني فداك أبوك ، فقلت :

خرز العيون نـواكس أبصارهم   نظر الذليل إلى العزيز القاهـر

فقال زدني فداك أبوك ، فقلت ليس عندي مزيد ، فقال عندي المزيد .

أحـيـاؤهم عـار عـلى أمـواتـهـم   والـمـيـتـون مـسـبـة لـلغـابـر

ومن كتاب الآل لابن خالوية عن أبي سعيد الخدري قال قال رسـول الله (ص) لعلي حبك إيمان وبغضك نفاق وأول من يدخل الجنة محبك وأول من يدخل النار مبغضك .

وعن عـمـار بـن يـاسـر (رض) أن النبي (ص) قـال لعلي بن ابي طالب ، طوبى لمن أحبك وصدق فيك وويل لمن ابغضك وكذب فيك .

وعن ابن عبـاس « رض « أن النبي (ص) نظر إلى علي بن أبي طـالب (عليه السلام) فقال له أنت سيـد في الدنيـا وسيد في الآخـرة من أحبك فقـد أحبني ، ومن أبغضك فقد أبغضني وبغضك بغض الله فالويل كـل الويـل لمن أبغضك .

وعن النبي (ص) أنـه قـال الا ومن مـات على حب آل محمـد مـات شهيداً ألا ومن مات على حبِّ آل محمـد مات مؤمنـاً ، إلا ومن مات على حب آل محمد زف إلى الجنة كما تزف العروس إلى زوجها .

ولبديع الزمان الهمداني :

يقـولـون لي أمـا تـحب الـرضـا   فـقـلت الـثـرى بـفـم الـكـاذب
أحـب الـنـبـي وآل الـنـبـي   واخـتـص آل أبـي طـالـب

ولابن هرثمة رحمه الله تعالى :

فمن كان يعذل في حبهم   فإني أحب بني فاطمة
بني بنت من جاء بالبينات   وبالدين والسنن القائمة

في صفته الجميلة وأوصافه الجليلة (عليه السلام):

قال الخطيب أبو المؤيد الخوارزمي عن أبي اسحق لقد رأيت علياً (عليه السلام) أبيض الرأس واللحية ضخم البطن ربعة من الرجال .

وذكر ابن منده أنه كان شديد الأدمّة ظاهر السمرة كثير الشعر عريض اللحية ثقيل العينين عظيمهما ذا بطن وهو إلى القصر أقرب .

وزاد محمد بن حبيب البغدادي صاحب الكنز الكبير في صفاته أنه أدمي اللون حسن الوجه ضخم الكراديس أنزع بطين .

ومما رواه الغر المحدث في صفته وذلك عند سؤال بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل له عند صفته له ، فقال كان ربعة من الرجال ادعج العينين حسن الوجه كأنه القمر ليلة البدر حسناً ضخم البطن عريض المنكبين شثن الكفين كأن عنقه ابريق فضة أصلع كث اللحية له شاش كشاش السبع الضاري لا يتبين عضده من ساعده وقد ادمجت إدماجاً .

قال معاوية لضرار بن ضمرة صف لي علياً ، فقال اعفني فقال أقسمت عليك لتصفنه ، قال أما إذا كان لابد فإنه والله كان بعيد المدى شديد القوى ، يقول فصلاً ويحكم عدلاً ينفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من لسانه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويأنس بالليل ووحشته ، وكان غزير الدمعة طويل الفكرة ، يعجبه من اللباس ما خشن ومن الطعام ما جشب ، وكان فينا كأحدنا ، يجيبنا إذا سألناه ويأتينا إذا دعوناه ، ونحن والله مع تقريبه لنا وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبة له ، ويعظم أهل الدين ويقرب المساكين ولا يطمع القوي في باطله ، ولا ييأس الضعيف من عدله ، وأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين ، ويقول يا دنيا غري غيري ، الي تعرضت أم

إلي تشوقت هيهات هيهات طلقتك ثـلاثاً لا رجعـة فيها فعمـرك قصير وخـطرك كبيـر وعيشك حقيـر ، آه من قلة الـزاد وبعـد السفـر ووحشـة الـطريق ، فبكى معاوية وقـال رحم الله أبا الحسن لقـد كان والله كـذلك فكيف حـزنك عليـه يا ضرار ، فقال حزن من ذبح ولـدها في حجـرها فهي لا يـرقى دمعها ولا يخفى فجعها .

سأل معاويـة خالـد بن معمر فقـال له على مـا أحببت علياً ، فقـال على ثلاث خصال على حلمـه إذا غضب ، وعلى صدقـه إذا قال ، وعلى عـدله إذ حكم .

ونقـل عن سودة بنت عمـارة الهمدانيـة رحمهـا الله ، أنهـا قـدمت على معاوية بعد موت علي عليه السلام فجعل معاوية يؤنبها على تحريضها عليه في أيام قتال صفين ، ثم أنه قال لها ما حاجتك فقـالت إن الله تعالى مسـائلك عن أمرنا وما فرض عليك من حقنا ، ومـا فوض إليـك من أمرنـا ، ولا يزال يقـدم علينا من قبلك من يسمو بمقامك ويبطش بسلطانك فيحصدنا حصـد السنبل ، ويـدوسنا دوس الحـرمل ، يسـومنا الخسف ، ويـذيقنا الحتف ، هـذا بسر بن أرطأة قد قـدم علينا ، فقتـل رجالنـا وأخذ أمـوالنا ولـولا الطاعـة لكان فينـا عز ومنعة ، فإن عزلته عنا شكرناك وإلا فإلى الله شكوانا ، فقال معاوية إياي تعنين ولي تهددين لقد هممت يا سورة أن أحملك على قتب أشوس فاردك إليه فينفذ حكمه فيك ، فأطرقت ثم أنشأت تقول :

صلّى الإلّـه على جـسم تـضمـنـه قبر فـأصبح فيـه العـدل مـدفـونـا
قـد حـالف الحق لا يبغي بـه بـدلاً فصـار بـالحق والإيمـان مقـرونـا

فقال معاوية من هذا يا سودة ، فقـالت هذا والله أميـر المؤمنين علي ابن أبي طـالب (عليه السـلام) لقد جئتـه في رجل كـان قد ولاه صـدقاتنـا فجـار علينا ، فصادفته قائمـاً يريـد صلاة فلمـا رآني انفتل ثم أقبـل علي بوجـه طلق ورحمة ورفق وقال لك حاجة ، فقلت نعم وأخبرته بالأمر ، فبكى ثم قال اللهم أنت شاهد اني لم آمـرهم بظلم خلقـك ولا بترك حقـك ، ثم أخرج من جيبـه

قطعة جلد وكتب فيها : « بسم الله الرحمن الرحيم قد جاءتكم بينة من ربكم فاوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين وإذا قرأت كتابي هذا فاحتفظ بما في يدك من عملك حتى نقدم عليك من يقبضه والسلام » ثم دفع إلي الرقعة ، فجئت بالرقعة إلى صاحبه فانصرف عنا معزولاً . فقال اكتبوا لها بما تريد واصرفوها إلى بلدها غير شاكية .

ذكر كنيته ولقبه وغير ذلك مما يتصل به (عليه السلام) :

أما كنيته فأبو الحسن، وأبو السبطين ، وأبو تراب كناه بذلك رسول الله (ص) وكان أحب الكنايات إليه كما سبق ذلك . وأما لقبه فالمرتضى وحيدر، وأمير المؤمنين ، والانزع البطين ، نقش على خاتمه أسندت ظهري إلى الله وقيل حسبي الله ، بوابه سلمان الفارسي (رض) شاعره حسان بن ثابت ، ومعاصروه أبو بكر وعمر وعثمان ومعاوية .

في مقتله ومدة عمره وخلافته :

عن أنس بن مالك (رض) قال مرض علي (عليه السلام) فدخلت عليه وعنده أبو بكر وعمر وعثمان ، فجلست عنده معهم فجاء النبي (ص) فنظر في وجهه فقال أبوبكر وعمر قد تخوفنا عليه يا رسول الله ، فقال لا بأس عليه ولن يموت الآن ، ولا يموت حتى يملأ غيظاً ولن يموت إلا مقتولاً .

وعن فضالة الأنصاري قال خرجت مع أبي إلى الينبع عائدين لعلي بن أبي طالب وكان مريضاً بها قد نقل إليها من المدينة ، فقال له ما يقيمك في هذا المنزل ولو هلكت به لم يدفنك إلا أعراب جهينة ، وكان أبو فضالة من أهل بدر فقال له علي لست بميت من وجعي هذا وذلك أن رسول الله (ص) عهد إلي أن لا أموت حتى اؤمر وتخضب هذه من دم هذا ، وأشار إلى لحيته ورأسه ، قضاء مقضياً وعهداً معهوداً منه إلي .

وقال المؤيد الخوارزمي في كتابه المناقب يرفعه بسنده إلى أبي الأسود

الدؤلي أنه عاد علياً في شكوى اشتكاها، قال فقلت له قد تخوفنا عليك يا أمير المؤمنين في شكـواك هـذه ، فقـال لكني والله مـا تخـوفت على نفسي لأني سمعت رسـول الله (ص) يقول إنـك ستضرب ضـربة ههنـا وأشـار إلى رأسـه فيسيل دمها حتى تخضب لحيتك يكون صاحبها اشقـاها كمـا كان عـاقر النـاقة أشقى ثمود .

قيـل وسئل علي وهـو على المنبر في الكـوفة عن قـولـه تعـالى : ﴿ **من المؤمنين رجال صدقوا مـا عاهـدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبـه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبـديلاً** ﴾[1] فقـال اللهم غفراً هـذه الآية نـزلت في وفي عمي حمـزة وفي ابن عمي عبيـدة بن الحـارث بن عبـد المـطلب ، أمـا عبيـدة بن الحارث فإنه قضى نحبه شهيداً يومِ بدر ، وأما عمي حمزة فإنه قضى نحبه يوم أحد ، وأما أنا فانتظر اشقاها يخضب هذه من هـذا وأشار إلى لحيتـه ورأسه ، عهد عهده إلى حبيبي أبو القاسم (ص) .

ومن المنـاقب مرفـوعاً إلى اسمـاعيل بن راشـد ، قال كـان من حـديث عبـد الرحمن بن ملجم لعنـة الله وصـاحبيـه وهمـا البـرك بن عبـدالله التميمي وعمرو بن بكر التميمي ، أنهم اجتمعوا بمكة فذكروا أمر الناس ومـا نالهم من القتـل وما هم عليـه فعـابـوا ذاك على ولاتهم، ثم أنهم ذكـروا أهـل النهـروان وترحموا عليهم وقالوا ما نصنع بالحياة بعـدهم ، أولئك كـانوا دعـاة الناس إلى ربهم لا يخافون في الله لومة لائم فلو شرينا انفسنا قاتلنا ائمة الضلال فالتمسنا قتلهم فأرحنا منهم البلاد والعباد ، وثأرنا بهم اخواننا في الله ، فقال ابن ملجم لعنة الله عليه أنا اكفيكم علي بن أبي طالب ، وقال البرك أنا أكفيكم معاويـة ، وقال عمرو بن بكر أنا أكفيكم عمرو بن العاص ، فتعاهدوا وتواثقوا بـالله على ذلك أن لا ينكل واحـد منهم عن صاحبـه الذي تكفـل به حتى يقتله أو يمـوت دونه ، فأخذوا سيوفهم فشحذوها ثم اسقوها السم وتـوجه كـل واحد منهم إلى جهة صاحبه الذي تكفـل به ، وتـواعدوا على أن يكـون وثوبهم عليهم في ليلة

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٢٣ .

واحدة وتوافقوا على أن تكون هذه الليلة التي يسفر صباحها عن يوم السابع عشر من شهر رمضان المعظم ، وقيل هي الليلة الحادية والعشرون منه ، فأما ابن ملجم لعنه الله فإنه لما أتى الكوفة لقي بها جماعة من أصحابه فكاتمهم أمره كراهة أن يظهر عليه شيء من ذلك ، فمر في بعض الأيام بدار من دور الكوفة فيها عرس فخرج منها نسوة ، فرأى فيهن امرأة جميلة فائقة في حسنها يقال لها فطام بنت الأصبغ التميمي لعنها الله فهواها ووقعت في قلبه محبتها ، فقال لها يا جارية أيم انت أم ذات بعل ، فقالت بل ايم فقال لها هل لك في زوج لا تذم خلايقه فقالت نعم ، ولكن لي أولياء أشاورهم فتبعها فدخلت داراً ثم خرجت إليه فقالت يا هذا إن أوليائي أبوا أن يزوجوني إلا على ثلاثة آلاف درهم وعبد وقينة ، قال لك ذلك قالت وشريطة أخرى قال وما هي قالت قتل علي بن أبي طالب فإنه قتل أبي وأخي يوم النهروان ، قال ويحك ومن يقدر على قتل علي وهو فارس الفرسان وواحد الشجعان ، فقالت لا تكثر فذلك أحب إلينا من المال إن كنت تفعل ذلك وتقدر عليه وإلا فاذهب إلى سبيلك ، فقال لها أما قتل علي بن أبي طالب فلا ولكن إن رضيتي ضربته بسيفي ضربة واحدة وانظري ماذا يكون ، قالت رضيت ولكن التمس غرته لضربتك فإن أصبته انتفعت بنفسك وبي ، وإن هلكت فما عند الله خير وابقى من الدنيا وزينة أهلها ، فقال لها والله ما جاءني إلى هذا المصر إلا قتل علي بن أبي طالب ، قالت فإذا كان الأمر على ما ذكرت دعني أطلب لك من يشد ظهرك ويساندك ، فقال لها افعلي فبعثت إلى رجل من أهلها يقال له وردان من تيم الرباب فكلمته فأجابها ، وجاء ابن ملجم إلى رجل من أشجع يقال له شبيب بن بحرة فقال له هل لك في شرف الدنيا والآخرة قال وكيف ذلك ، قال قتل علي بن أبي طالب فقال له ثكلتك أمك لقد جئت شيئاً إدًّا كيف تقدر على ذلك ، قال أكمن له في المسجد فإذا خرج لصلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه فإن نجينا شفينا أنفسنا وأدركنا ثأرنا وإن قُتلْنا فما عند الله خير من الدنيا وما فيها ، ولنا أسوة في أصحابنا الذين سبقونا ، فقال له ويحك لو كان غير علي وقد عرفت بلاءه في الإسلام وسابقته مع النبي (ص) وما أجد نفسي تنشرح لقتله ، قال ألم تعلم أنه قتل أهل النهروان العباد المصلين ، قال بلى ، قال

فنقتله بمن قتـل من اخـواننـا فـأجـابـه إلى ذلـك ، فجـاؤا إلى قـطام وهي في المسجد الأعظم معتكفة وكان ذلـك في شهر رمضـان ، فقالـوا لها قـد صممنا وأجمع رأينا على قتل علي بن أبي طالب ، فقـال ابن ملجم ولكن يكون ذلـك في ليلة الحادية والعشرين منهم فإنهـا الليلة التي تواعـدت أنا وصـاحبـاي فيهـا على أن يُبيت كل واحد منا صاحبـه الذي تكفـل بقتله ، فأجـابوه إلى ذلـك ، فلما كانت الليلة الحادية والعشرين أخذوا أسيافهم وجلسوا مقـابل السـدة التي يخرج منها علي بن أبي طالب (عليه السلام) وكانت ليلة الجمعـة فلما خـرج لصلاة الصبح شـد عليه شبيب فضـربه بـالسيف فوقف سيفـه بعضادة البـاب ، وضربه ابن ملجم لعنه الله بسيفه فأصابه ، وهرب وردان ومضى شبيب لعنه الله هارباً حتى دخل منزله ، فدخل عليه من بني أميـة فقتله ، وأما ابن ملجم فـإن رجلاً من همدان لحقه فطرح عليه قطيفة كانت في يده ثم صرعه وأخذ السيف منـه وجاء بـه إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طـالب (عليه السلام) فنـظر إليـه علي ، ثم قـال النفس بالنفس إن أنـا مت فاقتلوه كمـا قتلني وإن سلمت رأيت رأيي فيه ، فقال ابن ملجم لعنه الله ، والله لقد ابتعته بألف وسممته بألف فـإن خـانني فأبعـد الله مضاربـه ، قال فنـادتـه أم كلثـوم ابنـة سيـدنـا علي (عليهـا السلام) يا عدو الله قتلت أمير المؤمنين ، فقال إنما قتلت أباك ، قالت يا عدو الله إني لأرجو أن لا يكون عليه بأس ، قـال لها اراك إذاً تبكين علي والله لقـد ضربته ضربة لو قسمت بين أهل مصر ما بقي منهم أحـد فأخـرج من بين يدي أميـر المؤمنين والناس يلعنـونه ويسبـونه ويقـولون يـا عـدو الله مـا فعلت ومـاذا اتيت ، اهلكت أمـة محمـد (ص) قتلت خيـر النـاس وأنهم لـو تـركـوهم بـه لقطعوه قطعاً وهو لا ينطق لهم ، قال ودعا أمير المؤمنين علي (عليه السـلام) حسناً وحسيناً فقال أوصيكما بتقوى الله تعالى ولا تبغوا الدنيا وإن بغتكما وتتكيا على شيء زوي منها عنكما ، قولا الحق وارحما اليتيم واعينا الضعيف واصنعا لـلأخرى ، وكـونا للظالم خصمـا وللمظلوم انصـاراً واعملا بمـا في كتاب الله تعـالى ولا تأخـذكما في الله لـومة لائم ، ثم نـظر إلى محمد بن الحنفيـة فقال حفظت ما أوصيت به أخويك قال نعم فقال إني أوصيك بمثله وأوصيك بتوقيـر أخويك لعظم حقهما عليك ولا تؤثر أمراً دونهما ثم قـال أوصيكما بـه فإنـه ابن

أبيكما قد علمتما أن أباكما كان يحبه .

وصيته (عليه السلام):

وفي رواية عن الحسن بن علي (عليه السلام) لما حضـرت أبي الوفـاة اقبل يوصي ، فقال هذا ما أوصى به علي بن أبي طالب أخو محمـد رسول الله وابن عمـه وصـاحبـه وخليفتـه ، أول وصيتي اني أشهـد أن لا إلّـه إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله وخيرته اختـاره بعلمه وارتضـاه لخلقه وأن الله بـاعث من في القبور وسائل الناس عن أعمالهم عالم بمـا في الصدور . ثم قـال إني أوصيك يا حسن وكفى بك وصيـاً ، بما أوصـاني به رسـول الله (ص) فإذا كـان ذلك فالزم بيتك وابك على خطيئتك ولا تكن الـدنيا أكبـر همك ، وأوصيـك يا بني بـالصلاة عنـد وقتها والـزكـاة في أهلهـا عنـد محلهـا والصمت عنـد الشبهـات والاقتصـاد والعـدل في الـرضـا والغضب وحسن الجـوار ، وإكـرام الضيف ، ورحمـة المجهـود وأصحـاب البـلاء ، وصلة الـرحم ، وحب المسـاكين ومجـالستهم ، والتواضـع فإنـه افضل العبـادة ، وقصر الأمـل وذكـر المـوت ، والزهد في الدنيا ، فـإنك رهين مـوت وعريض بـلاء وطريـح سقم ، وأوصيك بخشيـة الله تعـالى في سـر أمـرك وعـلانيتـك ، وأنهـاك عن التسـرع بـالقـول والفعل ، وإذا عرض شيء من أمـر الآخرة فـابدأ بـه وإذا عرض شيء من أمـر الـدنيا فتـأن به حتى تصيب رشـدك فيـه ، وإيـاك ومـواطن التهمـة والمجلس المـظنون بـه السوء فـإن قرين السـوء يغير جليسه وكن لله يا بني عـامـلاً وعن الخنا زجوراً وبالمعـروف آمراً وعن المنكر نـاهياً ، وآخ الأخـوان في الله وأحب الصالح لصلاحه ودار الفاسق عن دينك وأبغضه بقلبك ، وزايله بأعمالـك لئلا تكون مُثله ، وإياك والجلوس في الطرقات ودع الممـاراة ومجاورة من لا عقـل لـه ، واقتصد يـا بني في معيشتك ، واقتصـد في عبادتـك وعليك فيهـا بالأمـر الدائم الذي تطيقه والزم الصمت وبه تسلم ، وقـدم لنفسك تغنم وتعلم الخيـر تعلم وكن ذاكراً لله تعالى على كل حال ، وارحم من أهلك الصغير ووقر منهم الكبير ، ولا تأكلن طعاماً حتى تتصدق منه قبل أكله ، وعليك بالصوم فإنه زكاة

البدن وجنة لأهله ، وجاهد نفسك واحذر جليسك ، واجتنب عدوك وعليك بمجالس الذكر ، وأكثر من الدعاء فإني لم آلُك يا بني نصحاً، وهذا فراق بيني وبينك وأوصيك بأخيك محمد فإنه ابن أبيك ، وقد تعلم حبي له ، وأما أخوك الحسين فإنه شقيقك وابن أمك [ولا أن يدك وصياته] والله الخليفة عليكم وإياه أسأل أن يصلحكم وأن يكف الطغاة والبغاة عنكم ، والصبر الصبر حتى يقضي الله الأمر ، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله العلي العظيم . ثم قال للحسن يا حسن ابصروا ضاربي اطعموه من طعامي وأسقوه من شرابي ، فإن أنا عشت فأنا أولى بحقي ، وإن مت فاضربوه ضربة ولا تمثلوا به فإني سمعت رسول الله (ص) يقول إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور ، يا حسن إن أنا مت لا تغال في كفني فإني سمعت رسول الله (ص) يقول لا تغالوا في الأكفان فامشوا بي بين المشيتين فإن كان خيراً عجلتموني إليه وإن كان شراً القيتموه عن أكتافكم، يا بني عبد المطلب لا الفينكم تريقون دماء المسلمين بعدي تقولون قتلتم أمير المؤمنين ، ألا لا يقتلن بي إلا قاتلي ثم لم ينطق إلا بلا إلّه إلاَّ الله حتى قبض عليه السلام ، وذلك في شهر رمضان سنة أربعين وغسله الحسن والحسين وعبدالله بن جعفر ومحمد بن الحنفية يصب الماء وكفن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ، وصلّى عليه ابنه الحسن (عليه السلام) وكبر عليه سبع تكبيرات ودفن في جوف الليل بالغري موضع معروف إلى الآن وقيل النجف وفيه يقول بعض الشعراء :

تسح سحائب الرضوان سحاً ... كجود يديه ينسجم انسجاماً
ولا زالت رواة المزن تهدي ... إلى النجف التحية والسلاما

وقيل دفن في الجامع الأعظم وقيل في القصر وقيل غير ذلك ، ولما فرغوا من دفنه (عليه السلام) جلس الحسن (عليه السلام) وأمر أن يؤتى بابن ملجم لعنه الله فجيء به ، فلما وقف بين يديه قال يا عدو الله قتلت أمير المؤمنين وأعظمت الفساد في الدين ، ثم أمر به فضربت عنقه وأخذه الناس وأدرجوه في بواري وأحرقوه لعنه الله . وقيل إن أم الهيثم بنت الأسود الخثعمية استوهبت جيفته من الحسن (عليه السلام) وأحرقتها بالنار . وأما الرجلان

اللذان كانا مع ابن ملجم في العقد على قتل معاوية وعمرو بن العـاص ، فإن أحدهما في صبيحة تلك الليلة وهو البرك ضرب معـاوية وهـو راكع في صـلاة الصبح فوقعت ضربته في إليته من فوق ثياب كثيرة كـانت عليه فجـرحه جـرحاً يسيراً وقبض على البرك فقال لمعاوية إن عندي خبراً أسرك به فإن أخبرتكه أنافعي ذلـك عنـدك، فقـال نعم، قـال إن عليـاً قتـل في هـذه الليلة قتله أخ لي ، قال وكيف فأخبره بخبرهم ثلاثتهم وما عقدوا عليه فقـال معاويـة ولعله لم يقدر على ذلك اقتلوه فأخذ وقتل ، وبعث معاوية إلى طبيب يقال له الساعدي وكـان طبيباً حاذقاً فأراه جراحته فلما نظر إليها قال اختر إما أن أحمي حديدة فـأضعها في مـوضع السيف ، وإمـا أن اسقيك شـربة يقـطع بها عنـك الولـد وتبرأ فـإن ضربته مسمومة، قال معاوية أما النار فلا صبر لي عليها وأمـا الولـد ففي يزيـد وعبدالله ما تقر به عيني ، فسقاه شربة فبرأ ولمْ يـولد بعـدها وأمـر معاويـة بعد ذلك بالمقصورات في المسجد وحرس الليل وقيام الشرطة على رأسه وهو أول من عمل المقصورات في الإسلام .

وأما الرجل الثالث وهو عمرو بن بكـر التميمي فوافى خارجة في صبيحة تلك الليلة وهو في المسجد في صلاة الصبح فضربه بسيفه وهو يظن أنه عمرو وكان عمرو قد تخلف صبيحة تلك الليلة واستخلف خارجة فوقعت الضـربة في خارجة فقتله ،مات منها في اليوم الثاني وفي ذلك يقول ابن زيدون (رهـ) :

فليتهـا إذ فـدت عمـراً بخـارجـة فـدت علياً بمن شـاءت من البشـر

وأخذوا قاتل خارجـة فأدخـل على عمرو فلمـا رآه قال لـه من قتلت قال يقولون خارجة ، فقال أردت عمـراً وأراد الله خارجة ، فصارت مثلاً وأمر عمرو فقتل ولما بلغ معاوية قتل خارجة وسلامة عمرو كتب إليه بهذه الأبيات :

وقتـل وأسبـاب الـردى كـثيـرة منيـة شيـخ من لـؤي بن غـالـب
فيـا عمـرو مهـلاً إنمـا أنت عمـه وصـاحبـه دور الـرجـال الأقـارب
نجـوت وقـد بـل المـرادي سيفـه من ابن أبي شيـخ الأبـاطح طـالب
ويـضـربني بـالسيف آخـر مثله وكـانت عليـه تلك ضـربـة لازب

وأنـت تـــاغـي كـــل يـــوم ولـيـــلة   بمصـرك بيضـاً كـالـضباء الشـوازب

وقد صح النقل ان علياً عليه السلام ضـربه عبـد الرحمن بن ملجم ليلة الجمعة الحادي والعشرين من رمضان المعـظم سنة أربعين ومـات من ضربتـه ليلة الأحد وهي الليلة الثالثة من ليلة ضربه ، وكان عمـره إذ ذاك خمساً وستين سنة أقام منها مع النبي خمساً وعشرين سنة منها قبل البعث والنبوة اثنتاعشر سنة ، وبعده ثلاث عشرة سنة ، ثم هاجر وأقام مع النبي (ص) بالمـدينة إلى أن تـوفي النبي (ص) عشـر سنين ، ثم عاش من بعـد وفـاة النبي إلى أن قتـل (عليـه السلام) ثلاثين سنة فجملة ذلك خمس وستون سنة .

وبالإسناد عن جابر بن عبـدالله الانصاري (رض) قـال إني حاضـر عند علي بن أبي طالب إذ جاءه عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله يستحمله فحمله ثم قال :

أريــد حـيــاتــه ويــريــد قـتـلي   عــذيــري مـن خـليـلي مـن مــراد

ثم قال هذا والله قاتلي لا محالة ، قلنا يا أمير المؤمنين أفـلا تقتله قال لا فمن يقتلني ، ثم قال (عليه السلام) :

أشـدد حيــازيمــك للمــوت   فــإن الـمــوت لاقـيـكـمــا
ولا تــجــزع مــن الـمــوت   إذا حــل يــنــاديـكــا
ولا تــغــتــر بــالــدهــر   وإن كــان يــواتــيـكــا
كــمــا أضـحـكـك الــدهــر   كــذاك الــدهــر يـبـكـيـكــا

وقال غنم بن المغيرة كان علي بن أبي طالب (عليـه السلام) في شهـر رمضان من السنة التي قتل فيها ، يفطر ليلة عند الحسن ، وليلة عن الحسين ، وليلة عند عبدالله بن جعفـر ، لا يزيـد في كل أكلة على ثـلاث أو أربع لقم ، ويقول يأتيني أمر الله وأنا خميص ، إنما هي ليال قلائل فلم يمض الشهر حتى قتل عليه السلام .

وعن الحسين بن كثير عن أبيه قال خرج علي (عليـه السلام) في فجـر

اليوم الذي قتل فيه ، فأقبل الأوز يصحن في وجهه فطردن عنه فقال (عليه السلام) ذروهن فإنهن نوائح فقتله ابن ملجم لعنه الله .

وقال الحسن بن علي (عليه السلام) قمت ليلاً فوجدت أبي قائماً يصلي في مسجد داره ، فقال يا بني أيقظ أهلك يصلون فإنها ليلة الجمعة صبيحة بدر ، ولقد ملكتني نفسي فنمت فرأيت رسول الله (ص) فقلت يا رسول الله ماذا لقيت من أمتك من اللأواء واللدد ، فقال (ص) أدع عليهم ، فقلت اللهم أبدلني بهم من هو خير منهم ، وأبدلهم بي من هو شر منهم ، فجاء المؤذن فأذنه بالصلاة فخرج وخرجت خلفه ، فضربه ابن ملجم لعنه الله فقتله وفي قصة عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله ومهره لقطام واشتراطها عليه قتل علي (عليه السلام) يقول الفرزدق :

فلم أر مهراً ساقه ذو سماحة ... بمهر قطام من فصيح واعجم
ثلاثة آلاف وعبد وقينة ... وضرب علي بالحسام المصمم
فلا مهر أغلى من قطام وإن غلا ... ولافتك إلا دون فتك ابن ملجم

ولله در القائل حيث يقول :

فلا غرو للاشراف إن ظفرت بها ... كلاب الأعادي من فصيح وأعجم
فحربة وحشي سقت حمزة الردى ... وحتف علي من حسام ابن ملجم

وقال أبو الأسود الدؤلي في قتل علي عليه السلام :

ألا أبلغ معاوية بن هند ... فلا قرت عيون الشامتينا
أفي شهر الصيام فجعتمونا ... بخير الناس طراً أجمعينا
قتلتم خير من ركب المطايا ... ورحلها ومن ركب السفينا
ومن لبس النعال ومن حذاها ... ومن قرأ المثاني والمئينا
إذا استقبلت وجه أبي حسين ... رأيت البدر زاغ لناظرينا
لقد علمت قريش حيث كانت ... بأنك خيرهم نسباً ودينا
فقل للشامتين بنا رويداً ... سيلقى الشامتون كما لقينا

وقال بكر بن حسان الباهلي :

قل لابن ملجم والأقدار غالبة ... هدمت للدين والإسلام اركانا
قتلت أفضل من يمشي على قدم ... وأفضل الناس إسلاماً وإيمانا
واعلم الناس بالقرآن ثم بما ... سن الرسول لنا شرعاً وتبيانا
صهر النبي ومولاه وناصره ... أضحت مناقبه نورا وبرهانا
فكان منه على رغم الحسود له ... مكان هارون من موسى بن عمرانا
ذكرت قاتله والدمع منحدر ... فقلت سبحان رب العرش سبحانا
قد كان يخبرنا أن سوف يخضبها ... قبل المنية اشقاها وقد كانا

وبالإسناد عن الزهري قال، قال لي عبد الملك بن مروان أي واحد أنت، إن حدثتني ما كانت علامة يوم قتل علي بن أبي طالب قلت يا أمير المؤمنين ما رفعت حصاة ببيت المقدس إلا وكان تحتها دم عبيط فقال أنا وأنت غريبان في هذا الحديث .

ومن كتاب المناقب لأبي بكر الخوارزمي قال ، قال أبو القاسم الحسن بن محمد كنت بالمسجد الحرام فرأيت الناس مجتمعين حول مقام إبراهيم (عليه السلام) فقلت ما هذا فقالوا راهب قد أسلم وجاء إلى مكة وهو يحدث بحديث عجيب ، فأشرفت عليه فإذا شيخ كبير عليه جبة صوف وقلنسوة صوف عظيم الجثة وهو قاعد عند المقام يحدث الناس وهم يسمعون إليه ، فقال بينما أنا قاعد في صومعتي في بعض الأيام إذ أشرفت منها إشرافة ، فإذا طائر كالنسر الكبير قد سقط على صخرة على شاطىء البحر فتقيأ فرمى من فيه ربع إنسان ، ثم طار فغاب يسيراً ثم عاد فتقيأ ربعاً آخر، ثم طار وعاد وتقيأ هكذا إلى أن تقيأ أربعة أرباع انسان ، ثم طار فدنت الأرباع بعضها إلى بعضها فالتأمت فقام منها إنسان كامل وأنا اتعجب مما رأيت فإذا بطائر قد انقض عليه اختطف ربعه ثم عاد واختطف ربعاً آخر ، ثم طار وهكذا إلى أن اختطف جميعه ، فبقيت اتفكر وأتحسر ألا كنت سألته من هو وما قصته فلما كان في اليوم الثاني فإذا بالطائر قد أقبل وفعل كفعله بالأمس ، فلما التأمت

الأرباع وصارت شخصاً كاملاً نزلت من صومعتي مبادراً إليه ودنوته وسألتـه بالله من أنت يـا هذا ، فسكت عني فقلت لـه بحق من خلقك إلا مـا أخبـرتني من أنت فقال أنا ابن ملجم ، قلت مـا قصتك مـع هذا الـطائر قـال قتلت علي بن أبي طالب ، فوكل بي هذا الـطائر ليفعـل بي ما تـرى كل يـوم ، فخرجت من صـومعتي وسـألت عن علي بن أبي طـالب فقيـل لي أنــه ابن عم رسـول الله (ص) فأسلمت وأتيت ماراً من هذا الى بيت الله الحرام قاصداً الحج وزيارة النبي (ص).

في ذكر أولاده عليه وعليهم السلام :

أولاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليـه السلام) سبعـة وعشرون ولـداً ما بين ذكـور وإنـاث ، وهم الحسن والحسين وزينب الكبـرى ، وزينب الصغرىٰ المكناة أم كلثوم وأمهم فاطمة البتول سيـدة نساء العـالمين ، ومحمد المكنى بأبي القاسم أمـه خولـة بنت جعفر بن قيس الحنفيـة وعمر ورقيـة كانـا توأمين وأمهما أم حبيب بنت ربيعة والعباس وجعفـر وعثمان وعبـدالله الشهداء مع أخيهم الحسين (عليه السلام) بطف كـربلا أمهم أم البنين بنت حـزام بن خالد بن دارم ، ومحمد الأصغر المكنى أبا بكر ، وعبدالله الشهيدان أيضـاً مع أخيهما الحسين بكربلا ، أمهما ليلى بنت مسعود الدارمية ويحيى وعون أمهمـا أسمـاء بنت عميس الخثعمية ، وأم الحسن ورملة أمهمـا أم مسعود بنت عـروة الثقفي ونفيسـة وزينب الصغرى ورقيـة الصغرى وأم هـاني وأم الكرام وجمـانة المكناة بأم جعفـر وأمامـة وأم سلمة وميمـونة وخـديجة وفـاطمة كلهن لامهـات شتى . واعلم أن الناس قد اختلفـوا في عدد أولاده ذكـوراً وإناثـاً ، فمنهـم من أكثر ومنهـم من اختصر . والـذي نقله صاحب كتـاب الصفوة أن أولاده الـذكور أربعة عشر ذكـراً ، وأولاده الإناث تسعةعشر انثى ، وهـذا تفصيل أسمـائهم رضِـوان الله عليهم أجمعين . (الـذكـور) الحسن والحسين ومحمـد الأكبـر وعبيدالله وأبو بكـر والعباس وعثمـان وجعفر وعبـدالله ومحمد الأصغـر ويحيى وعون وعمر ومحمد الأوسط . (الإناث) زينب الكبرى وأم كلثوم الكبـرى وأم الحسن ورملة الكبرى وأم هاني وميمـونة وزينب الصغـرى وأم كلثوم الصغـرى

ورقية وفاطمة وأمامة وخديجة وأم الكرام وأم سلمة وأم جعفر وجمانة وعد بنتاً أخرى لم يذكر اسمها ماتت صغيرة . وذكروا أن فيهم محسناً شقيقاً للحسن والحسين عليهما السلام ذكرته الشيعة وأنه كان سقطا ، فهؤلاء أولاده عليه وعليهم السلام ، والنسل منهم للحسن والحسين ومحمد بن الحنفية والعباس ابن الكلابية وعمر بن التغلبية وهي الصهباء بنت ربيعة من السبي الذين أغار عليهم خالد بن الوليد بعين النمر وعمَّر عمر هذا حتى بلغ خمساً وثمانين سنة فحاز نصف ميراث علي عليه السلام وذلك أن جميع اخوته وأشقائه وهم عبدالله وجعفر وعثمان قتلوا جميعهم قبله مع الحسين (عليه السلام) بالطف فورثهم ، وكان عند علي عليه السلام يوم قتل أربع زوجات حراير في عقد نكاحه وهن أمامة بنت أبي العاص بنت زينب بنت رسول الله (ص) تزوجها بعد موت خالتها فاطمة البتول ، وليلى بنت مسعود التميمية ، وأسماء بنت عميس الخثعمية وأم البنين الكلابية وأمهات أولاد عشر اماء .

وهذا بعض ما أوردناه في مناقب أبي السبطين وفارس بدر وحنين زوج البتول ، وأبي الريحانتين قرارة القلب قرة العينين سيف الله وحجته وصراطه المستقيم ومحجته، فأي شرف ما اقترع هضابه وأي معقل عز ما فتح بابه ، فأبناء علي عليه السلام لهم شرف ظاهر على بني الأنام ومناقب يرثوها كابر عن كابر وسجايا يهديها أول إلى آخر ، وقد ثبت لأمير المؤمنين من المفاخر المشهورة والمآثر المأثورة التي هي في صفحات جباه الأيام مسطورة وفي الكتاب والسنة مذكورة .

ولبني فاطمة على اخوتهم من بني علي شرف إذا عدت مراتب أهل الشرف ، ومكانة حصلوا منها في الرأس واخوتهم في الطرف ، وجلالة ادرعوا برودها ودرة كرم ارتضعوا زودها ومجد بلغ السماء ذات البروج ، ومحل علا توطدوه فلم يطمع غيرهم في الارتقاء إليه ولا العروج ، إذ هم شاركوا بني أبيهم في شرف الآباء ، وانفردوا بشرف الأمهات وقد أوضح الله تعالى ذلك بقوله ﴿ ورفع بعضكم فوق بعض درجات ﴾[1] فجمعوا بين مجدين تالد

(١) سورة الأنعام الآية ١٦٥ .

وطريف وضموا إلى علامة تعريفهم علامة تشريف ، وعدوا النبي (ص) أباً وجداً وارتدوا من نسب أبيهم بردا ، ومن قبل أمهم بردا ، فأصبح كل منهم معلم الطرفين ظاهر الشرفين برد أبويهم الشريفين كانا لذويهما ظريفين .

في ذكر البتول (عليها السلام):

ولنذكر طرفاً من مناقبها التي تشرف هذا النسب من نسبها واكتسى فخراً ظاهراً من حسبها : وهي فاطمة الزهراء بنت من أنزل عليه : ﴿ **سبحان الذي أسرى** ﴾[1] ثالثة الشمس والقمر بنت خير البشر الطاهرة الميلاد السيدة بإجماع أهل السداد .

قال الشيخ كمال الدين طلحة ولدت فاطمة بنت رسول الله (ص) قبل النبوة والبعث بخمس سنين وقريش تبني البيت وتزوجها علي بن أبي طالب (عليه السلام) في شهر رمضان المعظم قدره من السنة الثانية من الهجرة ودخل بها في ذي الحجة من السنة المذكورة .

نقل الشيخ أبو علي الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن شاذان إلى أنس رضي الله عنه قال كنت عند رسول الله (ص) فغشيه الوحي فلما أفاق قال لي يا أنس أتدري ما جاءني به جبرئيل (عليه السلام) من صاحب العرش جل وعلا قلت بأبي أنت وأمي ما جاءك به جبرئيل ، قال ، قال لي إن الله تبارك وتعالى يأمرك أن تزوج فاطمة من علي (عليه السلام) فانطلق فادع لي أبا بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وبعدّتهم من الأنصار ، قال فانطلقت فدعوتهم فلما اخذوا مجالسهم قال رسول الله (ص) : « الحمد لله المحمود بنعمته المعبود بقدرته المطاع بسلطانه الموهوب إليه من عذابه النافذ أمره في أرضه وسمائه الذي خلق الخلق بقدرته وميزهم بأحكامه وأعزهم بدينه وأكرمهم بنبيه محمد (ص)، إن الله جعل المصاهرة نسباً لاحقاً وأمراً مفترضاً وحكماً عدلاً وخيراً جامعاً وشج بها الأرحام وألزمها الأنام فقال عز وجل : ﴿ **وهو الذي**

(١) سورة الإسراء الآية ١ .

خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً﴾[1]، وأمر الله يجري إلى قضائه وقضاؤه يجري إلى قدره، ولكل قضاء قدر، ولكل قدر أجل، ولكل أجل كتاب ، **﴿يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾**[2]. ثم إن الله تعالى أمرني أن أزوج فاطمة من علي وأشهدكم أني زوجت فاطمة من علي على اربعمائة مثقال فضة إن رضي بذلك على السنة القائمة والفريضة الواجبة فجمع الله شملهما وبارك لهما وأطاب نسلهما مفاتيح الرحمة ومعادن الحكمة وأمناء الأمة ، أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم » قال وكان علي غائباً في حاجة قد بعثه رسول الله (ص) ثم أمر لنا رسول الله بطبق فيه تمر فوضعه بين أيدينا فقال انتبهوا ، فبينما نحن كذلك إذ اقبل علي (عليه السلام) فتبسم رسول الله (ص) وقال يا علي إن الله أمرني أن أزوجك فاطمة وإني قد زوجتكها على أربعمائة مثقال فضة ، فقال علي رضيت يا رسول الله ، ثم أن علياً خر ساجداً شكراً لله تعالى فلما رفع رأسه قال له رسول الله (ص) بارك الله لكما وبارك عليكما واسعد جدكما وأخرج منكما الكثير الطيب ، قال أنس والله لقد خرج منهما الكثير الطيب .

عن أبي هريرة قال رسول الله (ص) أول شخص يدخل على الجنة فاطمة بنت محمد .

وروي باللفظ الصريح يرويه كل من النجار ومسلم والترمذي عن النبي (ص) أنه قال كمل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد .

ومن كتاب العترة النبوية مرفوعاً إلى قتادة عن أنس قال ، قال رسول الله (ص) خير نسائنا مريم وخير نسائنا فاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون .

وبإسناده أيضاً عن أنس أن النبي (ص) قال حسبك من نساء العالمين

---

(١) سورة الفرقان الآية ٥٤.

(٢) سورة الرعد الآية ٣٩.

مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد .

وعنه أيضاً قالت عائشة لفاطمة الا يسرك أني سمعت رسول الله (ص) يقول سيدات نساء أهل الجنة أربع مريم بنت عمران ، وفاطمة بنت محمد ، وخديجة بنت خويلد ، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون .

وعنه عن النبي (ص) قال إذا كان يوم القيامة قيل يا أهل الجمع غضوا أبصاركم حتى تمر فاطمة بنت محمد فتمر وعليها ريطتان خضراوان وفي بعض الروايات حمراوان .

ومن المسند للإمام أحمد بن حنبل عن حذيفة بن اليمان (رض) قال سألتني أمي متى عهدك بالنبي فقلت منذ كذا وكذا، وذكرت مدة طويلة فنالت مني وسبتني فقلت لها دعيني فإني آتي النبي (ص) معه المغرب ثم لا ادعه حتى يستغفر لي ولك ، قال فأتيت النبي (ص) فصليت معه المغرب والعشاء ثم انفتل (ص) من صلاته فسبقته فعرض له عارض فناجاه ثم ذهب، فسبقته فسمع مشيي خلفه فقال من هذا، فقلت حذيفة فقال مالك، فحدثته بحديث أمي فقال غفر الله لأمك ولك ، قال أما رأيت الذي عرض لي ، فقلت بلى يا رسول الله ، قال هو ملك من الملائكة لم يهبط إلى الأرض قط قبل هذه الليلة ، استأذن ربه في أن يسلم علي ويبشر أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأن فاطمة سيدة نساء العالمين .

ومن المسند (أيضاً) عائشة قالت ، أقبلت فاطمة تمشي وكأن مشيتها مشية رسول الله (ص) فقال (ص) مرحباً بابنتي ثم أجلسها عن يمينه ، وأسر لها حديثاً فبكت ، فقلت استخصك رسول الله (ص) ثم تبكين ، ثم أسر إليها حديثاً أيضاً فضحكت ، فقلت ما رأيت كاليوم فرحا أقرب من حزن ، فسألتها عن ما قيل لها فقالت ما كنت لأفشي سر رسول الله (ص) حتى قبض رسول الله (ص) فسألتها قالت أسر إلي ، جبرائيل كان يعارضني بالقرآن في كل عام مرة وأنه عارضني به العام مرتين ، ولا أراه إلا قد حضر أجلي وأنك أول أهل بيتي لحوقاً بي ونعم السلف أنا لك ، فبكيت لذلك ، فقال الا

ترضي أن تكوني سيدة نساء هذه الأمة أو نساء المؤمنين فضحكت لذلك .

وروي عن مجاهد قال خرج النبي (ص) وهو آخذ بيد فاطمة فقال من عرف هذه فقد عرفها ومن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمد وهي بضعة مني وهي قلبي وروحي التي بين جنبي فمن آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله .

وروى الأصبغ بن نباتة عن أبي أيوب الأنصاري قال قال رسول الله (ص) إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ، ثم ينادي مناد من بطنان العرش أن الجليل جل جلاله يقول نكسوا وغضوا أبصاركم فإن هذه فاطمة بنت رسول الله (ص) تريد أن تمر على الصراط .

وعن أبي سعيد الخدري في حديثه عن النبي (ص) أنه مر في السماء الرابعة ، قال فرأيت لمريم ولام موسىٰ ولآسية امرأة فرعون ولخديجة بنت خويلد قصوراً من ياقوت ولفاطمة بنت محمد سبعين قصراً مرجاناً أحمر مكللاً باللؤلؤ وأبوابها واسترتها من عود واحد .

وهذا يسير من بعض مناقبها التي لا تستقصى ، ومفاخرها التي تجل عن الحصر والعد والاستقصاء .

قال الشيخ كما الدين طلحة ، توفيت فاطمة عليها السلام ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من شهر رمضان المعظم سنة إحدى عشرة من الهجرة ودفنت بالبقيع ليلاً صلّى عليها علي بن أبي طالب، وكبر عليها خمس تكبيرات، وقيل صلى عليها العباس ونزل في حفرتها هو وعلي والفضل بن العباس (رض).

ومن كتاب الذرية الطاهرة للدولابي ، قال لبثت فاطمة بعد وفاة النبي (ص) ثلاثة أشهر ثم توفيت . وقال عروة بن الزبير وعائشة لبثت ستة أشهر ، ومثله عن الزهري وابن شهاب وهو الصحيح .

وقال ابن قتيبة في معارفه ، لبثت فاطمة بعد وفاة رسول الله (ص) مائة يوم . وحكى أن العباس دخل على علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء

(عليهم السلام) وكل واحد منهما يقول لصاحبه أنا اسن منك ، فقال العباس ولدت يا علي قبل أن تبني قريش البيت بسنوات ، وولدت فاطمة وقريش تبني البيت ورسول الله (ص) إذ ذاك ابن خمس وثلاثين سنة قبل النبوة بخمس سنين ، وعن عمرو بن دينار قال ان فاطمة (ع) لم تضحك بعد موت النبي (ص) حتى قبضت .

وعن علي عليه السلام قال ان فاطمة بنت رسول الله (ص) جاءت إلى قبر أبيها بعد موته (ص) فوقفت عليه وبكت ثم أخذت قبضة من تراب القبر فجعلتها على عينها ووجهها وأنشأت تقول :

ماذا على من شم تربة أحمد — أن لا يشم مدى الزمان غواليا
صُبت علي مصائب لو أنها — صبت على الأيام عدن لياليا

ولفاطمة عليها السلام ترثي النبي (ص):

أغبر آفاق السماء فكورت — شمس النهار وأظلم العصران
والأرض من بعد النبي كئيبة — أسفاً عليه كثيرة الأحزان
فليبكه شرق العباد وغربها — وليبكه مضر وكل يمان
وليبكه الطود الأشم وجوه — والبيت والأستار والأركان
يا خاتم الرسل المبارك ضوؤه — صلّى عليك منزل القرآن

وروي أن علياً لما ماتت فاطمة وفرغ من جهازها ودفنها ، رجع إلى البيت فاستوحش فيه ، وجزع عليها جزعاً شديداً ثم أنشأ يقول :

أرى علل الدنيا علي كثيرة — وصاحبها حتى الممات عليل
لكل اجتماع من خليلين فرقة — وكل الذي دون الفراق قليل
وإن افتقادي فاطما بعد أحمد — دليل على أن لا يدوم خليل

وروى جعفر بن محمد عليه السلام ، قال لما ماتت فاطمة (عليها السلام) كان علي (عليه السلام) يزور قبرها في كل يوم قال وأقبل ذات يوم فانكب على القبر بكى وأنشأ يقول :

مـــالي مـررت على القبــور مسلمـاً قبــر الحبيب فلم يـرد جـوابي
يـا قبـر مـالـك لا تجيب منـاديـا أمـللت بعـدي خـلة الأحبـاب

فأجابه هاتف يسمع صوته ولا يرى شخصه وهو يقول :

قـال الحبيب فكيف لي بجـوابكم وأنـا رهـيـن جـنـادل وتـراب
أكـل التـراب محـاسني فنسيتكم وحجبت عن أهـلي وعن أتـرابي
فعليكم مني السـلام تقطعت مـني ومـنكـم خـلة الأسبـاب

قـال الحافظ أبـو محمد عبـد العزيـز بن اخضر الجنـابذي الحنبلي في كتابه معالم العترة النبوية ومعارف الأئمة أهـل البيت الفاطميـة قال : أم الأئمـة فاطمة بنت رسول الله (ص) ، وأمها خديجة بنت خويلد بن أسد ، تزوج بها رسول الله (ص) وهو ابن خمـس وعشرين سنـة على اثنتي عشرة أوقية ذهبا ، وعمرها إذ ذاك ثمان وعشرون سنة وكانت خـديجة (رض) امـرأة حازمـة لبيبة شريفة وهي يومئذٍ أوسط قريش نسباً وأعظمهم شرفاً وأكثرهم مالاً ، وكل قومها قـد كان حـريصاً على تـزويجها فـأبت وعـرضت نفسهـا على النبي (ص) ، وقالت يـابـن عم إني رغبت فيك لقرابتك مني وشرفـك في قومـك ، وأمانتـك عندهم وحسن خلقك وصدق حديثك ، فذكـر ذلك لأعمـامه فخـرج معه منهم حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه حتى دخل على خويلد بن أسـد فخطبهـا إليه فزوجها من رسول الله (ص) ، وكانت خديجة قبل أن يتـزوج بها رسـول الله (ص) عنـد عتيق بن عايـد بن عبدالله بن عمـرو بن مخزوم ، ويقـال إنها ولدت له جارية وهي أم محمد بن صفي المخزومي ، ثم تزوجها بعد عتيق أبو هـالة هنـد بن ذرارة التيمي فولـدت له هنـد بن هند ، ثم تـزوجها رسـول الله (ص) فولدت له فاطمة وولدت غلامين وثلاث بنات غير فـاطمة وهم القـاسم وعبدالله وأم كلثوم وزينب ورقية سلام الله عليهم أجمعين .

وعن ابن سعـد يرفعـه إلى حكيم بن حزام قـال توفيت خـديجة (رض) في شهـر رمضان سنـة عشر من النبـوة ، فخرجنـا بها من منـزلها حتى دفنـاهـا بـالحجون ، فنـزل رسول الله (ص) في حفـرتها ولم يكن يـومئذٍ صـلاة على

الجنازة ، قيل ومتى ذلك يا أبا خالد قال قبل الهجرة بسنوات ثلاث أو نحوها ، بعد خروج بني هاشم من الشعب بيسير ، قال وكانت رضي الله عنها أول امرأة تزوجها رسول الله (ص) وأولاده كلهم منها إلا إبراهيم فإنه من جاريته القبطية .

وعن ابن اسحاق قال ان خديجة بنت خويلد (رض) وأبا طالب ماتا في عام واحد . وعن عروة بن الزبير قال توفيت خديجة قبل أن تفرض الصلاة . وروى مرفوعاً إلى الزهري قال كانت خديجة رضي الله عنها أول من آمن برسول الله (ص) . وعن ابن شهاب قال أنزل الله تعالى على رسوله القرآن والهدى وعنده خديجة بنت خويلد .

وعن عائشة قالت كان رسول الله (ص) إذا ذكر خديجة لم يسأم من الثناء عليها والاستغفار لها ، فذكرها ذات يوم فحملتني الغيرة فقلت لقد عوضك الله من كبيرة السن قالت فرأيت رسول الله (ص) غضب غضباً شديداً فسقط في يدي ، وقلت في نفسي اللهم إن أذهب غضب رسولك محمد (ص) لم أعمد لذكرها بسوء ما بقيت ، فلما رأى رسول الله (ص) ما لقيت قال كيف قلت، والله لقد آمنت بي إذ كفر الناس وأدنتني إذ رفضني الناس وصدقتني إذ كذبني الناس ورزقت منها الولد حيث حرمتموه ، قالت فغدا وراح (ص) في كلمتي هذه شهراً والله أعلم .

الفصل الثاني

في ذكر الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام

وهو الإمام الثاني والسبط الأول سيد شباب أهل الجنة ، ويتضمن هذا الفصل فصولاً في ذكر مولده وكنيته ونسبه ولقبه وغير ذلك مما يتصل به كما ستقف عليه إن شاء الله تعالى .

ولد الحسن بن علي عليهما السلام في المدينة في النصف من شهر رمضان المعظم سنة ثلاث من الهجرة ، وكان الحسن أول أولاد علي وفاطمة (عليهما السلام) وروي مرفوعاً إلى علي بن أبي طالب قال لما حضرت ولادة فاطمة قال رسول الله لأسماء بنت عميس وأم سلمة احضرا فاطمة فإذا وقع ولدها واستهل صارخاً فأذنا في أذنه اليمنى وأقيما في أذنه اليسرى فإنه لا يفعل ذلك بمثله إلا عصم من الشيطان ، ولا تحدثا شيئاً حتى آتيكما ، فلما ولدت فعلنا ذلك وأتاه رسول الله (ص) فسره ولثاه بريقه وقال : اللهم إني أعيذه بك وولده من الشيطان الرجيم ، فلما كان اليوم السابع من مولده قال (ص) ما سميتموه ، قالوا حرباً قال (ص) بل سموه حسناً ، ثم إنه (ص) عق عنه وذبح كبشاً وتولى ذلك بنفسه الكريمة وقال لفاطمة عليها السلام احلقي رأسه وتصدقي بوزن الشعر فضة ، فكان الوزن عن شعره بعد حلقه درهماً وشيئاً فتصدقت به فصارت العقيقة والتصدق بوزن الشعر سنة مستمرة عند العلماء بما فعله النبي (ص) في حق الحسن عليه السلام .

في نسبه وكنيته ولقبه وصفاته الحسنة وغير ذلك ممـا يتصل بـه عليه السلام:

قال الشيخ كمال الدين بن طلحـة ، حصل للحسن وأخيـه الحسين عليه السلام ما لم يحصل لغيرهما فإنهما سبطا رسـول الله (ص) وريحانتـاه وسيدا شباب أهل الجنة ، جدهما رسول الله (ص) وأبـوهما علي بن أبي طـالب بن عبد المطلب بن هاشم وأمهما الطهر البتول فاطمة بنت الرسول ولله در القائل :

نسب كـان عليـه من شمس الضحى   نـور ومـن فلق الـصبـاح عـمـودا

هذا النسب الذي تتقاصر عنـده الأنساب ، وجـاء بصحته الأثـر وصدقـه الكتاب فهو وأخوه دوحة النبـوة التي طابت فـرعاً وأصـلاً ، وشعبتا الفتـوة التي سمت رفعـة ونبلا قـد اكتنفهما العـز والشرف ولازمهمـا السؤدد ، فمالـه عنهما منصـرف ، وأما كنيتـه عليه السـلام فأبـو محمد لا غيـر ، وأما القـابـه (عليـه السلام) فكثيرة هي التقي والزكي والطيب والسيد والسبط والولي كل ذلك كان يقال له ويطلق عليه وأكثـر هذه الألقـاب شهرة التقي وأعـلاها رتبـة ما لقبـه به رسول الله (ص) كما جـاء في الصحيحين النقل عنـه (ص) ، أنه قـال ابني هذا سيد وسيأتي إن شاء الله تعالى النسب بتمامـه فيما بعـد وأما صفتـه (عليه السلام) فإنه :

روي عن انس بن مالك قـال لم يكن أحد اشبـه برسـول الله (ص) من الحسن بن علي عليهمـا السلام ، وعن علي بن أبي طـالب عليه السـلام قـال كان الحسن عليه السلام أشبه برسول الله (ص) مـا بين الرأس إلى الصـدر ، والحسين أشبه فيما كان أسفل من ذلك .

وروى البخاري في صحيحه يرفعه إلى العقبة .بن الحارث قال صلّى أبو بكـر العصر ثم خـرج يمشي ومعه علي عليـه السلام فـرأى الحسن يلعب مـع الصبيان ، فحمله أبو بكر على عاتقـه وقال بـأبي شبيه بـالنبي ليس شبيهاً بعلي قال وعلي عليه السلام يبتسم .

وروي مرفوعاً إلى أحمد بن محمد بن أيوب المقبري ، قال كان الحسن عليه السلام أبيض اللون مشربا بحمرة ادعج العينين سهل الخدين دقيق المشربة ذا وفرة كأن عنقه ابريق فضة ، عظيم الكراديس بعيد ما بين المنكبين ربعة ليس بالطويل ولا القصير ، مليحا من أحسن الناس وجهاً وكان عليه السلام يخضب بالسواد ، وكان عليه السلام جعد الشعر حسن البدن كان نقش خاتمه العزة لله وحده بوابه سفينة ، شاعرته أم سنان المدحجتية معاصره معاوية ويزيد .

فيما ورد في حقه (عليه السلام) من رسول الله (ص) :

وهذا فصل أصله مقصود وفضله مشهود ، فإنه جمع بين أشتات الإشارات النبوية الأقوال والأفعال الطاهرة الزكية ، فمن ذلك ما اتفق أهل الصحاح على إيراده وتطابقوا على صحة إسناده .

وروى الحافظ عبد العزيز الأخضر الجنابذي بسنده مرفوعاً إلى سفيان بن الحارث الثقفي قال رأيت رسول الله (ص) والحسن بن علي (عليه السلام) إلى جنبه وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين عظيمتين[1] .

وروي في صحيح البخاري ومسلم مرفوعاً إلى البراء قال رأيت رسول الله (ص) والحسن بن علي (عليه السلام) على عاتقه وهو يقول اللهم إني أحبه فأحبه .

وروي عن الترمذي مرفوعاً إلى ابن عباس رضي الله عنه ، أنه قال كان رسول الله (ص) حامل الحسن بن علي عليهما السلام فقال رجل نعم المركب ركبت يا غلام ، فقال النبي (ص) ونعم الراكب هو .

وروي عن الحافظ أبي نعيم فيما أورده في حليته عن أبي بكر ، قال

(١) روى مثله البخاري ك. الصلح باب ٩ وكتاب المناقب ب ٢٥ وك. الفضائل ب ٢٢ .

كان النبي (ص) يصلي بنا ، فيجيء الحسن (عليه السلام) وهو ساجد وهو إذ ذاك صغير فيجلس على ظهره ومرة على رقبته، فيرفعه النبي (ص) رفعاً رفيقاً ، فلما فرغ من الصلاة قالوا يا رسول الله إنك تصنع بهذا الصبي شيئاً لا تصنعه بأحد ، فقال (ص) إن هذا ريحانتي وإن ابني هذا سيد ، وعسى أن يصلح الله تعالى به بين فئتين من المسلمين .

وروى البخاري ومسلم بسنديهما عن أبي هريرة قال خرجت مع رسول الله (ص) لا يكلمني ولا أكلمه حتى أتى سوق بني قينقاع ثم انصرف حتى أتى مخبأة وهو المخدع فقال : « اثم لكع اثم الكع » يعني حسناً (عليه السلام) ، فظننا إنما حبسته أمه لأن تغسله أو تلبسه ثوباً ، فلم يلبث إذ جاء يسعى واعتنق كل واحد منهما صاحبه فقال رسول الله (ص) اللهم إني أحبه وأحب من يحبه وفي رواية أخرى اللهم إني أحبه وأحب من يحبه ، قال أبو هريرة فما كان أحد احب إلي من الحسن بعدما قال رسول الله (ص).

وروي عن الترمذي بسنده عن أبي سعيد قال قال رسول الله الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة[1] . وعن عمار بن ياسر سمعت رسول الله (ص) وآله يقول هما ريحانتي من الدنيا .

وروى النسائي بسنده عن عبدالله بن شذاذ عن أبيه قال خرج علينا رسول الله (ص) لصلاة العشاء وهو حامل حسناً (عليه السلام) ، فتقدم رسول الله (ص) للصلاة فوضعه ثم كبر وصلّى فسجد بين ظهراني صلاته سجدة فأطالها ، قال فرفعت رأسي فإذا الصبي على ظهر رسول الله (ص) وهو ساجد ، فرجعت إلى سجودي ، فلما قضى رسول الله (ص) صلاته قال الناس يا رسول الله إنك سجدت بين ظهراني صلوتك سجدة أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمر ، وأنه يوحى إليك ، قال رسول الله (ص) كل ذلك لم

---

(١) الترمذي كتاب المناقب باب ٣٠ وابن ماجه في المقدمة باب ١١ وأحمد في مسنده بعدة مواضع ج ٣/ ٣ و٦٢ و٦٤ و٨٢ وج ٥/ ٣٩١.

يكن ، ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى ينزل[1]

في علمه عليه السلام:

حكي عنه (عليه السلام) أنه كان يجلس في مسجد رسول الله (ص) ويجتمع الناس حوله فيتكلم بما يشفي غليل السائلين ويقطع حجج المجادلين ، من ذلك ما رواه الإمام أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي في تفسير الوسيط ، أن رجلاً دخل إلى مسجد المدينة فوجد شخصاً يحدث عن رسول الله والناس من حوله مجتمعون ، فجاء إليه الرجل قال أخبرني عن شاهد ومشهود فقال نعم ، أما الشاهد فيوم الجمعة والمشهود فيوم عرفة فتجاوزه إلى آخر غيره يحدث في المسجد فسألته عن شاهد ومشهود وقال أما الشاهد فيوم الجمعة وأما المشهود فيوم النحر ، قال فتجاوزهما إلى ثالث، غلام كأن وجهه الدينار وهو يحدث في المسجد فسأله عن شاهد ومشهود ، فقال نعم أما الشاهد فرسول الله وأما المشهود فيوم القيامة ، أما سمعته عزّ وجل يقول : « يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا »[2] فقال تعالى : ﴿ **وذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود** ﴾[3] فسأل عن الأول فقالوا ابن عباس وسأل عن الثاني فقالوا ابن عمر وسأل عن الثالث فقالوا الحسن بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام).

وحكي عنه أنه اغتسل وخرج من داره في بعض الأيام وعلية حلة فاخرة ووقرة طاهرة ومحاسن سافرة بنفحات طيبات عاطرة ، ووجهه يشرق حسناً وشكله قد كمل صورة ومعنى ، والسعد يلوح على أعطافه ونضرة النعيم تعرف

---

(١) وتجد أغلب أحاديث هذا الفصل في مسند أحمد (٢/ ٥١٣) و(٥/ ٤٤) والبخاري كتاب البيوع ب ٤٩ وكتاب اللباس ب ٦٠ وتجد ذلك أيضاً فيما ورد بهامش الصفحة السابقة ، وفي سنن النسائي كتاب الجمعة وكتاب صلاة العيدين الخ . . وإرشاد المفيد واعلام الورى وأصول الكافي ج ١ . . .

(٢) سورة الأحزاب الآية ٤٥ .

(٣) سورة هود الآية ١٠٣ .

من أطرافه ، وقد ركب بغلة فارهة غير عسوف وسار وقد اكتنفه من حاشيته صفوف ، فعرض له في طريقه شخص من محاويج اليهود وعليه مسح من جلود وقد انهكته العلة والذلة ، وشمس الظهيرة قد شوت شواه وهو حامل جرة ماء على قفاه ، فاستوقف الحسن فقال يابن رسول الله سؤال ، فقال له ما هو قال جدك يقول الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ، وأنت المؤمن وأنا الكافر فمّا أرى الدنيا إلا جنة لك تنعم فيها وأنت مؤمن وتستلذ بها ، وما أراها إلا سجناً قد أهلكني حرها وأجهدني فقرها ، فلما سمع الحسن (عليه السلام) كلامه أشرق عليه نور التأييد واستخرج الجواب من خزانة علمه ، وأوضح لليهودي خطأ ظنه وخطل زعمه ، وقال يا شيخ لو نظرت إلى ما أعد الله لي وللمؤمنين في دار الآخرة مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، لعلمت أني قبل انتقالي إليه في هذه الحالة في سجن، ولو نظرت إلى ما أعد الله لك ولكل كافر في الدار الآخرة من سعير نار جهنم ونكال العذاب الأليم المقيم لرأيت نفسك قبل مصيرك إليه في جنة واسعة ونعمة جامعة فانظر إلى هذا الجواب الصادع بالصواب .

في عبادته وزهادته (عليه السلام) :

عبادته (عليه السلام) التي اشتهرت وزهادته التي ظهرت ، قيامه بها مشهور ، واسمه في أربابها مذكور فمن ذلك ما نقله الحافظ أبو نعيم في حليته بسنده أنه قال (عليه السلام) إني لاستحي من ربي أن ألقاه ولم أمش إلى بيته ، فمشى عشرين مرة من المدينة إلى مكة على قدميه ، وروى صاحب كتاب الصفوة بسنده عن علي بن زيد بن جذعان أنه قال حج الحسن بن علي عليهما السلام خمس عشرة حجة ماشياً على قدميه وأن الجنائب لتقاد بين يديه ، وأما الصدقات فقد روي عن الحافظ أبي نعيم في حليته أنه (عليه السلام) خرج من ماله مرتين وقاسم الله تعالى ثلاث مرات ماله وتصدق به ، وكان (عليه السلام) من أزهد الناس في الدنيا ولذاتها عارفاً بغرورها وآفاقها، وكثيراً ما كان (عليه السلام) يتمثل بهذا البيت شعراً :

يا أهل لذات دنيا لا بقاء لها ‏ ‏ ‏ إن اغتراراً بظل زائل حمق

وأما على قوة عبادته وعلو مكانه ، فقوله (عليه السلام) في بعض مواعظه : يابن آدم عف عن محارم الله تكن عابداً ، وارض بما قسم الله تكن غنياً وأحسن جوار من جاورك تكن مسلماً ، وصاحب الناس بمثل ما تحب أن يصاحبوك بمثله تكن عدلاً ، أنه كان بين أيديكم قوم يجمعون كثيراً ويبنون مشيداً ويأملون بعيداً أصبح جميعهم بوراً وعملهم غروراً ومساكنهم قبوراً يا ابن آدم إنك لم تزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك ، فجد بما في يدك لما بين يديك ، وأن المؤمن يتزود والكافر يتمتع ، وكان (عليه السلام) يتلو بعد هذه الموعظة وتزودوا فإن خير الزاد التقوى فتدبر هذا الكلام بحسك واعطه نصيباً وافراً من نفسك .

في جوده وكرمه (عليه السلام) :

الكرم والجود غريزة مغروسة فيه واتصال صلاته للمعتقين نهج ما زال يسلكه ويقتفيه ، في ذلك ما نقل عنه (عليه السلام) أنه سمع رجلاً يسأل ربه عز وجل أن يرزقه عشرة الآف درهم ، فانصرف الحسن (عليه السلام) إلى منزله فبعث بها إليه ، ومن ذلك أن رجلاً جاء إليه (عليه السلام) وسأله وشكا إليه حاله وفقره وقلة ذات يده بعد أن كان ذلك الرجل من الموسرين، فقال له يا هذا حق سؤالك يعظم لدي ، ومعرفتي بما يجب لك يكثر علي ، ويدي تعجز عن نيلك بما أنت أهله ، والكثير في ذات الله قليل ، وما في ملكي وفاء لشكرك فإن قبلت الميسور رفعت عني مؤونة الاحتفال والاهتمام لما اتكلفه من واجبك فعلت ، فقال الرجل يا ابن رسول الله اقبل القليل واشكر العطية واعذر على المنع ، فدعا الحسن (عليه السلام) وكيله وجعل يحاسبه على نفقاته ومقبوضاته حتى استقصاها ، فقال هات الفاضل فاحضر خمسين ألف درهم قال فما فعلت في الخمسمائة دينار التي معك ، فقال هي عندي فقال عليه السلام فاحضرها فلما احضرها دفع الدراهم والدنانير إليه واعتذر منه .

ومن ذلك ما رواه أبو الحسن المدايني ، قال خرج الحسن والحسين وعبدالله بن جعفر (عليهم السلام) حجاجاً ، فلما كانوا في بعض الطريق

جاءوا وعطشوا وقد فاتتهم أثقالهم فنظروا إلى خباء فقصدوه ، فإذا فيه عجوز فقالوا هل من شراب فقالت نعم ، فأناخوا بها وليس عندها إلا شويهة في كسر الخباء فقالت احتلبوها فاتذقوا لبنها ، ففعلوا ذلك وقالوا لها هل من طعام ، فقالت هذه الشويهة ما عندي غيرها اقسم عليكم بالله إلا ما ذبحها أحدكم بينما أهيء لكم حطباً وأشووها وكلوها ، ففعلوا وأقاموا حتى بردوا ، فلما ارتحلوا قالوا لها نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه فإذا رجعنا سالمين فألمي بنا فإنا صانعون إليك خيراً ، ثم ارتحلوا فأقبل زوجها فأخبرته خبر القوم والشاة فغضب وقال ويحك تذبحين شاة لأقوام لا تعرفينهم ثم تقولين نفر من قريش ، ثم بعد وقت طويل الجأتهم الحاجة واضطرتهم السنة إلى دخول المدينة ، فدخلاها يلتقطان البعر فمرت العجوز في بعض السكك تلتقط البعر. والحسن (عليه السلام) جالس على باب داره فبصر بها فعرفها فناداها ، وقال لها يا أمة الله تعرفيني فقالت لا فقال (عليه السلام) أنا أحد ضيوفك في المنزل الفلاني ضيفك يوم كذا سنة كذا ، فقالت بأبي أنت وأمي لست أعرفك ، قال (عليه السلام) فإن لم تعرفيني فأنا أعرفك ، فأمر غلامه فاشترى لها من غنم الصدقة ألف شاة وأعطاها ألف دينار وبعث بها مع غلامه إلى أخيه الحسين فعرفها ، وقال بكم وصلك أخي الحسن فأخبرته فأمر لها مثل ذلك ثم بعث معها غلامه إلى عبدالله بن جعفر (رض) فقال بكم وصلك الحسن وأخوه فقالت وصلني كل واحد منهما بألف شاة وألف دينار فأمر لها بألفي شاة وألفي دينار وقال والله لو بدأت بي لأتعبتهما ثم رجعت إلى زوجها وهي من أغنى الناس .

وعن الحسن بن سعد عن أبيه ، قال متع الحسن بن علي (عليه السلام) امرأتين من نسائه بعد طلاقهما بعشرين ألفاً وزقاق من عسل فقالت إحداهما وأراها الحنفية : (متاع قليل من حبيب مفارق) .

في شيء من كلامه (عليه السلام):

نقل الحافظ أبو نعيم في حليته بسنده أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) سأل ابنه الحسن ، فقال له يا بني ما السداد فقال يا

أبت السداد دفع المنكر بالمعروف ، وقال (عليه السلام) ما الشرف قال اصطناع العشيرة وحملة الجريرة ، وقال (عليه السلام) فما السماح قال البذل في العسر واليسر ، قال (عليه السلام) فما اللؤم قال احراز المرء ماله وبذله عرضه ، قال فما الجبن قال الجرأة على الصديق والنكول على العدو ، قال فما الغنى قال رضى النفس بما قسم الله تعالى لها وإن قل ، قال فما الحلم قال كظم الغيظ وملك النفس ، قال فما المنعة قال شدة البأس ومنازعة أشد الناس ، قال فما الذل قال الفزع عند الصدمة ، قال فما الكلفة قال كلامك فيما لا يعنيك ، قال فما المجد قال أن تعطي في العزم وتعفو في الجرم ، قال فما السؤدد قال إتيان الجميل وترك القبيح ، قال فما السفه قال اتباع الدناة وصحبة الغواة ، قال فما الغفلة قال ترك المسجد وطاعة المفسد .

فهذه الأجوبة الحاضرة شاهدة ببصيرة ناصرة ومادة فضل وافرة وفكرة على استخراج الغوامض قادرة .

ومن كلامه (عليه السلام) أنه قال ، لا أدب لمن لا عقل له ، ولا مودة لمن لا همة له ، ولا حياء لمن لا دين له ، ورأس العقل معاشرة الناس بالجميل ، وبالعقل تدرك الدارين جميعاً ، ومن حرم العقل حرمهما جميعاً .

وسئل (عليه السلام) عن الصمت فقال هو ستر للغي وزين للعرض وفاعله في راحة وجليسه في أمن . وقال (عليه السلام) هلاك المرء في ثلاث الكبر والحرص والحسد ، فالكبر هلاك الدين وبه لعن ابليس ، والحرص عدو النفس وبه أخرج آدم من الجنة ، والحسد رائد السوء ومنه قتل قابيل هابيل . وقال (عليه السلام) لا تأتِ رجلاً إلا أن ترجو نواله أو تخاف يده، أو ترجو بركته أو تصل رحماً بينك وبينه .

وقال (عليه السلام) دخلت على علي بن أبي طالب وهو يجود بنفسه لما ضربه ابن ملجم فجزعت لذلك ، فقال لي لا تجزع قلت وكيف لا أجزع وأنا أراك في هذه الحالة ، فقال يا بني احفظ عني خصالاً أربعاً إذا أنت حفظتهن نلت بهن النجاة ، يا بني لا غنى أكثر من العقل ، ولا فقر مثل

الجهـل ، ولا وحشة أشـد من العجب ، ولا عيش الذ من حسن الخلق واعلم أن مـروة القناعـة والرضـا أكبـر من مـروة الاعـطاء ، وتمـام الصنيعـة خيـر من ابتدائها . وقال (عليه السلام) من بدأ بالكلام قبل السلام فـلا تجيبوه. وقـال (عليه السلام) حسن السؤال نصف العلم .

فكلامه عليه السلام ينزع إلى كلام أبيه وجده ومحله من البلاغة محل لا ينبغي لأحد من بعده .

في ذكر طرف من أخباره ومدة خـلافته ومهـادنته بعـد ذلك لمعـاوية ومصالحته له :

روى جمـاعة من أصحـاب السير وغيـرهـم[1] أن الحسن بن علي (عليه السـلام) خطب في صبيحـة الليلة التي قبض فيهـا أميـر المؤمنين علي (عليـه السلام) فحمد الله واثنى عليه وصلّى على النبي (ص) ثم قال لقد قبض في هـذه الليلة رجل لم يسبقـه الأولون ولم يـدركه الآخـرون لقد كـان يجاهـد مع رسول الله فيقيه بنفسه ،وكان رسول الله (ص) يوجهه برايته فيكتنفه جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن شماله فلا يرجع حتى يفتح الله على يديه ولقد تـوفي الليلة التي عرج فيها بعيسى بن مريم وفيها قبض يوشع بن نون (عليه السلام) وما خلف صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم فضلت من عطائه وأراد أن يبتـاع بها خادماً لأهله ثم خنقه البكاء فبكى وبكىٰ الناس معه ثم قال (عليه السـلام) أنا ابن البشير النذيـر أنا ابن السـراج المنير أنـا ابن الداعي إلى الله بـإذنه أنـا ابن الـذين أذهب الله عنهم الرجس وطهـرهـم تطهيـراً أنا من أهـل بيت افترض الله تعالى مودتهم في كتـابه فقـال عز من قـائل : ﴿ **قـل لا أسألكم عليـه أجراً إلا المودة في القربىٰ ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً** ﴾ فالحسنة مـودتنا أهـل البيت ثم جلس ، فقام عبدالله بن العباس فقال معاشر النـاس إن هذا ابن بنت نبيكم ووصي إمامكم فبايعوه ، فتبادر النـاس إلى بيعته ، وبعض هـذه الخطبـة قد أوردها أحمد بن حنبل في مسنده عن هبيرة وكان ذلك يوم الجمعة الحـادي

(١) إرشاد المفيد وأعلام الورى وتاريخ الطبري وفي صحيح البخاري كتاب الصلح باب ٩.

والعشرين من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة ، وقيل الأحد ليلة الثالث والعشرين منه على ما جاء في اختلاف الروايات المتقدمة في مقتل علي (عليه السلام) فرتب العمال وأمر الأمراء وجنّد الجنود وفرق العطيات . ولما بلغ معاوية موت علي وبيعة الحسن (عليه السلام) أنفذ رجلاً من حمير إلى الكوفة ، وآخر من بني القين إلى البصرة ليطالعاه بالأخبار ويفسدا على الحسن (عليه السلام) الأمر ، ويغيرا عليه قلوب الناس ، فعرف بهما الحسن (عليه السلام) فأخذهما وقتلهما ، وكتب إلى معاوية : « أما بعد فإنك دسست الرجال وأرصدت العيون كأنك تحب اللقاء ولو ترى العافية وما أوشك في ذلك فتوقعه إن شاء الله تعالى » فلما بلغ معاوية كتابه وقتله الرجلين سار بنفسه إلى العراق ، وتحرك الحسن وبعث حجر بن عدي ، واستعد الناس للقتال فتثاقلوا عنه ثم حفوا معه أخلاطاً من الناس بعضهم من شيعته وشيعة أبيه عليه السلام ، وبعضهم من المحكِّمة الذين يودون القتال ، قتال معاوية بكل حال ، وبعضهم من أصحاب طمع في الغنائم ، وبعضهم أصحاب عصبية اتبعوا رؤساءهم ورؤساء قبائلهم لا يرجعون إلى شيء ، ثم سار حتى نزل ساباط القنطرة وبات هناك ، فلما أصبح أراد (عليه السلام) أن يمتحن أصحابه ويستبرىء احوالهم في طاعته ليميز أولياءه من أعدائه ويكون على بصيرة من لقاء معاوية فأمر أن ينادى في الناس الصلاة جامعة فاستجمعوا فصعد المنبر وخطبهم فقال الحمد لله كلما حمده الحامدون ، وأشهد أن لا إلّه إلّا الله كلما شهد له الشاهدون وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالحق وائتمنه بالوحي (ص). أما بعد فوالله إني لأرجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله ومنه وأنا انصح خلق الله تعالى لخلقه ، وما أصبحت محتملاً على امرىء مسلم ضغينة ولا مريد له بسوء ولا غائلة ، وإن ما تكرهون في الجماعة خير لكم مما تحبون في الفرقة ، وإني ناظر لكم ولأنفسكم فلا تخالفوا أمري ولا تردوا علي ، وإني غفر الله لي ولكم وأرشدني وإياكم لما فيه المحبة والرضا ناظراً لما فيه مصالحكم والسلام .

فنظر الناس بعضهم إلى بعض وقالوا ما ترونه يريد أن يصنع ، قالوا

فظن أنه يريد أن يصالح معاوية ويسلم إليه الأمر ، فشدوا على فسطاطه فانتهبوه حتى أخذوا مصلاه من تحته ، ورداه من عاتقه ، فرجع وركب فرسه وتقلد بسيفه وأحدق به طوائف من خواص شيعته فمنعوه وطافوا به، وأطاف به ربيعة وهمدان وجماعة من غيرهم وساروا معه فبادر إليه رجل من بني أسد اسمه الجراح بن سنان في يده خنجر ، فطعنه به في فخذه فشقه حتى بلغ العظم فأكب عليه شخص من شيعة الحسن فقتله وقتلوا آخر كان معه ، وحمل الحسن (عليه السلام) على سرير من تلك الضربة إلى المدائن فنزل بها على سعد بن مسعود الثقفي ، وكان عاملاً عليها من جهة أبيه علي بن أبي طالب فاقره الحسن على ذلك ، واشتغل الحسن (عليه السلام) بمعالجة جرحه وكتب جماعة من رؤساء القبائل إلى معاوية بالطاعة سراً واستحثوه على سرعة المسير نحوهم وضمنوا له تسليم الحسن (عليه السلام) عند دنوه منهم والفتك به ، وبلغ الحسن (عليه السلام) ذلك وتحقق فساد نيات أكثر أصحابه وخذلانهم له ولم يبق معه ممن يأمن غائلته إلا خاصة شيعته وشيعة أبيه ، وهم جماعة لا يقومون بحرب أهل الشام فكتب إلى معاوية في الهدنة والصلاح ، فأجابه إلى ذلك وأنفذ إليه كتب أصحابه الذين ضمنوا له فيها الفتك فيه وتسليمه إليه ، ووصل معاوية لصلح الحسن فاشترط عليه الحسن (عليه السلام) شروطاً كثيرة كان في الوفاء بها مصالح شاملة ، منها أن لا يتعرض عماله إلى سب أمير المؤمنين على المنابر ولا ذكره بسوء ولا القنوت عليه في الصلوات وأن يؤمن شيعته ولا يتعرض لأحد منهم بسوء ، ويوصل كل ذي حق حقه ، فأجابه معاوية إلى ذلك كله ، وكتب بينه وبينه بذلك كتاباً وهذه صورة الكتاب كتاب الصلح الذي استقر بينهم وهو : (بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما صالح عليه الحسن بن علي بن أبي طالب معاوية بن أبي سفيان صالحه على أن يسلم إليه ولاية المسلمين على أن يعمل فيهم بكتاب الله وسنة رسول الله وسيرة الخلفاء الراشدين المهتدين وليس لمعاوية بن أبي سفيان أن يعهد إلى أحد من بعده عهداً بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين ، على أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله تعالى في شامهم ويمنهم وعراقهم وحجازهم وعلى أن أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم

وأموالهم ونسائهم وأولادهم حيث كانوا، وعلى معاوية بن أبي سفيان بذلك عهد الله وميثاقه ، وعلى أن لا يبغي للحسن بن علي ولا لأخيه الحسين غائلة ولا لأحد من أهل بيت رسول الله (ص) غائلة سوء سراً أو جهراً ، ولا يخيف أحداً منهم في أفق من الآفاق شهد عليه بذلك فلان وفلان وكفى بالله شهيداً). ولما ابترم الصلح بينهما التمس معاوية من الحسن (عليه السلام) أن يتكلم بجمع من الناس ويعلمهم أنه قد بايع معاوية فأجابه إلى ذلك فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على نبيه محمد (ص) ثم قال أيها الناس أكيس الكيس التقي وأحمق الحمق الفجور ، ولو أنكم طلبتم ما بين جابرقاً وجابر صا من جدي رسول الله (ص) ما وجدتموه غيري وغير أخي الحسين ، وقد علمتم أن الله تعالى جل ذكره وعز اسمه ، هداكم بجدي محمد (ص) وأنقذكم من الضلالة وخلصكم من الجهالة وأعزكم به بعد الذلة وكثركم به بعد القلة ، وأن معاوية نازعني حقاً هو لي دونه ، فنظرت لصلاح الأمة وقطع الفتنة وقد كنتم بايعتموني على أن تسالموا من سالمني وتحاربوا من حاربني ، فرأيت أن أسالم لمعاوية وأضع الحرب بيني وبينه ، وقد بايعته ورأيت أن حقن دماء المسلمين خير من سفكها ولم أرد بذلك إلا صلاحكم وبقاءكم ، وان أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين ، ثم نزل وتوجه بعد ذلك إلى المدينة الشريفة وأقام بها وكانت مدة خلافته إلى أن صالح معاوية ستة أشهر وثلاثة أيام وقيل خمسة أيام . وروى شيبة قال سمعت رسول الله (ص) يقول الخلافة ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً وكان آخر ولاية الحسن تمام ثلاثين وثلاثة عشر يوماً من أول خلافة أبي بكر .

وروى أنه لما تم الصلح لمعاوية واجتمع عليه الناس ، دخل عليه سعد ابن أبي وقاص وقال السلام عليك أيها الملك ، فتبسم معاوية وقال ما عليك يا أبا اسحق لو قلت يا أمير المؤمنين ، قال ما أحب إني وليتها بما وليتها به وروى ذلك صاحب تاريخ البديع .

وروي أبو بشر الدولابي أن معاوية اعطى للحسن بعد أن تم الصلح بينه وبينه خمسة آلاف درهم وقيل بل أعطاه مائة ألف دينار والله أعلم .

في ذكر وفاته ومدة عمره وإمامته :

قال أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي في كتابه (أعلام الورى) بعد أن تم الصلح بين الحسن ومعاوية وخرج الحسن إلى المدينة وأقام بها عشر سنين ، سقته زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي السم وذلك بعد أن بذل لها معاوية على سمه مائة الف درهم فبقي مريضاً أربعين يوماً .

وقال الحافظ أبو نعيم في حليته أنه لما اشتد الأمر بالحسن قال أخرجوا فرشي إلى صحن الدار لعلي اتفكر في ملكوت السموات ، يعني الآيات فلما خرجوا به قال اللهم إني احتسب نفسي عندك فإنها أعز الأنفس علي .

وعن عمر بن إسحق ، قال دخلت أنا ورجل على الحسن بن علي نعوده ، فقال يا فلان سلني فقلت لا والله لا أسألك حتى يعافيك الله ثم أسألك ، قال لقد القيت طائفة من كبدي وإني سقيت السم مراراً فلم أسقه مثل هذه المرة ، ثم دخلت عليه من الغد فوجدت أخاه الحسين عند رأسه فقال له الحسين من تتهمها يا أخي قال : لأن تقتله ؟ قال : نعم قال إن يكن الذي أظنه فالله أشد بأساً وتنكيلاً ، وإن لم يكنه فما أحب أن يقتل بي بريء .

وروي أنه لما حضرته الوفاة فكأنه جزع لذلك ، فقال له أخوه الحسين ما هذا الجزع أما ترد على رسول الله وعلى أمير المؤمنين وهما أبواك وعلى خديجة وفاطمة وهما أماك ، وعلى القاسم والطاهر وهما خالاك وعلى حمزة وجعفر وهما عماك ، فقال له الحسن يا أخي ما جزعي إلا أن أدخل في أمر من أمر الله لم أدخل في مثله قط ، وأرى خلقاً من خلق الله لم أر مثلهم قط ، فبكى الحسين عند ذلك ثم قال له الحسن يا أخي قد حضرت وفاتي وحان فراقي وإني لاحق بربي وأجد كبدي يتقطع ، وإني لعارف من أين دهيت ، أنا أخاصمه إلى الله فبحقي عليك إن تكلمت في ذلك لشيء ، فإذا أنا قضيت فقمصني وغسلني وكفني واحملني على سريري إلى قبر جدي رسول الله (ص) لأجدد به عهداً ثم ردني إلى قبر جدتي فاطمة بنت أسد فادفني هناك ، وبالله أقسم عليك أن لا تهرق في أمري محجمة دم ، ثم وصى إليه بأهله

ولـده وتركتـه وجميع مـا كان وصى بـه اليه أميـر المؤمنين علي بن أبي طالب (عليـه السـلام)، ثم قضى نحبـه ع (عليـه السـلام) وذلـك لخمس خلون من ربيع الأول سنة خمسين من الهجرة ، وصلّى عليه سعيد بن العاص فـإنه كـان يومئذٍ والياً على المدينة من جهة معـاوية وصلّى عليـه الحسين عليه السـلام ، ودفن بالبقيع عند جدته فاطمة بنت أسد عليهـا السلام وعمـره (رض) إذ ذاك سبع وأربعون سنة كان منها مع رسـول الله (ص) سبع سنين ، ومـع أبيه بعـد وفاة رسول الله (ص) ثلاثين سنة ، وعاش بعد أبيه (عليه السـلام) إلى حين وفاته عشر سنين وهذه مدة إمامته عليه السلام .

في ذكر اولاده عليه السـلام:

قـال ابن الخشاب ولـد له أحـد عشر ولـداً وبنتـاً واحـدة ، أسمـاء بنيـه عبدالله والقاسم والحسن وزيد وعمر وعبدالله وعبد الرحمن وأحمد واسماعيل والحسين وعقيل والبنت اسمها أم الحسن فاطمة وهي أم محمد بن علي الباقـر (عليه السلام) ، قال الشيخ المفيـد[1] في رسالتـه أولاد الحسن خمسة عشـر ذكـراً وأنثى وهم زيد بن الحسن وأختـاه أم الحسن وأم الحسين أمهم أم بشيـر بنت أبي مسعود عقبة بن عمـرو بن ثعلبة الخـزرجية والحسن بن الحسن أمـه خولة بنت منظور الفزارية وعمر وأخواه القاسم وعبدالله أمهم أم ولد استشهدوا ثلاثتهم بين يدي عمهم الحسين (عليه السلام) بـطف كربـلا رضي الله عنهم وأرضـاهم وأحسن عن الدين والإسـلام وأهله جزاهم ، وعبـد الرحمن أمـه أم ولد والحسن بن الحسن الملقب الأثرم وأخوه طلحة وأختهمـا فاطمـة أمهم أم اسحق بنت طلحة بن عبدالله التميمي ، وأم عبدالله وفاطمـة وأم سلمة ورقيـة بنـات الحسن لامهات اولاد شتى قـال الشيخ كمـال الـدين بن طلحـة لم يكن لأحد من أولاد الحسن عقب غير ابنين منهم وهما الحسن وزيد .

تنبيـه :

على ذكر شيء من خبرهما فأما زيد بن الحسن ، فإنه كان يلي صدقات

---

(١) إرشاد المفيد ص ١٩٤ .

رسول الله (ص) ، كان جليل القدر كريم الطبع طيب النفس كثير البر ، وكان مسناً مدحه الشعراء وقصده الناس من الافاق لطلب بره ، ذكر أصحاب السِيَر ، أنه لما ولي سليمان بن عبد الملك كتب إلى عامله بالمدينة ،أما بعد إذا جاءك كتابي هذا فاعزل زيداً عن صدقات رسول الله (ص) وادفعها إلى فلان إلى رجل من قومه سماه ، فلما تولى الخلافة عمر بن عبد العزيز كتب إلى عامله بالمدينة أما بعد فإن زيد بن الحسن شريف بني هاشم وذو سنهم فإذا جاءك كتابي هذا فاردد إليه صدقات رسول الله (ص) واعنه على ما استعانك عليه ، وفي زيد بن الحسن يقول محمد بن بشر الخارجي يمدحه حيث يقول شعراً :

إذا نزل ابن المصطفى بطن تلعة	نفى جَدْبَها واخضرَّ بالنبت عودُها
وزيد ربيع الناس في كل شتوة	إذا اخلفت أنواؤها ورعودها
حمول لأبيات الديار كأنه	سراج الدجى قد قارنتها سعودها

ومات زيد بن الحسن وله تسعون سنة فرثاه جماعة من الشعراء وذكروا مآثره وفضله وكرمه فممن رثاه قدامة بن الموسى الجمحي يقول :

وإن يك زيد غالت الأرض شخصه	فقد كان معروف هناك وجود
وإن يك أمسى رهن رمس فقد ثوى	به وهو محمود الفعال حميد
سريع الى المضطر يعلم أنه	سيطلبه المعروف ثم يعود
وليس بقوال وقد حط رحله	لملتمس يرجوه أين يريد
إذا قصر الوعد الدمي نمى به	إلى المجد آباء له وجدود
إذا مات منهم سيد قام سيد	كريم ليبني مجدهم ويشيد[1]

مات زيد بن الحسن ولم يدع الإمامة ولا ادعاها له مدع من الشيعة ولا غيرهم ، وذلك لأن الشيعة رجلان إمامي وزيدي ، فالامامي يعتمد في الامامة

---

(١) إرشاد المفيد ١٩٧ .

النصوص وهي معدومة في ولد الحسن (عليه السلام) باتفاق ، ولم يدع ذلك أحد منهم لنفسه فيقع فيه الارتياب ، والزيدي يراعي في الإمامة بعد علي والحسن والحسين الدعوة والجهاد ، وزيد بن الحسن كان مسالماً لبني أمية ومتقلداً من قبلهم الأعمال ، وكان رأيه التقية لاعدائه والتآلف لهم والمداراة وهذا أيضاً عند الزيدية ، خارج عن علامات الإمامة ، فزيد على هذه الأقوال خارج عنها بكل حال ، وأما الحسن بن الحسن فكان جليلاً مهيباً رئيساً فاضلاً ورعاً زاهداً ، وكان يلي صدقات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بالمدينة .
حكي عنه أنه كان يساير الحجّاج يوماً بالمدينة والحجّاج إذ ذاك أمير المدينة ، فقال له الحجّاج يا حسن ادخل معك عمك عمراً على صدقات أبيه فإنه عمك وبقية أهلك ، فقال الحسن لا أغير شرطاً اشترطه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ولا أدخل في صدقاته من لا يدخل ، فقال الحجّاج أنا أدخله معك قهراً فامسك الحسن بن الحسن عنه ثم ما كان إلا أن فارقه وتوجه من المدينة إلى الشام قاصداً عبد الملك بن مروان بالشام فوقف ببابه يطلب الإذن عليه ، فوافاه يحيى بن أم الحكم وهو بالباب فسلم عليه وسأله عن مقدمه وما جاء به فأخبره بخبره مع الحجّاج ، فقال اسبقك بالدخول على أمير المؤمنين ثم ادخل أنت فتكلم واذكر قصتك فسترى ما أفعل معك وانفعك لأساعدك عنده إن شاء الله تعالى ، فدخل يحيى بن أم الحكم ثم دخل بعده الحسن بن الحسن ، فلما جلس رحب به عبد الملك وأحسن مساءلته وكان الحسن قد أسرع عليه الشيب فقال له عبد الملك لقد أسرع إليك المشيب يا أبا محمد ، فبدر إليه يحيى بن أم الحكم فقال وما يمنعه شيبه يا أمير المؤمنين نفسه أماني أهل العراق يفد إليه الركب بعد الركب في كل سنة يمنونه الخلافة ، فقال له الحسن بئس والله الرفد رفدت وليس الأمر كما قلت ولكننا أهل بيت يسرع إلينا المشيب ، وعبد الملك يسمع كلامهما ، فأقبل عبد الملك على الحسن وقال هلم حاجتك يا أبا عبدالله لا عليك ، فأخبره بقول الحجّاج له ، فقال عبد الملك ليس ذلك له ، وكتب له كتاباً يتهدده فيه ويمنعه من ذلك ، ووصل الحسن بن الحسن بأحسن صلة وأجازه بأحسن جائزة ، وقابله بأحسن مقابلة ، وجهزه راجعاً إلى المدينة الشريفة على أحسن حال إلى

الحجاج ، فبعد أن خرج الحسن من عنده قصده يحيى بن أم الحكم واجتمع به فعاتبه الحسن على ما فعل ، وقال له هذا وعدك الذي وعدتني به ، فقال له يحيى أيها لك والله ما لويت عنك نفعاً ولا ادخرت عنك جهداً ولولا كلمتي هذه ما ردّ عليك ولا قضى لك حاجتك فاعرف ذلك لي .

وروي أن الحسن بن الحسن خطب إلى عمه الحسين احدى ابنتيه فقال له يا بني اختر أيهما أحب إليك ، فاستحيى الحسن (رض) ولم يحر جواباً فقال له الحسين عليه السلام قد اخترت لك ابنتي فاطمة ، فهي أكثر شبهاً بأمي فاطمة بنت رسول الله (ص) ، فزوجها منه وحضر الحسن بن الحسن مع عمه بطف كربلا ، فلما قتل الحسين وأسر الباقون من أهله وأسر في جملتهم الحسن بن الحسن فجاء أسماء بن خارجة وانتزع الحسن من بين الأسرى وقال والله لا يوصل إلى ابن خولة أبداً .

مات الحسن بن الحسن وله خمس وثمانون سنة من العمر ، وأخوه زيد حي ، وأوصى إلى أخيه من أمه إبراهيم بن محمد بن طلحة ؛ ولما مات الحسن بن الحسن ضربت زوجته فاطمة بنت الحسين (عليه السلام) على قبره فسطاطاً ، وكانت تقوم الليل وتصوم النهار وكانت رضي الله عنها تشبه بالحور العين لجمالها ، فلما كانت رأس السنة قالت لمواليها إذا اظلم الليل فقوضوا الفسطاط فلما أظلم الليل وقوضوه سمعت قائلاً يقول : (هل وجدوا ما فقدوا) فأجابه آخر : (بل يئسوا فانقلبوا)[1].

ومضى الحسن بن الحسن ولم يدع الإمامة ولا ادعاها له مدع على ما سبق من حال أخيه زيد .

(١) إرشاد المفيد ص ١٩٥ بتفاوت .

الفصل الثالث

في ذكر الحسين بن علي بن أبي طالب الإمام الثالث

وفي هذا الفصل عدة فصول في ذكر مولده ونسبه وكنيته ولقبه وغير ذلك مما يتصل به (عليه السلام) .

ولـد الحسين بن علي بن أبي طالب (عليـه السلام) بـالمدينـة لخمس خلون من شعبان المكرم سنة أربع من الهجرة ، وكانت والـدته الطهر البتـول فـاطمة بنت الـرسول علقت بـه بعد أن ولـدت أخـاه الحسن (عليـه السـلام) بخمسين ليلة ، هكذا صح النقل في ذلك فلم يكن بينه وبين أخيه من التفاوت سوى هذه المـدة المذكـورة ومدة الحمـل . ولما ولـد الحسين (عليه السلام) أخبـر النبي (ص) بـه ، فجـاءه وأخـذه وأذن في أذنـه اليمنى وأقـام في أذنـه اليسرى واستبشر به (ص) وسماه حسيناً وعق عنه (ص) وآله كبشاً وقال لأمه احلقي رأسه وتصدقي بوزنه فضـة وافعلي به كمـا فعلت بأخيـه الحسن (عليه السلام .

في ذكر نسبه وكنيته ولقبه (عليه السلام):

نسبه هو نسب أخيه من غير زيـادة ، وقد تقـدم ذكره فـلا حاجـة فيه إلى الإعادة ، وأما كنيته (عليه السلام) فقال الشيخ كمال الدين بن طلحة كنيته أبو عبدالله لا غير ، وأما القابـه فكثيرة : الـرشيد والـطيب والوفي والسيـد والزكي

والمبارك والتابع لمرضاة الله تعالى ، والسبط ، فكل هذه كانت تقال له وتطلق عليه وأشهرها الزكي وأعلاها رتبـة ما لقبـه بها رسـول الله (ص) في قولـه فيه وفي أخيـه أنهما سيـدا شباب أهـل الجنة ، فكـان السيد أشـرفهـا ، وكـذلـك السبط ، فإنه صح عن رسول الله (ص) أنـه قال حسين سبط من الأسبـاط ، وسيأتي هذا الحديث إن شاء الله تعالى ، وكان الحسين (عليه السلام) أشبـه الخلق بـالنبي (ص) من سرتـه إلى كعبه . شـاعره يحيى بن الحكم وجمـاعة غيره،بوابه أسعد الهجري ، نقش خاتمه لكل أجل كتاب ، معـاصره يـزيد بن معاوية وعبيدالله بن زياد لعنهما الله .

فيما ورد في حقه (عليه السلام) من جهة النبي (ص) :

وهـو فصل مستحلى المـوارد والمصادر مستعلى المحـامد والمفـاخر ، مشعـراً بـأن الحسن والحسين عليهمـا السـلام احـرزا أعلى المعـالي وأفخـر المفـاخر ، فـإن رسول الله (ص) خصصَّهمـا من مـزايـا العلى بـأتم معنى ، وأنزلهما من ذروة الشرف بالمحل الأسنى ، فمدح وأثنى وأفـرد وثنى ، فأمـا ما يخص الحسن (عليـه السلام) فقـد تقدم في فضله ، وأمـا ما يخص الحسين (عليـه السلام) مـع بعض المشترك فهـذا أوان حصـده ، فمن ذلـك مـا رواه الترمذي بسنـده عن يعلى بن مرة قـال قال رسـول الله (ص) حسين مني وأنا من حسين أحب الله من أحب حسيناً ، حسين سبط من الأسباط .

وروي عن جعفـر بن محمـد الصـادق قـال اصـطرع الحسن والحسين عليهمـا السـلام بين يـدي رسـول الله (ص) فقـال رسـول الله (ص) إيهـا حسن ، فقـالت فاطمـة (عليها السـلام) يا رسـول الله استنهضت الكبير على الصغير فقال (ص) هذا جبرائيـل (عليه السـلام) يقول للحسين إيهـا حسين خـذ الحسن ، وعن زيـد بن أبي زيـاد قـال خـرج رسـول الله (ص) من بيت عائشة فمر على بيت فاطمـة ، فسمع (ص) حسينـاً يبكي فقال ألم تعلمي أن بكـاءه يؤذيني ، وعن البـراء بن عـازب قـال رأيت رسـول الله (ص) حاملاً الحسين بن علي على عاتقه وهو يقول اللهم إني أحبه فأحبه .

وروى الإمام ابن إسماعيل البخاري والترمذي كل منهما في صحيحه يرفعه إلى ابن عمر ، أنه سأله رجل عن دم البعوض فقال من أنت فقال من أهل العراق فقال انظروا هذا يسألني عن دم البعوض وقد قتلوا ابن النبي (ص) ، وقد سمعت النبي (ص) يقول هما ريحانتاي من الدنيا[1] وروى أنه سأله عن المحرم يقتل الذباب فقال يا أهل العراق تسألون عن قتل الذباب وقد قتلتم الحسين ابن رسول الله (ص) ، وذكر الحديث وفي آخره هما سيدا شباب أهل الجنة ، وروت أم الفضل بنت العباس أنها دخلت على رسول الله (ص) فقالت يا رسول الله رأيت البارحة حلماً منكراً قال وما هو قالت رأيت كأن قطعة من جسدك قطعت فوضعت في حجري فقال رسول الله (ص) خيراً رأيت تلد فاطمة غلاماً فيكون في حجرك ، فولدت فاطمة الحسين (عليه السلام) قالت فكان في حجري كما قال رسول الله (ص) فدخلت به عليه فوضعته في حجره ، ثم حانت مني التفاتة فإذا عينا رسول الله (ص) تدمعان ، فقلت بأبي أنت وأمي يا رسول الله مالك تبكي قال (ص) أتاني جبرئيل (عليه السلام) فأخبرني أن أمتي ستقتل ابني هذا ، أتاني بتربة من تربته حمراء .

وروى البغوي بسنده يرفعه إلى أم سلمة أنها قالت كان جبرئيل (عليه السلام) عند النبي والحسين بن علي (عليه السلام) معي ، فغفلت عنه فذهب إلى النبي (ص) ، وجعله النبي (ص) على فخذه فقال له جبرئيل اتحبه يا محمد ، فقال (ص) نعم فقال أما إن أمتك ستقتله وإن شئت أريتك تربة الأرض التي يقتل فيها فبسط جناحه إلى الأرض وأراه أرضاً يقال لها كربلا تربة حمراء بطف العراق .

وروى الحافظ عبد العزيز بن الأخضر الجنابذي في كتابه معالم العترة

---

(١) إرشاد المفيد ١٩٨ وتقدمت مصادر هذه الروايات في هوامش الإمام الحسن عليه السلام وتجد احاديث كربلاء في مسند أحمد (١/ ٨٥) و(٣/ ٢٤٢) و(٣/ ٢٦٥) و(٦/ ٢٩٤) ومشابهته للنبي (ص) في صحيح البخاري كتاب فضائل أصحاب النبي (ص) باب ٢٢ .

الطاهرة مرفوعاً عن الأصبغ بن نباتة عن علي (عليه السلام) قال اتينا مع علي ابن أبي طالب ، فمررنا بأرض كربلا فقـال علي (عليه السـلام) ها هنـا مناخ ركابهم وموضـع رحالهم ومهـراق دمائهم ، فئـة من آل محمد (ص) أجمعين يقتلون في هذه العرصة تبكي عليهم السماء والأرض .

ومنـه يرفعـه إلى عبدالله بن مسعـود قـال بينمـا نحن جلوس عنـد النبي (ص) إذ دخل عليه فتية من قريش فتغير لونه ورؤي في وجهه كآبة ، فقلنـا يا رسول الله لا نزال نرى في وجهك شيئاً نكرهه فقال صلّى الله عليه وآله إنّا أهل بيت اختار الله تعالى لنا الآخرة على الدنيا وإن أهل بيتي سيلقون بعدي تطريداً وتشريداً .

في علمه وشجاعته وشرف نفسه وسيادته (عليه السلام) :

قال بعض أهل العلم علوم أهل البيت لا تتوقف على التكرار والدرس ، ولا يزيد يـومهم فيها على مـا كان في الأمس لأنهم المخـاطبون في أسـرارهم والمحـدثـون في النفس . فسمـاءُ معـارفهم وعلومهم بعيـدة عن الإدراك واللمس ، ومن أراد سترها كمن أراد ستـر وجه الشمس ، وهـذا مـا يجب أن يكـون ثابتـاً مقـرراً في النفس ، فهم يـرون عـالم الغيب في عـالم الشهـادة ، ويقفون على حقائق المعـارف في خلوات العبادة ، وتنـاجيهم ثواقب أفكـارهم في أوقـات اذكارهم بمـا تسنموا بـه غـارب الشـرف والسيـادة وحصلوا بصـدق توجيههم إلى جناب القدس ، فبلغوا بـه منتهى السؤال والإرادة ، فهم كما في نفوس أوليائهم ومحبيهم وزيادة ، فما تزيد معـارفهم في زمان الشيخـوخة على معـارفهم في زمن الـولادة ، وهـذه أمـور تثبت لهم بـالقيـاس والنـظر ومنـاقب واضحة الحجول بادية الغرر ، ومزايا تشرق إشـراق الشمس والقمر ، وسجـايا يزين عيون التواريخ وعنوانات الأثـر ، فما سـألهم مستفيد أو ممتحن فـوقفوا ، ولا انكر منكر امراً من الأمور إلا علمـوا وعرفـوا ، ولا جرى معهم غيـرهم في مضمار شرف إلا سبقوا ، وقصر محـاورهم وتحلقوا ، سنـة جرى عليهـا الذين تقدموا منهم وأحسن أتبـاعهم الذين خلفـوا ، وكم عانـوا في الجدال والجـلاد

أموراً فبلغوها بالرأي الأصيل والصبر الجميل فما استكانوا ولا ضعفوا ، فبهذا وأمثاله سموا على الأمثال وشرفوا ، تقر الشقاشق إذا هدرت شقاشقهم وتصغي الأسماع إذا قال قائلهم أو نطق ناطقهم ، ويكشف الهوى إذا افنست به خلائقهم ويقف كل ساع عن شأوهم فلا يدرك فائتهم ولا ينال طرائقهم سجايا منحهم بها خالقهم وأخبر بها صادقهم فسر بها أولياؤهم وأصادقهم ، وحزن لها مباينهم ومفارقهم ، وقد حل الحسين (عليه السلام) من هذا البيت الشريف في أوجه وارتفاعه وعلو محله فيه علواً تطامنت النجوم عن ارتفاعه ، واطلع بصفا سره على غوامض المعارف فانكشفت له الحقائق عند اطلاعه ، وطار صيته بالفضائل والفواضل ، فاستوى الصديق والعدو في استماعه ، ولما انقسمت غنائم المنجد حصل على صعابها ومرتاعه ، فقد اجتمع فيه وفي أخيه عليهما السلام من خلال الفضائل ما لا خلاف في اجتماعه ، فكيف لا يكونا كذلك وهما ابنا علي وفاطمة وسبطان لمن كان سيد النبيين والمرسلين وخاتمهم ، والحسين عليه السلام هو الذي أرضى غرب السيف والسنان ومال إلى منازلة الأبطال والشجعان .

قال الشيخ كمال الدين بن طلحة : إعلم أن الشجاعة من المعاني القائمة بالنفوس ولها رجال ابطال وصناديد شوس ، ولا يعرف صاحبها إلا إذا ضاق المجال واشتد القتال وأحدقت الرجال بالرجال ، فمن كان مجزاعاً مهلاعاً فتراه يستركب الهزيمة ويستقبلها يستصوب المدينة ويتطرقها ويستعذب المفرة ويتشوقها ، ويستصحب الذلة ويتعلقها فيهلك مهبول الأم لا تعرف نفسه شرفاً ولا له عن الخساسة والدناءة منصرفاً ، ومن كان كراراً صباراً خائضاً غمرات الأهوال بنفس مطمئنة وعزيمة مرججة بعد مصافحة الصفاح غنيمة باردة ، ومراوحة الرماح فائدة وعائدة ، ومكافحة الكتائب مكرمة زائدة ، ومناوحة المعائب منقبة شاهدة جانحاً إلى ابتياع العز بمهجته ويراها ثمناً قليلاً جامحاً عن ارتكاب الدنايا وإن غادرت جماحه قتيلاً :

يرى الموت أحلى من ركوب دنية ... ولا يقتدي للناكصين دليلا
ويستعذب التعذيب فيما يفيده ... نزاهته عن أن يقال ذليلا

فهذا مالك زمام الشجاعة وحائزها وله من قداحها معلاها وفائزها وقد صحف النقلة في صحائف السير بما رواه ، وحرروا القول بما نقله المتقدم إلى المتأخر فيما رووه أن الحسين (عليه السلام) لما قصد العراق سمع به أميرها عبيدالله بن زياد لعنه الله ، فسرب الجنود لمقاتلته أسراباً وحزب الجيوش لمحاربته أحزاباً وجهز إليه من العساكر عشرين ألف مقاتل ما بين فارس وراجل ، فاحدقوا به شاكين في كثرة العدد والعديد ملتمسين منه نزوله على حكم بن زياد وبيعته ليزيد ، فإن أبى ذلك فليؤذن بقتال يقطع الوتين وحبل الوريد ويصعد بالأرواح إلى المحل الأعلى ويطرح الأشباح على الصعيد ، فتبعت نفسه الأبية جدها وأباها وعزفت عن ارتكاب الدنية فأباها ونادته النحوة الهاشمية فلباها ، ومنحها بالإجابة إلى مجانبة الذلة وحباها ، فاختار مجالدة الجنود ومصادمة صباها والصبر على مقارعة صوارمها وسم سباها ، وكان أكثر هؤلاء الخارجين لقتاله قد كاتبوه وطاوعوه وشايعوه وتابعوه وسألوه القدوم عليهم ليبايعوه فلما جاءهم اخلفوه ما وعدوه ، ومالوا إلى السحت العاجل فقصدوه ، فنصب نفسه (ص) وإخوته وأهله وكانوا نيفاً وسبعين لمحاربتهم واختاروا جميعهم القتل على متابعتهم ليزيد ومبايعتهم ، فاعتقلهم الفجرة الطغاة ورشقتهم الرماح والسهام هذا والحسين (عليه السلام) ثابت أقدامه في المعترك أرسى من الجبال وقلبه لا يضطرب لهول القتال ولا لقتال الرجال ولا لمنازلة الأبطال ، ثم قال يا أهل الكوفة قبحا لكم وتعسا حين استصر ختمونا فأتيناكم مرجفين ، فشحذتم علينا سيفاً كان في ايماننا وحثثتم علينا ناراً نحن أضرمناها على أعدائكم وأعدائنا ، فأصبحتم البا على أوليائكم ويداً لأعدائكم من غير عدل أفشوه فيكم ولا ذنب كان منا إليكم ، فلكم الويلات هلا إذ كرهتمونا تركتمونا ، والسيف ما سام والجأش ما طاش ، والرأي يستحصد ، ولكنكم اسرعتم إلى بيعتنا إسراع الذباب وتهافتم تهافت الفراش ، ثم نقضتمونا سفهاً وظلماً ألا لعنة الله على الظالمين ، ثم حمل عليهم وسيفه مصلت في يده وهو ينشد ويقول :

أنا ابن علي الطهر من آل هاشم كفاني بهذا مفخراً حين أفخر

وجـدي رسـول الله أكـرم من مشى ونحن سـراج الله في الأرض نـزهـر
وفـاطم أمي مـن سـلالـة أحمـد وعمي يـدعى ذا الجنـاحين جعفـر
وفينـا كـتـاب الله أنـزل صـادقـاً وفينـا الهدى والـوحي بالخيـر يذكـر

ولم يزل (عليه السلام) يقاتـل حتى قتل كثيـراً من رجالهم وفـرسانهم وشجعانهم خائضاً لجج الغمرات غير هـائب للموت من جميـع جهاته، إلى أن تقدم إليه الشمر بن ذي الجوشن في جموعه وسيـأتي تفصيل مـا جرى لـه معه في فصل مصرعه إن شاء الله تعالى .

في ذكر كرمه وجوده (عليه السلام):

قال الشيخ كمال الدين بن طلحة قد اشتهـر النقل عنـه (عليه السـلام) بـأنه كـان يكرم الضيف ، ويمنـح الطالب ، ويصـل الرحم ، وينيـل الفقراء ، ويسعف السائل ، ويكسو العريان ، ويشبع الجوعان ، ويعطي الغارم ، ويشـد من الضعيف ، ويشفق على اليتيم ، ويعين ذا الحاجة ، وقل أن وصله مال إلا فرقة ، وفي الفصل المتقدم المعقود لكرم أخيـه (عليه السـلام) وقصة المـرأة التي ذبحت الشاة وما وصلها به لمـا أن جاءتـه بعد أخيـه الحسن من إعطائهـا الألف دينـار وشرائـه لها الألف شـاة ما يعـرفك أن الكـرم ثـابت لهؤلاء القـوم حقيقة ولغيرهـم مجاز ، إذ كل واحد منهم ضرب فيه بالقدح المعلى فحاز منـه مـا حاز ، فهم بحـار تجاوزت الغيـوث سمـاحـة ويبـارون الليـوث حمـاسـة ، ويعدلون الجبال حلماً وجـارحة ، فهم البحـور الزاخـرة والسحب الهاميـة وفيه يقول الشاعر :

فمـا كـان من جـود أتـوه فـإنمـا تـوارثـه آبـاء آبـائـهـم قـبـل
وهـل ينبت الـخـطِّي الا وشـجـه وتغـرس إلا في مغارسهـا النخـل

قال أنس كنت عند الحسين (عليه السلام) فدخلت عليه جارية فجـاءته بطاقة ريحان فقال أنت حرة لوجـه الله تعالى ، فقلت لـه جاريـة تحييك بـطاقة ريحان لاحظ لها ولا بال فتعتقها ، فقال أما سمعت قـوله تعـالى ﴿ وإذا حييتم

بتحية فحيوا بأحسن منها ﴾[1] وكان أحسن منها عتقها .

وكتب إليه أخوه الحسن يلومه على إعطائه الشعراء فكتب إليه أنت أعلم مني أن خير المال ما وقى العرض .

وجنى بعض اقارنه جناية توجب التأديب فأمر بتأديبه ، فقال يا مولاي قالَ الله تعالى : ﴿ **والكاظمين الغيظ** ﴾[2] قال (عليه السلام) خلوا عنه فقد كظمت غيظي فقال : « والعافين عن الناس » قال (عليه السلام) قد عفوت عنك ، فقال « والله يحب المحسنين » قال أنت حر لوجه الله تعالى وأجازه بجائزة سنية .

وقيل أن معاوية لما قدم مكة وصله بمال كثير وثياب وافرة وكسوة فاخرة ، فرد الجميع عليه ولم يقبل منه شيئاً ، فهذه سجية الجود وشنشنة الكرم ، وصفة من حوى مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم ، ومما يؤديك بكرمه وسماحته ذكر ما تقدم في الفصل الذي قبل هذا ، من ثبات قلبه وشجاعته إذ الشجاعة والسماحة توأمان ورضيعا لبان ، فالجواد شجاع والشجاع جواد ، وهذه قاعدة كلية وإن خرج منها بعض الآحاد ومن خاف الوصمة في شرفه جاد بالطريف من ماله والتالد ، وقد قال أبو تمام في الجمع بينهما فأجاد :

وإذا رأيت أبا يزيد في ندى ووغى ومبدى غارة ومعيدا
أيقنت أن من السماح شجاعة تدني وأن من الشجاعة جوداً

وقال آخر في هذا المعنى :

يجود بالنفس إن ظن البخيل بها والجود بالنفس اقصى غاية الجود

وقيل الكريم شجاع القلب والبخيل شجاع الوجه .

(١) سورة النساء الآية ٨٦.
(٢) سورة آل عمران الآية ١٣٤ .

في ذكر شيء من محاسن كلامه وبديع نظامه (عليه السلام)

قال الشيخ كمال الدين بن طلحة كانت الفصاحة لديه خاضعة والبلاغة لامره زامعة طائعة ، وأما نظمه فيعد من الكلام جوهر عقد منظوم ومشهود برد مرقوم ، انتهى ، فمن كلامه عليه السلام ، حوائج الناس إليكم من نعم الله فلا تملوا النعم فتعود نقماً ، وقال (عليه السلام) صاحب الحاجة لم يكرم وجهه عن سؤالك فأكرم وجهك عن رده ، وقال (عليه السلام) في خطبة أيها الناس نافسوا في المكارم وسارعوا في المغانم ولا تحتسبوا بمعروف لم تعجلوه واكتسبوا الحمد بالنجح ولا تكسبوا بالمطل ذماً فمهما يكن لأحد عند أحد صنيعة ورأى أنه لا يقوم بشكرها فالله تعالى له بمكافأته بمكان ، وذلك اجزل عطاء وأعظم اجراً ، واعلموا أن المعروف يكسب حمداً ويعقب اجراً ، فلو رأيتم المعروف رجلاً رأيتموه حسناً جميلاً يسر الناظرين ، ولو رأيتم اللؤم رأيتموه منظراً قبيحاً تنفر منه القلوب وتغض منه الأبصار ، أيها الناس من جاد ساد ومن بخل ذل ، فإن أجود الناس من أعطى من لا يرجوه ، واعف الناس من عفا عن قدرة ، وإن أوصل الناس من وصل من قطعه ، ومن أراد بالصنيعة إلى أخيه وجه الله تعالى كافأه الله تعالى بها في وقت حاجته ، وصرف عنه من البلاء بأكثر من ذلك ، ومن نفس عن أخيه كربة من كرب الدنيا نفّس الله عنه كربة من كرب الآخرة ، ومن أحسن أحسن الله إليه ، والله يحب المحسنين[1] ، ومن كلامه (عليه السلام) الحلم زينة ، والوفاء مروة ، والصلة نعمة ، والاستكثار صلف ، والعجلة سفه ، والسفه ضعف ، واللغو ورطة ومجالسة أهل الدناءة ش خ ل[2] شره ومجالسة أهل الفسق ريبة ، وقيل كان بينه وبين أخيه الحسن (عليه السلام) كلام ، فقيل له اذهب إلى أخيك الحسن فاسترضه وطيب خاطره فإنه أكبر منك ، فقال سمعت جدي رسول الله (ص) يقول أيما اثنين جرى بينهما كلام فطلب أحدهما رضى الآخر كان السابق ، سابقه إلى الجنة . وأكره أن أسبق أخي الأكبر إلى

(١ و٢) كشف الغمة باختلاف .

الجنة ، فبلغ الحسن قوله (عليه السلام) فأتاه وترضاه. فهذه الألفاظ تجاري الهواء رقة ومتانة وتنبئك بأن لهم عند الله أكبر منزلة وعلو مكانة توارثوا البيان كابراً عن كابر وتسنموا تلك الفضائل كتسنمهم متون المنابر وتساووا في مضمار المعارف ، فالآخر يأخذ عن الأول والأول يملي على الآخر.

شرف تتابع كابراً عن كابر	كالرمح انبوباً على أنبوب

وأما نظمه عليه السلام فمن ذلك ما نقله ابن اعثم صاحب كتاب الفتوح ، وهو أنه (عليه السلام) لما احاطت به جموع بن زياد لعنه الله وقتلوا من قتلوا من أصحابه ومنعوهم الماء كان له ولد صغير فجاءه سهم فقتله فرمله الحسين (عليه السلام) وحفر له بسيفه وصلّى عليه ودفنه وقال شعراً :

غدر القوم وقدما رغبوا	عن ثواب الله رب الثقلين
قتلوا قدما علياً وابنه	حسن الخير كريم الأبوين
حسدا منهم وقالوا أقبلوا	نقتل الآن جميعاً للحسين
خيرة الله من الخلق أبي	ثم أمي فأنا ابن الخيرتين
فضة قد صفيت من ذهب	فأنا الفضة وابن الذهبين
من له جد كجدي في الورى	أو كشيخي فأنا ابن القمرين
فاطم الزهراء أمي وأبي	قاصم الكفر ببدر وحنين
وله في يوم أحد وقعة	شفت الغل بفض العسكرين
ثم بالأحزاب والفتح معاً	كان فيها حتف أهل الوثنين

ومن ذلك ما حكي أن الفرزدق لقيه (عليه السلام) ، وهو متوجه إلى الكوفة فقال له يا ابن رسول الله كيف تركن إلى أهل الكوفة وهم الذين قتلوا ابن عمك مسلم بن عقيل ، فترحم على مسلم بن عقيل وقال أما إنه صار إلى رحمة الله تعالى ورضوانه وقضى ما عليه وبقي ما علينا وأنشد يقول :

وإن تكن الدنيا تعد نفيسة	فإن ثواب الله أعلى وأنبل
وإن تكن الأبدان للموت انشئت	فقتل امرىء في الله بالسيف أفضل
وإن تكن الأرزاق قسماً مقدراً	فقلة حرص المرء في الكسب أجمل

وإن تكن الأموال للترك جمعها فما بال متروك به المرء يبخل

ومن نظمه عليه السلام :

ذهب الذين أحبهم وبقيت فيمن لا أحبه
فيمن أراه يسبني ظهر المغيب ولا أسبه
أفلا يرى أن فعله مما يسير إليه غبه
حسبي بربي كافياً مما اختشى والبغي حسبه
ولعل من يبغي عليه الا كفاه الله ربه

وقال عليه السلام :

إذا ما عضك الدهر فلا تجنح إلى الخلق
ولا تسأل سوى الله تعالى قاسم الرزق
فلو عشت وطوقت من الغرب إلى الشرق
لما صادفت من يقدر أن يسعد أو يشقي

وقال عليه السلام من قصيدة طويلة هذا أولها •

إذا استنصر المرء امرئاً لا يداله فناصره والخاذلون سواء
أنا ابن الذي قد يعلمون مكانه وليس على الحق المبين طحاء
أليس رسول الله جدي ووالدي أنا البدر إن خلا النجوم خفاء
ألم ينزل القرآن خلف بيوتنا صباحاً ومن بعد الصباح مساء
ينازعني والله بيني وبينه يزيد وليس الأمر حيث يشاء
فيا نصحاء الله أنتم ولاته وأنتم على أديانه أمناء
بأي كتاب أم بأية سنة تناولها عن أهلها البعداء

وقال أبو مخنف كان الحسين بن علي تعلوه الكراهة لما كان عليه من أمر أخيه الحسن من صلح معاوية ويقول لو جز انفي بموس كان أحب إلي مما فعله أخي وقال في ذلك:

فما ساءني شيء كما ساءني أخي ولم أرض والله الذي كان صانعاً

ولكن إذا ما الله أمضى قضاءه ... فلا بد يوماً أن ترى الأمر واقعاً
ولو أنني شوورت فيه لما رأوا ... قرينهم إلا عن الأمر شاسعاً
ولم أك أرضى بالذي قد رضوا به ... ولو جمعت كفي الي المجامعا
ولو جز انفي قبل ذلك جزة ... بموس لما ألقيت للصلح طائعاً

في ذكر مخرجه (عليه السلام) إلى العراق:

وذلك أن معاوية لما استخلف ولده يزيد وذلك في سنة ست وخمسين ثم مات معاوية في سنة ستين ثم لم تكن ليزيد همة إلا أن كتب إلى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان عاملهم على المدينة يخبره بموت معاوية ويأمره أن يأخذ البيعة له على الحسين بن علي ، وعبدالله بن عمر ، وعبدالله بن الزبير ، أخذاً ليست فيه رخصة أول الناس قبل ظهور الأمر وإنشائه ، ويشدد عليهم في ذلك ، فلما قرأ الوليد الكتاب عظم عليه هلاك معاوية وما أمره يزيد من أخذه البيعة على هؤلاء الثلاثة ، فاستدعى مروان بن الحكم وقرأ عليه الكتاب فاسترجع مروان وشق عليه موت معاوية ، فقال له الوليد ما الرأي كيف تصنع في هؤلاء النفر الثلاثة الذين أمرني بأخذ البيعة عليهم ، فقال له أرى أن تدعوهم الساعة وتأخذهم بالبيعة فإن فعلوا فقلت منهم وكففت عنهم وإن أبوا ضربت أعناقهم قبل أن يعلم أحد منهم بموت معاوية ، لأنهم إن علموا بموته وثب كل واحد منهم بناحيته وأظهر الخلاف ودعا إلى نفسه ، ورأيي أن ابن عمر لا يحب القتال ولا يحب أن يلي شيئاً من أمور الدنيا بالقتال إلا أن يدفع عليه هذا الأمر عفواً ، فأرسل إلى الحسين وإلى ابن الزبير لا غير ، فأرسل الوليد إلى الحسين وإلى ابن الزبير غلاماً حدثاً من شيعته يدعوهما إلى الحضور إليه ، وكانا جالسين في المسجد فأتاهما في ساعة متأخرة لم يكن الوليد يجلس فيها لأحد ، فقال أجيبا الأمير فقالا له انصرف الآن فاته ثم أخذا يتشاوران فقال ابن الزبير للحسين (عليه السلام) ما تراه بعث إلينا في هذه الساعة التي لم يكن يجلس فيها الا لأمر قد حدث ، فقال الحسين نعم أظن طاغيتهم قد هلك فبعث إلينا يأخذ البيعة ليزيد قبل أن يفشى الخبر في الناس

فقال ابن الزبير والله ما أظن غيره ، فما تريد أن تصنع قال الحسين (عليه السلام) اجمع فتياني الساعة ثم أمشي إليه وأجلسهم قريباً من مجلسي وانظر ما خبره ، قال فإني أخاف بعد دخولك عليه أن لا تنجو من شره قال لا أدخل عليه إلا وأنا قادر عن الامتناع منه ، ثم قام الحسين فجمع حاشيته وأهل بيته ثم دخل عليه وأدخلهم معه وأجلسهم بحيث يروا مكانه ويسمعوا كلامه قريباً من مجلسهم ، وقال إن دعوتكم أو سمعتم صوتي قد علا فأتوني بأجمعكم وإلا مكانكم حتى آتيكم ، ثم دخل عليه مجلسه فسلم عليه وجلس ووجد مروان جالساً عنده فتحادثوا ساعة ثم ان الوليد أخبره بموت معاوية ودعاه إلى بيعة يزيد ووعده عن يزيد بخير جزيل فاسترجع الحسين (عليه السلام) لموت معاوية، وقال مثلي لا يبايع سراً فإذا أخرجت إلى الناس ودعوتهم إلى البيعة أنا من جملتهم ويكون الأمر واحداً ، ثم وثب الحسين قائماً وولى ، فقال مروان للوليد لئن فارقك الساعة ولم يبايع لاقدرت على مثلها احبسه فإن بايع وإلا اضرب عنقه ، فالتفت إليه الحسين وقال له يا ابن الزرقاء أنت تضرب عنقي أم هو كذبت والله ، ثم خرج من الباب قال وكان الوليد يحب العافية فالتفت إلى مروان وقال له ويح غيرك والله ما أحب أن لي ما طلعت عليه الشمس وغربت من مال الدنيا وملكها إذا قتلت حسيناً إذ قال لا أبايع فسكت مروان وأما ابن الزبير فقال للرسول الآن أتيكم فالح عليه الوليد في الطلب وهو يقول امهلوني ، ثم ان ابن الزبير أرسل أخاه الوليد وهو يقول إنك افزعتني وارعبتني بمتابعة رسلك إلي وطلبتك لي وأريد أن تحملني إلى الليل وآتيك إن شاء الله تعالى ، فخلى عنه فلما كان الليل هرب ابن الزبير هو وأخوه جعفر إلى مكة المشرفة ليس معهما أحد ، وأخذا على طريق الفرع فأرسل الوليد بعد أن دخل الليل يطلبه فلم يجده فلما أصبح ارسل في طلبه فلم يدركه ولم يعلم إلى أي جهة أخذ،وأما الحسين (عليه السلام) فإنه أخذ معه بنيه وإخوته وبني إخوته وجميع أهله وحاشيته وخرج في الليلة الثانية من المدينة قاصداً مكة المشرفة ، فكفوا عنه ولم يتعرض له أحد ، وعند خروجه من المدينة قرأ قوله تعالى : ﴿ فخرج منها خائفاً يترقب قال رب نجني من القوم

الظالمين ﴾[1] فلما دخل مكة قرأ قوله تعالى : **﴿ عسىٰ ربي أن يهديني سواء السبيل ﴾**[2] ثم أن الوليد بن عتبة أرسل ايضاً إلى ابن عمر وسأله المبايعة قال إذا بايع الناس بايعت فتركوه ، وكانوا لا يتخوفونه قال ولما خرج الحسين من المدينة إلى مكة لقيه عبدالله بن مطيع فقال له جعلت فداك اين تريد؟ قال اما الأن فمكة وأما بعد فاستخير الله تعالى ، فقال خار الله لك وجعلنا فداك فإذا أتيت مكة فإياك أن تقرب الكوفة فإنها بلدة مشؤومة بها قتل أبوك وخذل أخوك والزم الحرم فإنك سيد العرب ولا يدل بك أهل الحجاز أحداً ، ويتداعى اليك الناس من كل جانب لا تفارق الحرم فداك عمي وخالي فوالله إن هلكت لنسترقن بعدك ، فأقبل الحسين حتى دخل مكة المشرفة ونزل بها وأهلها يختلفون إليه ويأتونه وكذلك من بها من المجاورين والحاج والمعتمرين من سائر أهل الآفاق وابن الزبير أيضاً قد نزل بها ولزم جانب الكعبة ، ولم يزل قائماً يصلي عندها عامة النهار ويطوف جانباً من الليل ، ومع ذلك يأتي الحسين ويجلس إليه وقد ثقلت وطأة الحسين على ابن الزبير لأن أهل الحجاز لا يبايعونه ما دام الحسين بالبلد ولا يتهيأ له ما يطلب منهم مع وجود الحسين ، ولما بلغ أهل الكوفة موت معاوية وامتناع الحسين وابن عمر وابن الزبير من البيعة وأن الحسين سار إلى مكة اجتمعت الشيعة في منزل سليمان ابن صرد بالكوفة وتذاكروا أمر الحسين ومسيره إلى مكة ، قالوا نكتب إليه يأتينا الكوفة فكتبوا إليه كتباً من رؤسائهم من سليمان بن صرد ومن المسيب بن نجية ، ورفاعة بن شداد ، وحبيب بن مظاهر ، وشبث بن ربعي ويزيد بن الحارث ويزيد بن دؤب ، وعروة بن قيس ، وعمرو بن الحجاج الزبيدي ، ومحمد بن عمر التميمي وغيرهم من أعيان الشيعة ورؤساء أهل الكوفة قريباً من نحو مائة كتاب وسيروا الكتب مع عبدالله بن سبع الهمداني ، وعبدالله بن والي وهم يحثونه فيها على القدوم عليهم والمسير إليهم على كل حال ، وكتاب واحد عام على لسان الجميع كتبوه وأرسلوه مع القاصدين وصورته : « بسم الله الرحمن الرحيم للحسين بن علي أمير المؤمنين من شيعته

(١ و٢) سورة القصص الآية ٢١ و٢٢ .

وشيعة أبيه علي (عليه السلام) أما بعد فإن الناس منتظروك لا رأي لهم في غيرك ، فالعجل العجل يا ابن رسول الله لعل الله تعالى أن يجمعنا بك على الحق ويؤيد بك المسلمين والإسلام بعد أجزل السلام وأتمه عليك ورحمة الله وبركاته » .

فكتب جوابهم ، صحبته القاصدين ، وسير معهم ابن عمه مسلم بن عقيل وأخذ عليهم البيعة للحسين بن علي عليهما السلام ، فكتب والي الكوفة وهو يومئذٍ النعمان بن بشير إلى يزيد بن معاوية يخبره بذلك فجهز يزيد عند ذلك إلى الكوفة عبيدالله بن زياد، فلما قرب من الكوفة تنكر ودخلها ليلاً وأوهم أنه الحسين ودخلها من جهة البادية في زي أهل الحجاز ، وصار كلما اجتاز بجماعة يسلم عليهم فيقومون له ويقولون مرحباً بابن رسول الله ظناً منهم أنه الحسين ، فلما رأى عبيدالله تباشرهم بالحسين ساءه ذلك وتكشفت له أحوالهم ، ثم أنه قصد قصر الإمارة وجاء يريد الدخول إليه فوجد النعمان بن بشير قد اغلقه وتحصن فيه هو وأصحابه وذلك أن النعمان بن بشير هو وأصحابه ظنوا أن ابن زياد هو الحسين (عليه السلام) فصاح بهم عبيدالله بن زياد افتحوا لا بارك الله فيكم ولا كثر في أمثالكم ، فعرفوا صوته لعنه الله وقالوا ابن مرجانة فنزلوا وفتحوا له ودخل القصر وبات به ، فلما أصبح جمع الناس فصال وجال وقال فطال وأرعد وأبرق ومسك جماعة من أهل الكوفة فقتلهم في الساعة ثم أنه تحيل عليهم حتى ظفر بمسلم بن عقيل فمسكه وقتله ، وكان الحسين بن علي عليهما السلام بعد أن سير ابن عمه مسلم بن عقيل إلى الكوفة لم يقم بعده إلا قليلا حتى تجهز للمسير في أثره بجميع أهله وولده وخاصته وحاشيته فأتاه عمر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام المخزومي فقال إني جئتك لحاجة أريد ذكرها نصيحة لك ، فإن كنت ترى أنك مستنصحي قلتها لك وأديت ما يجب علي من الحق فيها ، وإن ظننت أني غير ناصح لك كففت عما أريد أن أقوله لك فقال فوالله ما أستغشك وما أظنك بشيء من الهوى ، فقال له قد بلغني أنك تريد العراق وإني مشفق عليك أن تأتي بلداً فيها عمال يزيد وامراؤه ومعهم بيوت الأموال وإنما الناس عبيد

الدراهم والدنانير، فلا آمن عليك أن يقاتلك من وعدك نصره ومن أنت أحب إليه ممن يقاتلك وذلك عند البذل وطمع الدنيا فقال له الحسين عليه السلام جزاك الله خيراً من ناصح لقد مشيت يا ابن عبد الرحمن بنصح وتكلمت بعقل ولم تنطق عن هوى ، ولكن مهما يقضى من أمر يكن أجدت برأيك أم تركت مع أنك عندي أحمد مشير واعز ناصح .

ثم جاءه بعد ذلك عبدالله بن عباس (رض) ومعه جماعة من أهل ذوي الحنكة والتجربة والمعرفة بالأمور فقال ان الناس قد أرجفوا بأنك سائر إلى العراق فهل عزمت على شيء من ذلك ، فقال نعم إني قد اجمعت على المسير في احد يومي هذين اريد اللحاق بابن عمي مسلم بن عقيل إن شاء الله تعالى، فقال ابن عباس والجماعة الذين معه نعيذك بالله من ذلك ، أخبرنا أتسير إلى قوم قتلوا أميرهم وضبطوا بلادهم ونفوا عدوهم فإن كانوا قد فعلوا فسر إليهم ، وإن كانوا إنما دعوك وأميرهم قائم عليهم قاهر لهم وعمالهم تجبي بلادهم وتأخذ خراجهم ، فإنما دعوك إلى الحرب ولا آمن عليك من أن يغروك ويكذبوك ويخذلوك ويتبعوك ثم يستفزوا إليك فيكونوا أشد الناس عليك ، فقال الحسين (عليه السلام) إني استخير الله تعالى ثم انظر ماذا يكون ، فخرج ابن عباس والجماعة الذين معه فبعد أن خرجوا عنه جاء ابن الزبير فجلس عنده ساعة يتحدث ثم قال اخبرني ما تريد أن تصنع بلغني أنك سائر إلى العراق ، فقال الحسين نعم نفسي تحدثني بإتيان الكوفة وذلك أن جماعة من شيعتنا وأشراف الناس كتبوا إلي كتباً يحثونني على المسير إليهم ويعدونني النصرة والقيام معي بأنفسهم وأموالهم ، ووعدتهم بالوصول إليهم وأنا استخير الله تعالى فقال له ابن الزبير أما أنه لو كان لي بها شيعة مثل شيعتك ما عدلت عنهم ، ثم إنه اخشي أن يتهمه فقال وإن رأيت أنك تقيم هنا بالحجاز وتريد هذا الأمر قمنا معك وساعدناك وبايعناك ونصحنا لك ، فقال له الحسين عليه السلام إن أبي حدثني أن لها كبشاً به تستحل حرمتها فما أحب أن أكون ذلك الكبش والله لئن قتلت خارجاً من مكة بشبر احب إلي من أن اقتل بداخلها ، ولئن اقتل خارجها بشبرين أحب إلي من أن أقتل بداخلها بشبر

واحد ، فقام ابن الزبير وخرج من عنده فقال الحسين رضي الله عنه لجماعة كانوا عنده من خواصه إن هذا الرجل يعني ابن الزبير ليس في الدنيا شيء أحب إليه من أن أخرج من الحجاز ، وقد علم أن الناس لايعدلون بي ما دمت فيه فيود اني خرجت منه لتخلو له .

فلما كان من الغد فإذا بعبد الله بن عباس (رض) وقد جاء إلى الحسين (عليه السلام) ثانياً ، فقال يا ابن عم إني اتصبر ولا أصبر إني اتخوف عليك من هذا الوجه الهلاك والاستئصال ، إن أهل العراق قوم غدروا فلا تأمنهم وأقم بهذا البيت الشريف فإنك سيد أهل الحجاز وإن كان أهل العراق يريدونك كما زعموا اكتب إليهم ينفوا عاملهم ويخرجوه عنهم ثم تقدم عليهم ، وإن رأيت فسر إلى اليمن فإن فيها حصوناً وشعاباً وهي أرض طويلة عريضة ولأبيك بها شيعة كثيرة وتكون بها منعزلاً فتكتب إلى الناس ويكتبون إليك وتلب دعائك ، فإني أرجو أن يأتيك عند ذلك الفرج الذي تحب في عافية ، فقال الحسين (عليه السلام) يا ابن عم أعلم أنك ناصح مشفق ولكني قد ازمعت وأجمعت على المسير إلى هذا الوجه ، فقال له ابن عباس فإن كنت سائراً ولابد فلا تسر بنسائك وصبيانك قال ولا أتركهم خلفي ، فقال له ابن عباس والله لو أعلم اني إذا أخذت بناصيتك وأخذت بناصيتي حتى يجتمع الناس اطعتني وأقمت لفعلت ، ثم خرج عنه ابن عباس وهو يقول والله لقد قرت عين ابن الزبير بمخرجك من الحجاز . وعند خروج ابن عباس من عند الحسين صدفه ابن الزبير فقال ما وراك يا عم ، قال ما يقر عينك هذا الحسين يخرج إلى العراق ويخليك والحجاز ثم ولى عنه وهو ينشد :

يا لك من قبرة بمعمري	خلا لك الجو فبيضي واصفري
ونقري إن شئت أن تنقري	هذا الحسين خارج فاستبشري

ثم أنه وردت على الحسين (عليه السلام) كتب من أهل المدينة ، من عند عبدالله بن جعفر على يدي ابنيه عون ومحمد ومن سعيد بن العاص ومعه جماعة من أعيان المدينة وكل منهم يشير عليه أن لا يتوجه نحو العراق ولا يأتيه ولا يقربه فليس له فيه مصلحة وأن يقيم بمكة . هذا كله والقضاء غالب على

أمره ، فلم يكترث بما قيل له ولم يلتفت إلى ما كتب إليه ليقضي الله أمراً كان مفعولاً . فخرج من مكة يوم الثلاثاء وهو يوم التروية الثامن من ذي الحجة الحرام سنة ستين ومعه اثنان وثمانون رجلاً من أهل بيته وشيعته ومواليه ، ولم يزل سائراً حتى كان بالسفاح فلقيه الفرزدق الشاعر رحمه الله فنزل فسلم على الحسين (عليه السلام) وقال له اعطاك الله سؤلك وبلغك مأمولك في جميع ما تحب ، فقال له الحسين (عليه السلام) من أين أقبلت يا أبا فراس فقال من الكوفة ، فقال له بين خبر الناس قال أجل على الخبير سقطت يا ابن رسول الله قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أمية ، والقضاء ينزل من السماء والله يفعل ما يشاء وربنا كل يوم هو في شأن ، فقال صدقت الأمر لله يفعل ما يشاء وهو سبحانه كل يوم في شأن ، إن ينزل القضاء بما نحب فنحمد الله على نعمائه وهو المستعان على أداء الشكر وإن حال القضاء دون الرجاء فلم يبعد من كان الحق نيته والتقوى سريرته ، ثم فارقه الحسين (عليه السلام) وسار حتى انتهى إلى ماء قريب من الحاجز فإذا هو بعبدالله بن مطيع نازل على الماء فتلاقيا وإياه فتسالما واعتنقا ، وقال له ما جاء بك يا ابن رسول الله قال قاصداً الكوفة فقال له الم اتقدم اليك بالقول ألم أنهك عن المسير إلى هذا الوجه يا ابن رسول الله ، أذكر الله تعالى في حرمة الإسلام أن تنتهك ، انشدك الله تعالى في حرمة قريش وذمة العرب والله لئن طلبت ما في أيدي بني أمية ليقتلوك ، ولئن قتلوك لا يهابوا بعدك أحداً أبداً ، والله إنها لحرمة الإسلام وحرمة قريش وحرمة العرب فالله الله لا تفعل ولا تأت الكوفة ولا تعرض نفسك لبني أمية ، فأبى أن يمضي إلا في جهته . ثم ارتحل من هذا الماء وسار إلى أن أتى الثعلبية فلما نزل بها أتاه خبر قتل ابن عمه مسلم عقيل بالكوفة ، فقال له بعض أصحابه ننشدك الله تعالى إلا رجعت من مكانك فإنه ليس لك بالكوفة من ناصر وإنا نتخوف أن يكونوا عليك لا لك ، فوثب بنو عقيل وقالوا والله لا نرجع حتى ندرك ثأرنا ونذوق ما ذاق مسلم ، ثم قال لهم الحسين (عليه السلام) لا خير لي بالحياة بعدكم ، ثم ارتحلوا حتى أتوا زبالة وكان الحسين لا يمر بماء من مياه العرب ولا يجيء من أحيائها إلا تبعه أهله وصحبوه ، فلما صار بزبالة أتاه خبر قتل أخيه من الرضاع عبدالله بن يقطر وكان أرسله من

الطريق إلى مسلم بن عقيل يتقدم إليه ويأتيه بخبره من الكوفة ، فأخذته خيل ابن زياد من القادسية وأخذوا كتبه وقتلوه ، فلما بلغ الحسين (عليه السلام) ذلك قال قد خذلتنا شيعتنا. ثم قال أيها الناس من أحب أن ينصرف وليس عليه منا ذمام ولا ملام فتفرق الأعراب عنه يميناً وشمالاً ، حتى بقي في أصحابه لا غير الذين خرج بهم من مكة ، وإنما فعل ذلك لأنه علم من الأعراب أنهم ظنوا أنه يأتي بلداً قد استقامت له وأطاعه أهلها فتسلمها عفواً صفواً من غير حرب ولا قتال ، فأراد أن يعرفهم على ما يقدمون عليه ، ثم أنه سار حتى نزل بطن العقبة فأتاه رجل من مشايخ العرب فقال انشدك الله تعالى إلا ما انصرفت ما تقدم إلا على الأسنة وحد السيوف ، وإن هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفوك مؤونة القتال ووطأوا لك الأمور فقدمت على غير حرب كان ذلك رأياً ، وأما على هذه الحال التي ترى فلا أرى لك ذلك أن تفعل ، فقال له لا يخفى علي شيء مما ذكرت ولكني صابر ومحتسب إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً ثم ارتحل رضي الله عنه سائراً نحو الكوفة والله المستعان .

في ذكر مصرعه ومدة عمره وإمامته (عليه السلام):

قال الشيخ كمال الدين بن طلحة: مصرع الحسين (عليه السلام) يسكب المدامع من الأجفان ، ويجلب الفجايع ويثير الأحزان ، ويلهب النيران الموجدة في أكباد ذوي الإيمان ، كيف لا وهم رجال الذرية النبوية بنجيعها مخضوبة وأبدانها على التراب مسلوبة ومخدرات حرايرها سبايا منهوبة ، وذلك أن الحسين (عليه السلام) سار حتى صار على مرحلتين من الكوفة فوافاه إنسان يقال له الحر بن يزيد الرياحي ومعه ألف فارس من أصحاب ابن زياد شاكين في السلاح ، فقال للحسين (عليه السلام) إن الأمير عبيدالله بن زياد أخرجني عيناً عليك ، وقال لي إن ظفرت به لا تفارقه أو تجئني به ، وأنا والله كاره أن يبتليني الله بشيء من أمرك غير اني قد أخذت بيعة القوم ، فقال له الحسين (عليه السلام) إني لم أقدم هذا البلد حتى أتتني كتب أهله وقدمت علي رسلهم فطلبوني وأنتم من أهل الكوفة فإن دمتم على بيعتكم وقولكم في

كتبكم دخلت مصركم وإلا انصرفت من حيث أتيت ، فقال له الحر والله لم أعلم بشيء من هذه ولا بالرسل وأنا فما يمكنني الرجوع إلى الكوفة في وقتي هذا ، وأما أنت فخذ طريقاً غير هذا واذهب إلى حيث شئت لأكتب إلى ابن زياد أن الحسين خالفني الطريق فلم أظفر به ، وأنشدك الله في نفسك ومن معك فسلك الحسين (عليه السلام) طريقاً آخر غير الجادة راجعاً إلى الحجاز وسار هو وأصحابه طول ليلتهم ، فلما أصبحوا فإذا بالحر بن يزيد قد طلع عليهم في جيشه فقال له الحسين (عليه السلام) ما جاء بك يا ابن يزيد ، قال وافاني كتاب ابن زياد يؤنبني في أمرك تأنيباً كبيراً ومعي من هو عين من جهته ، وقد سعى بي إليه ولا سبيل إلى مفارقتك ، فرحل الحسين (عليه السلام) وأهله ونزلوا بكربلا وذلك يوم الأربعاء الثامن من المحرم سنة إحدى وستين ، فقال (عليه السلام) هذه كربلا ، موضع كرب وبلا ، هذه مناخ ركابنا ومحط رحالنا ومقتل رجالنا ، وكتب الحر إلى ابن زياد يعلمه بنزول الحسين (عليه السلام) بأرض كربلا فانظر ما ترى في أمره فكتب عبيدالله بن زياد كتاباً إلى الحسين (عليه السلام) يقول فيه أما بعد إن يزيد بن معاوية كتب إلي أن لا تغمض جفنك من المنام ولا تشبع بطنك من الطعام أو يرجع الحسين على حكمي أو تقتله والسلام ، فلما ورد الكتاب على الحسين (عليه السلام) وقرأه القاه من يده وقال للرسول ماله عندي جواب ، فلما رجع الرسول إلى ابن زياد وأخبره بذلك اشتد غيظه وجمع الجموع وجند الجنود وجهز إليه العساكر وجعل على مقدمها عمر بن سعد وكان قد ولاه الري وأعمالها ، فاستعفى من الخروج إلى قتال الحسين (عليه السلام) وقد تقدمته العساكر فقال له ابن زياد إما أن تخرج إليه أو اخرج عن عملنا من الري ، فخرج عمر إلى الحسين وصار ابن زياد يمده بالجيوش شيئاً بعد شيء ، إلى أن اجتمع عند عمر بن سعد عشرون ألف مقاتل ما بين فارس وراجل ، وأول من خرج مع عمر بن سعد الشمر بن ذي الجوشن في أربعة الآف فارس ، ثم زحفت خيل ابن سعد حتى نزلت بشاطيء الفرات وحالوا بين الحسين وأصحابه وبين الماء ، فعند ذلك ضاق الأمر على الحسين (عليه السلام) وعلى أصحابه واشتد بهم العطش،وكان مع الحسين (عليه السلام) شخص

من أهل الزهد والورع يقال له يزيد بن الحصين الهمداني فقال للحسين (عليه السلام) ائذن لي يا ابن رسول الله في أن آتي مقدم هؤلاء عمر بن سعد فأكلمه في الماء لعله أن يرتدع فاذن له وقال ذلك إليك إذا شئت ، فجاء الهمداني إلى عمر بن سعد فكلمه في الماء فامتنع منه فلم يجبه إلى ذلك ، فقال له هذا ماء الفرات تشرب منه الكلاب والذئاب وغير ذلك وتمنعه الحسين ابن بنت رسول الله (ص) واخوته ونساءه وأهل بيته والعترة الطاهرة يموتون عطشاً، وقد حلت بينهم وبين الماء وأنت تزعم أنك تعرف الله ورسوله فاطرق عمر بن سعد ، ثم قال يا أخا همدان إني لأعلم حقيقة ما تقول وأنشد يقول :

دعاني عبيدالله من دون قومه إلى خصلة فيها خرجت لحيني
فوالله ما أدري وإني لواقف على خطر لا أرتضيه ومين
أآخذ ملك الري والري رغبتي وأرجع مطلوباً بدم حسين
وفي قتله النار التي ليس دونها حجاب وملك الري قرة عين

ثم قال يا أخاً همدان ما تجيبني نفسي إلى ترك الري لغيري ، فرجع يزيد بن الحصين الهمداني إلى الحسين (عليه السلام) وأخبره بمقالة ابن سعد ، فلما عرف الحسين ذلك منهم تيقن أن القوم مقاتلوه ، فأمر أصحابه فاحتفروا حفيرة شبيهة بالخندق وجعلوا له جهة واحدة يكون القتال منها ، واهدفوا عسكر ابن سعد بالحسين (عليه السلام) وأصحابه وصفوا لهم وارشقوهم بالسهام والنبال واشتد عليهم القتال ، ولم يزالوا يقتلوا من أهل الحسين (عليه السلام) واحداً بعد واحد حتى أتوا على ما ينيف على خمسين منهم فعند ذلك صاح الحسين (عليه السلام) أما من ذاب يذب عن حريم رسول الله (ص)، وإذا بالحر بن يزيد الرياحي الذي تقدم ذكره الذي كان خرج إلى الحسين أولاً من جهة ابن زياد قد خرج من عسكر عمر بن سعد راكباً على فرسه وقال يا ابن رسول الله أنا كنت أول من خرج عليك عيناً ، ولم أظن ان الأمر يصل إلى هذه الحال وأنا الآن من حزبك وأنصارك أقاتل بين يديك حتى أقتل أرجو بذلك شفاعة جدك ثم قاتل بين يديه حتى قتل ، فلما فني أصحاب الحسين (عليه السلام) وقتلوا جميعهم عن آخرهم اخوته وبنو

عمه وبقي وحده بمفرده حمل عليهم حملة منكرة قتل فيها كثيراً من الرجال والأبطال ، ورجع سالماً إلى موقفه عند الحريم ثم حمل عليهم حملة أخرى وأراد المكر راجعاً إلى موقفه ، فحال الشمر بن ذي الجوشن لعنه الله بينه وبين الحريم والمرجع إليهم في جماعة من أبطالهم وشجعانهم وأحدقوا به ثم جماعة منهم تبادروا إلى الحريم والأطفال يريدون سلبهم ، فصاح الحسين (عليه السلام) ويحكم يا شيعة الشيطان كفوا سفهاءكم عن التعرض للنساء والأطفال فإنهم لم يقاتلوا ، فقال الشمر لعنه الله كفوا عنهم واقصدوا الرجل بنفسه ، فلم يزل يقتتل هو وهم إلى أن أكثروه واثخنوه جروحاً ، فسقط إلى الأرض من على فرسه فنزلوا وجزوا رأسه ، وقيل الذي قتله سنان بن أنس النخعي لعنه الله تعالى ، وقيل الشمر بن ذي الجوشن ، وأرسل عمر بن سعد خذله الله بالرأس إلى ابن زياد مع سنان بن أنس النخعي قاتل الحسين (عليه السلام) فلما وضع الرأس بين يدي عبيد الله بن زياد انشد يقول :

املأ ركابي فضة وذهبا ... إني قتلت السيد المحجبا
قتلت خير الناس أماً وأباً ... وخيرهم إذ يذكرون النسبا

فغضب عبيد الله بن زياد لعنه الله من قوله ، قال له إذا علمت ذلك فلم قتلته والله لا نلت مني خيراً ولألحقنك به ثم قدمه وضرب عنقه، ثم أن القوم ساقوا الحريم والأطفال كما تساق الأسارى حتى أتوا الكوفة ، فخرج الناس فجعلوا ينظرون إليهم ويبكون وكان علي بن الحسين زين العابدين رضي الله عنه معهم قد أنهك جسمه المرض ، فجعل يقول إن هؤلاء يبكون من أجلنا فمن قتلنا ، فلما دخلوا على عبيد الله بن زياد أرسل بهم ابن زياد وبرأس الحسين (عليه السلام) صحبتهم إلى الشام إلى يزيد بن معاوية مع شخص يقال له زجر بن القيس ، ومعه جماعة هو مقدمهم وأرسل بالنساء والصبيان على قتاب المطايا ومعهم علي بن الحسين (عليه السلام) ، وقد جعل ابن زياد الغل في يديه وفي عنقه ولم يزالوا سائرين بهم على تلك الحالة إلى أن وصلوا الشام ، فتقدم زجر بن قيس فدخل على يزيد فقال له هات ما وراءك فقال أبشر يا أمير المؤمنين بفتح الله ونصره ورد علينا الحسين في ثمانية عشر

من أهل بيته وستين من شيعتـه ، فسرنـا إليهم وسألنـاهم أن ينزلـوا على حكم الأميـر عبيدالله بن زيـاد أو القتال فاختاروا القتال ، فغـدونا عليهم مـع شروق الشمس فاحطنا بهم من كل ناحية حتى أخذت السيوف مأخذها من هام القـوم وجعلوا يهـربون إلى غيـر وزر ويلوذون بالآكـام والحفـر كمـا يلوذ الحمـام من عقاب أو صفر ، فوالله ما كـان الا جزر جـزور أو نومـة قائـل ، حتى اتينا على آخرهم فهاتيك أجسادهم مجردة وثيابهم بدمائهم مضرجة وخدودهم في التراب معفـرة ، تصهرهـم الشمس وتسفي عليهم الـريح وزارهـم العقبـان والـرخم في سبسب من الأرض ، قـال فدمعت عينـا يزيـد وقـال كنت ارضى من طـاعتكم بدون قتل الحسين ، لعن الله ابن سمية إنا لله لو كنت صاحبه لعفوت عنه رحم الله الحسين . وأخـرجـه من عنـــده ولم يصله بشيء ثم أنهم دخلوا بـالـــرأس ووضعوه بين يدي يزيد وكان بيده قضيب فجعـل ينكت في ثغره ثم قـال ما أنـا وهذا إلا كما قال الحصين :

أبى قـومنـا أن ينصفـونـا فـانصفت　　قـواضب في أيمـاننـا تقـطر الـدمـا
يـفلقـن هـــامـــاً مـن رجـــال اعـــزة　　علينـا وهم كـــانــوا اعق واظـلمـا

فقال له أبو بردة السلمي وكان حاضـراً اتنكت بقضيبك ثغـرالحسين ، أما إنه لقد رأيت رسول الله (ص) يرشفه لقد رضيت يـا يزيـد أن يجيء عبيد الله ابن زياد شفيعك يوم القيامة ، ويجيء هذا ومحمد (ص) شفيعه ، ثم قام من المجلس فقال يزيد والله لو أني صاحبه مـا قتلته ، ثم قـال أما تـدرون من أين أتى هذا أما إنه يقول أبي خير من أبيه وأمي فـاطمة خيـر من أمه وجـده رسول الله خير من جده وأنا خير من يزيد وأحق بالأمر منـه ، فأمـا قولـه أبوه خيـر من أبي فقد تحاج أبوه وأبي إلى الله تعالى وعلم الناس أيهما حكم له ، وأما قـوله أمي خير من أمه فلعمري فاطمة بنت رسول الله خير من أمي ، وأما قوله جدي رسول الله خير من جده فلعمري ما أحد يؤمن بـالله واليوم الآخـر يرى لـرسول الله فينا عديلاً ولا نداً ، وأتى هذا من فقه ولم يقرأ تعالى : **﴿ قل اللهم مالـك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشـاء وتذل من**

تشاء ﴾[1]، ثم أنه ادخل نساء الحسين والرأس بين يديه فجعلت فاطمة وسكينة تتطاولان لتنظرا إلى الرأس ، وجعل يزيد يستره عنهما فلما رأينه صرخن وأعلن بالبكاء فبكت لبكائهن نساء يزيد وبنات معاوية فولولن وأعلن ، فقالت فاطمة وكانت أكبر من سكينة رضي الله عنهما : بنات رسول الله سبايا يا يزيد يسرك هذا ، فقال والله ما سرني وأني لهذا لكاره وما أنا عليكن أعظم مما أخذ منكن ، قال ادخلوهن إلى الحريم فلما دخلن على حرمه لم تبق امرأة من آل يزيد إلا أتتهن وأظهرن التوجع والحزن على ما أصابهن ، وعلى ما نزل بهن وأضعفن لهن جميع ما أخذ منهن من الحلي والثياب بزيادة كثيرة فكانت سكينة تقول ما رأيت كافراً بالله خير من يزيد .

ثم أمر بعلي بن الحسين (عليه السلام) فأدخل عليه مغلولاً ، فقال علي يا يزيد لو رآنا رسول الله (ص) مغلولين لفكه عنا ، قال صدقت وأمر بفكه عنه ، فقال ولو رآنا رسول الله (ص) على بعد لأحب أن يقربنا ، فأمر به فقرب منه ، ثم قال له يزيد إيه يا علي بن الحسين أبوك الذي قطع رحمي وجهل حقي ونازعني سلطاني فنزل به ما رأيت فقال علي (عليه السلام) : **﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في انفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير ، لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم الله والله لا يحب كل مختال فخور ﴾**[2] فقال يزيد : **﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ﴾**[3] فقال علي (عليه السلام) هذا في حق من ظلم لا في من ظُلم . ثم أن يزيد امر بإنزال علي بن الحسين (عليه السلام) وإنزال حرمه في دار تخصهم بمفردهم وأجرى عليهم كل ما يحتاجون إليه ، وكان لا يتغدى ولا يتعشى حتى يحضر علي بن الحسين (عليه السلام)، فدعاه ذات يوم ومعه عمر بن الحسين وهو صبي صغير فقال يزيد لعمر تقاتل خالداً يعني خالد بن يزيد ، وكان في سنه فقال أعطني سكيناً واعطه سكيناً حتى

---

(١) سورة آل عمران الآية ٢٦ .

(٢)(٣) سورة الحديد الآية ٢٢ وسورة الشورى الآية ٣٠.

أقاتله فضمه يزيد إليه وقال شنشنة أعرفها من أخزم وهل تلد الحية إلا حية .

ثم أن يزيد بعد ذلك أمر النعمان بن بشير ، أن يجهزهم بما يصلحهم إلى المدينة الشريفة ، وسير معهم رجلاً أميناً من أهل الشام في خيل سيرها في صحبتهم وودع يزيد علي بن الحسين ، وقال له لعن الله ابن مرجانة لو كنت حاضراً الحسين ما سألني خصلة إلا كنت أعطيه إياها ، ولدفعت عنه الحتف بكل ما استطعت ولكن قضاء الله غالب يا علي كاتبني بأي حاجة كانت لك أقضيها إن شاء الله تعالى وأوصى بهم الرسول الذي سيره صحبهم وكان يسايرهم هو وخيله التي معه ، فيكون الحريم قدام بحيث أنهم لا يفوتونه وإذا نزلوا تنحى عنهم ناحية هو وأصحابه وكان حولهم كهيئة الحرس وكان يسألهم عن حالهم ويتلطف بهم في جميع أمورهم ولا يشق عليهم في مسيرهم ، إلى أن دخلوا المدينة فقالت فاطمة بنت الحسين لاختها قد أحسن هذا الرجل إلينا فهل لك أن تصليه بشيء فقالت والله ما معنا شيء نصله به إلا ما كان من هذا الحلي ، قالت فافعلي ، فأخرجت له سوارين ودملجين وبعثنا بهما إليه فردهما وقال لو كان ما صنعت رغبة لكان في هذا مقتنع بزيادة كثيرة ، ولكني ما فعلته إلا لله تعالى ولقرابتكم من رسول الله (ص) ، وكان من جملة من كان معهم أم سكينة بنت الحسين (عليه السلام) وهي الرباب بنت امرىء القيس ، فلما وصلت إلى المدينة وأقامت قليلاً وخطبها الأشراف من قريش فقالت ما كنت لآخذ حمواً بعد رسول الله (ص) ، وبقيت بعده سنة لم يظللها سقف إلى أن ماتت رضي الله عنها ، ولما بلغ أهل المدينة قتل الحسين (عليه السلام) خرجت ابنة عقيل بن أبي طالب في نساء من بني هاشم خرجن معها وهي حاسرة تلوي ثوبها وتقول :

ماذا تقولون إن قال النبي لكم	ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
بعترتي وحريمي بعد مفتقدي	منهم أسارى وقتلى ضرجوا بدم
ما كان هذا جزائي أو نصحت لكم	أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي

وحكى الشيخ نصر الله بن محلى مشارف الصاغة وكان من الثقاة

الحبرين ، قال رأيت علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقلت يا أمير المؤمنين تقولون يوم فتح مكة من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ثم يتم ولدك الحسين يوم كربلا منهم مأتم، فقال لي (عليه السلام) أما سمعت أبيات ابن الصيفي التميمي في هذا المعنى ، فقلت لا فقال اذهب إليه واسمعها فاستيقظت من نومي مفكراً ثم إني ذهبت إلى دار ابن الصيفي وهو الحيص بيص الشاعر الملقب بشهاب الدين فطرقت عليه الباب ، فخرج علي فقصصت عليه الرؤيا فأجهش بالبكاء وحلف بالله إن كان سمعها مني أحد وإن أكن نظمتها إلا في ليلتي هذه ثم أنشد :

ملكنا فكان العفو منا سجية ... فلما ملكتم سال بالدم ابطح
وحللتم قتل الأسارى وطالما ... غدونا على الأسرى نعف ونصفح
وحسبكم هذا التفاوت بيننا ... وكل إناء بالذي فيه ينضح

ومكث الناس بعد قتل الحسين (عليه السلام) شهرين أو ثلاثة كأنما الطخ الحائط بالدماء ساعة ما تطلع الشمس .

أصحاب الحسين عليه السلام :

أما الحسين (عليه السلام) فقتله سنان بن أنس النخعي ، وقتل معه العباس بن علي (عليه السلام)، وأم العباس أم البنين بنت حازم ، قتله زيد بن رقاد الجهني وقتل جعفر بن علي (عليه السلام) وأمه أم البنين أيضاً رماه خولي بن يزيد بسهم فقتله ، وقتل محمد بن علي (عليه السلام) وأمه أم ولد قتله رجل من بني دارم ، وقتل أبو بكر بن علي (عليه السلام) ، وأمه ليلى بنت مسعود الدارمية وقتل علي بن الحسين الأكبر وأمه ليلى بنت مرة بن عروة الثقفي ، وأمهما ميمونة بنت سفيان بن حرب قتله منقذ بن النعمان العبدي وقتل عبدالله بن الحسين بن علي وأمه الرباب بنت امرىء القيس الكلبي قتله هاني بن شبيب الخضرمي ، وقتل أبو بكر بن الحسين (عليه السلام) وأمه أم ولد قتله حرملة بن الكاهل رماه بسهم ، وقتل عون بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب ، وأمه جمانة بنت المسيب قتله عبدالله بن قطنة الطائي ،

وقتل محمد بن عبدالله بن جعفر أخوه وأمه الخرصاء بنت حفصة من تيم الله ابن تغلبة قتله عامر بن هشل التيمي وقتل جعفر بن عقيل بن أبي طالب وأمه أم البنين قتله بشر بن خوط الهمداني ، وقتل عبد الرحمن بن عقيل وأمه أم ولد قتله عثمان بن خالد الجهني ، وقتل عبدالله بن عقيل وأمه أم ولد رماه عمر بن صبيح الصدامي بسهم فقتله ، وقتل مسلم بن عقيل بالكوفة وأمه أم ولد ، وقتل عبدالله بن مسلم بن عقيل وأمه رقية بنت علي بن أبي طالب (عليه السلام) قتله عمر بن صبيح الصدامي ، وقتل محمد بن أبي سعيد بن عقيل وأمه أم ولد قتله لقيت بن ياسر الجهني ، واستصغر الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) فترك وأمه أم ولد خولة بنت منظور بن ريان ، وقيل استصغر عمر بن الحسن فترك وأمه أم ولد ، وأراد الشمر لعنه الله قتل علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) وكانت العلة قد انهكته والأوجاع فقالوا له اتقتل صغيراً معللاً فتركه ، وقتل من الموالي سليمان مولى الحسين (عليه السلام) قتله ابن عوف الخضرمي ، وقتل عبدالله بن يقطر بالقادسية ، وقتل عبدالله رضيع الحسين (عليه السلام) وكانت عدة رؤوس القتلى التي حملت إلى عبيد الله بن زياد لعنه الله مع صحبة رأس الحسين (عليه السلام) سبعين رأساً ، وذلك أن كندة جاءت بثلاثة عشر رأساً مع مقدمهم قيس بن الأشعث ، وجاءت هوازن بعشرين رأساً ، وجاءت اخلاط من العسكر بستة رؤوس ، وكان اليوم الذي قتل في الحسين (عليه السلام) يوم الجمعة عاشر محرم سنة إحدى وستين من الهجرة ودفن بالطف بأرض كربلا من العراق ومشهده بها رضي الله عنه معروف يزار من جميع الآفاق والجهات وهذه الوقائع شيئاً منها ذكره ابن اعثم صاحب كتاب الفتوح ، وشيئاً ذكره ابن الأثير وشيئاً ذكره صاحب تاريخ البديع وشيئاً من المعارف لابن قتيبة ، ذكرته مختصراً من كلامهم والعهدة في جميع ما نقلته من ذلك عليهم .

انتقل الحسين بن علي بالوفاة إلى دار الآخرة وعمره ست وخمسون سنة وبعض أشهر كان مع جده رسول الله (ص) من ذلك ست سنين وشهر ومع أبيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) بعد وفاة رسول الله

(ص) ثلاثين سنة ومع أخيه الحسن بعد وفاة أبيه عشر سنين وبعـد وفاة أخيـه إلى مقتله عشر سنين رضي الله عنهم أجمعين .

في ذكر أولاده الكرام عليه وعليهم السلام:

قـال الشيخ كمـال الدين بن طلحـة كان للحسين (عليـه السـلام) من الأولاد ذكوراً وإناثاً عشرة ستة ذكور وأربـع إناث ، فـالذكـور علي الأكبر وعلي الأوسط وهـو زين العابـدين وعلي الأصغر ، ومحمـد وعبدالله وجعفـر ، فأمـا علي الأكبر فإنه قاتل بين يدي أبيه حتى قتل شهيـداً بالـطف وأما علي الأصغـر فجاءه سهم وهو بكربلا فقتله ، وقيـل أن عبدالله قتـل مع أبيـه شهيداً وجعفـر مات في حياة أبيه (عليه السلام) ، وأما البنات فزينب وسكينة وفاطمة هذا هو القول المشهور .

وقال صاحب الإرشـاد[1] أولاد الحسين بن علي (عليه السـلام) ستة : علي بن الحسين الأصغر كنيته أبو محمد ولقبه زين العابدين أمه شاه زنان بنت كسرى أنو شروان ملك الفرس ، وعلي بن الحسين الأكبر قتل مع أبيه بـالطف وأمـه ليلى بنت أبي مـرة بن عـروة بن مسعـود الحنفيـيـة الـثقفيـة وجعفـر بن الحسين وأمه قضاعية مات في حيـاة أبيه ولا نسـل له ، وعبـدالله بن الحسين قتل مع أبيه صغيراً جاءه سهم وهو بكربلا فقتله(*) ، وسكينة بنت الحسين أمها ربـاب بنت امرىء القيس بن عدي كلبية، وهي أيضـاً أم عبدالله بن الحسين ، وفاطمة بنت الحسين أمها أم إسحق بنت طلحة بن عبيدالله تيمية انتهى .

والــذكـر المخلد والثنــاء المنضـد مخصـــوص من بين بنيـه بعلي زين العابدين دون سائرهم وهو الذي اعقب (عليه السلام) .

---

(١) ارشاد المفيد ٢٥٣ .

(*) قال في الإرشاد « جاء سهم وهو في حجر أبيه فذبحه » .

الفصل الرابع

في ذكر علي بن الحسين زين العابدين وهو الإمام الرابع (عليه السلام)

من الكرامات الظاهرة ما شوهد بالأعين الناظرة وثبت بالآثار المتواترة ، ولد علي بن الحسين (عليه السلام) بالمدينة نهار الخميس الخامس من شعبان المكرم في سنة ثمان وثلاثين من الهجرة في أيام جده علي بن أبي طالب (عليه السلام) قبل وفاته بسنتين .

نسبه (عليه السلام):

هو علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وقد تقدم بسط ذلك .

كنيته (عليه السلام):

المشهورة أبو الحسن ، وقيل أبو محمد وقيل أبو بكر ، وأما لقبه (عليه السلام) فله القاب كثيرة كلها تطلق عليه أشهرها زين العابدين (عليه السلام) وسيد الساجدين (عليه السلام) والزكي والأمين وذو الثفنات وصفته (عليه السلام) أسمر قصير رقيق ، شاعره الفرزدق وكثير عزة ، بوابه (عليه السلام) أبو جيله نقش خاتمه (عليه السلام) وما توفيقي إلا بالله ، ومعاصره مروان وعبد الملك والوليد ابنه .

مناقبه (عليه السلام) :

أما مناقبه (عليه السلام) فكثيرة ومزاياه شهيرة منها أنه كان إذا توضأ للصلاة يصفر لونه فقيل له ما هذا نراه يعتادك عند الوضوء ، فيقول ما تدرون بين يدي من أريد أن أقوم . وعن أبي حمزة الثمالي قال كان علي بن الحسين (عليه السلام) يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة . وعن طاووس قال دخلت الحجر في الليل فإذا علي بن الحسين عليهما السلام قد دخل يصلي ما شاء الله تعالى ثم سجد سجدة فأطال فيها فقلت رجل صالح من بيت النبوة لأصغين إليه فسمعته يقول ، عبدك بفنائك مسكينك بفنائك سائلك بفنائك فقيرك بفنائك ، قال طاووس فوالله ما صليت ودعوت فيهن في كرب إلا فرج عني ومنها ما نقله سفيان قال جاء رجل إلى علي بن الحسين عليهما السلام فقال له ان فلاناً قد وقع فيك بحضوري فقال له انطلق بنا إليه ، فانطلق معه الرجل وهو يرى أنه يستنصر لنفسه فلما أتاه قال له يا هذا إن كان ما قلت فيّ حقا فأنا أسأل الله تعالى أن يغفره لي وإن كان ما قلت في باطلاً فإن الله تعالى يغفره لك ثم ولى عنه .

بعض كلامه :

ومن كلامه عليه السلام : ضل من ليس له حكيم يرشده ، وذل من له سفيه يعضده . وقال (عليه السلام) أربع لهن ذل البنت ولو مريم ، والدين ولو درهم ، والغربة ولو ليلة ، والسؤال ولو كيف الطريق . وقال (عليه السلام) عجبت لمن يحتمي من الطعام لمضرته كيف لا يحتمي من الذنب لمعرته وقال (عليه السلام) إياك وابتهاج بالذنب ، فإن الابتهاج به أعظم من ركوبه . وقال (عليه السلام) من ضحك مج من عقله مجة علم . وقال (عليه السلام) ان الجسد إذا لم يمرض آشر[1] ولا خير في جسد يأشر. وقال (عليه السلام) فقد الأحبة غربة . وقال (عليه السلام) من قنع بما قسم الله له فهو من أغنى الناس . وعنه (عليه السلام) يرفعه إلى النبي (ص) قال انتظار الفرج عبادة ومن رضي بالقليل من الرزق رضي الله منه القليل من

العمل . وكان عليه السلام يتصدق سراً ويقول صدقة السر تطفىء غضب الرب . وقال ابن عائشة سمعت أهل المدينة يقولون ما فقدنا صدقة السر حتى مات علي بن الحسين عليه السلام . وقال محمد بن اسحق كان أناس من أهل المدينة يعيشون ولا يدرون من أين معاشهم ومأكلهم ، فلما مات علي بن الحسين (عليه السلام) فقدوا ما كانوا يؤتون به ليلاً إلى منازلهم ، وقال سفيان أراد علي بن،درهم فلحقوه بها بظهر الحرة فلما نزل فرقها على المساكين . وعن إبراهيم بن علي عن أبيه قال حججت مع علي بن الحسين فتلكأت ناقته ، فأشار إليها بالقضيب ثم رد يده وقال آه من القصاص ، وتلكأت ناقته عليه مرة أخرى بين جبال رضوى فأناخها وأراها القضيب وقال لتنطلقن أو لأفعلن ، ثم ركبها فانطلقت ولم تتلكأ بعدها ابداً . وجلس إلى سعيد بن المسيب فتى من قريش ، فطلع علي بن الحسين (عليه السلام) فقال القرشي لابن المسيب من هذا يا أبا محمد ، فقال هذا سيد العابدين علي بن الحسين. فكان الزهري يقول لم أر هاشمياً أفضل من علي بن الحسين عليهما السلام . وقال أبو حمزة الثمالي اتيت باب علي بن الحسين عليهما السلام فكرهت أن أنادي ، فقعدت على الباب إلى أن خرج فسلمت عليه ودعوت له ، فرد علي ثم انتهى بي إلى حائط ، فقال يا أبا حمزة ألا ترى هذا الحائط فقلت بلى يا سيدي قال فإني متكيء عليه يوماً وأنا حزين مفكر إذ دخل علي رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الرائحة ، فنظر في تجاه وجهي ثم قال لي ، يا علي بن الحسين مالي أراك كئيباً حزيناً على الدنيا فهو رزق حاضر يأكل منه البر والفاجر ، فقلت ما عليها أحزن وأنها كما تقول ، فقال على الآخرة فهي وعد صادق يحكم فيه ملك قاهر ، فقلت ما على هذا أحزن وأنها كما تقول ، قال فعلام حزنك ، قلت الخوف من فتنة ابن الزبير ، قال فضحك ثم قال يا علي هل رأيت أحداً سأل الله تعالى فلم يعطه ، قلت لا ، ثم نظرت فإذا ليس قدامي أحد ، فعجبت من ذلك ، فإذا قائل اسمع صوته ولا أرى شخصه يقول يا علي بن الحسين هذا الخضر ناجاك .

وعن أبي عبدالله الزاهد قال لما ولي عبد الملك بن مروان الخلافة كتب إلى الحجاج بن يوسف الثقفي : « بسم الله الرحمن الرحيم من عبد

الملك بن مروان أمير المؤمنين ، إلى الحجاج بن يوسف أما بعد فانظر دماء بني عبد المطلب فاجتنبها، فإني رأيت آل أبي سفيان، لما ولغوا فيها لم يلبثوا إلا قليلاً والسلام » قال وبعث بالكتاب سراً إلى الحجاج ، وقال له أكتم ذلك ، فكوشف بذلك علي بن الحسين عليهما السلام حين الكتابة إلى الحجاج ، وان الله تعالى قد شكر ذلك لعبد الملك فكتب علي بن الحسين من فوره : « بسم الله الرحمن الرحيم إلى عبد الملك بن مروان من علي بن الحسين ، أما بعد فإنك كتبت في يوم كذا من شهر كذا إلى الحجاج سراً في حقنا لبني عبد المطلب بما هو كيت وكيت ، وقد شكر الله لك ذلك » ثم طوى الكتاب وختمه وأرسل به مع غلام له من يومه على ناقة له إلى عبد الملك بن مروان ، وذلك من المدينة الشريفة إلى الشام فلما قدم الغلام على عبد الملك أوصله الكتاب ، فلما نظره وتأمل فيه فوجد تاريخه موافقاً لتاريخ كتابه الذي كتبه إلى الحجاج في اليوم والساعة فعرف صدق علي بن الحسين وصلاحه ودينه ومكاشفته له ، فسر بذلك وبعث له مع غلامه بوقر راحلته دراهم وكسوة فاخرة وسيره إليه من يومه وسأله أن لا يخليه من صالح دعائه .

وقدم على علي بن الحسين (عليه السلام) نفر من أهل العراق ، فقالوا في أبي بكر وعمر وعثمان ما قالوا ، فلما فرغوا من كلامهم قال لهم علي بن الحسين عليهما السلام ألا تخبروني من أنتم : أنتم « المهاجرون الأولون الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون[١] قالوا لا قال فأنتم: «الذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة »[٢] فقالوا لا فقال أما أنتم فقد تبرأتم أن تكونوا من هذين الفريقين ، وأنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله في حقهم : : ﴿ **والذي جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين**

---

(١) إشارة لقوله تعالى : ﴿ للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضوانا . . . ﴾ (سورة الحشر الآية ٨) والآية الثانية (سورة الحشر الآية ٩).

سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ﴾[1] أخرجوا عني فعل الله بكم وصنع .

وعن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين، قال أوصاني أبي وقال يا بني لا تصحب خمسة ولا تحادثهم ولا ترافقهم في طريق، فقلت جعلت فداك من هؤلاء الخمسة ، قال لا تصحبن فاسقاً يبيعك بأكلة فما دونها ، فقلت وما دونها قال يطمع فيها ثم لا ينالها ، قلت ومن الثاني قال البخيل فإنه يقطع بك أحوج ما يكون إليك ، قلت ومن الثالث قال الكذاب فإنه بمنزلة السراب يبعد منك القريب ويقرب إليك البعيد ، قلت ومن الرابع قال الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك ، قلت ومن الخامس قال قاطع الرحم فإني رأيته ملعوناً في ثلاثة مواضع من كتاب الله تعالى .

وعن أبي حمزة الثمالي عن علي بن الحسين عليهما السلام ، قال إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم أهل الفضل فيقوم أناس من الناس فيقال انطلقوا إلى الجنة ، فتتلقاهم الملائكة فيقولون لهم إلى أين فيقولون لهم إلى الجنة قالوا قبل الحساب ، قالوا نعم ، قالوا ومن أنتم ، قالوا نحن أهل الفضل ، قالوا وما كان فضلكم قالوا كنا إذا جهل علينا حلمنا ، وإذا اسيء إلينا غفرنا ، قالوا ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين . ثم ينادي مناد أيضاً ليقم أهل الصبر ، فيقوم أناس من الناس فيقال لهم ادخلوا الجنة ، فتتلقاهم الملائكة فيقولون لهم مثل ذلك ، فيقولون نحن أهل الصبر ، فيقال لهم وما صبركم فيقولون صبَّرنا أنفسنا على طاعة الله وصبرنا أنفسنا عن معصية الله ، فيقولون لهم ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين . ثم ينادي ليقم جيران الله في داره فيقوم أناس من الناس وهم قليل ، فيقال لهم انطلقوا إلى الجنة فتتلقاهم الملائكة فتقول لهم مثل ذلك وبماذا جاورتم الله في داره فيقولون كنا نتحاب في الله ونتزاور في الله ، قالوا ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين .

---

(١) سورة الحشر الآية ١٠ .

وقال أبو سعيد منصور بن الحسن الأبي في كتاب نثر الدر : نظر علي بن الحسين (عليه السلام) سائلاً يسأل وهو يبكي ، فقال لو أن الدنيا كانت في كف هذا ثم سقطت منه لما كان ينبغي له أن يبكي عليها .

وعن محمد بن حوب ، قال أوصى علي بن الحسين (عليه السلام) ولده أبا جعفر محمد فقال يا بني اصبر للنوائب ، ولا تتعرض للحتوف ، ولا تعط نفسك ما ضره عليك أكثر من نفعه عليك .

وقال أبو حمزة الثمالي ، كان علي بن الحسين عليهما السلام يقول لأولاده يا بني إذا أصابتكم مصيبة من مصائب الدنيا ، أو نزل بكم فاقة أو أمر فادح ، فليتوضأ الرجل منكم وضوء للصلاة وليصل أربع ركعات أو ركعتين ، فإذا فرغ من صلاته فليقل ، يا موضع كل شكوى يا سامع كل نجوى يا شافي كل بلوى ويا عالم كل خفية ويا كاشف ما يشاء من بلية ، ويا منجي موسىٰ ويا مصطفي محمد ، ويا متخذاً إبراهيم خليلاً ، ادعوك دعاء من اشتدت فاقته وضعفت قوته وقلت حيلته ، دعاء الغريق الغريب الفقير الذي لا يجد لكشف ما هو فيه إلا أنت ، يا أرحم الراحمين سبحانك إني كنت من الظالمين ، قال علي بن الحسين (عليه السلام) لا يدعو بهذا رجل أصابه بلاء إلا فرج عنه .

ومن دعائه (عليه السلام) : اللهم كما أسأت ، وأحسنت إلي ، فإن عدت فعد عليّ .

ويروى أن علي بن الحسين (عليه السلام) اعتل ، فدخل عليه جماعة من أصحاب رسول الله (ص) يعودونه ، فقالوا كيف أصبحت يا ابن رسول الله فدتك أنفسنا ، قال في عافية والله المحمود على ذلك ، كيف أصبحتم أنتم جميعاً قالوا أصبحنا لك والله يا ابن رسول الله محبين وادين ، فقال من أحبنا لله ادخله الله ظلاً ظليلاً يوم لا ظل إلا ظله ، ومن أحبنا يريد مكانتنا كافاه الله عنا الجنة ، ومن أحبنا لغرض دنياه آتاه الله رزقه من حيث لا يحتسب .

وحكي أنه لما حج هشام بن عبد الملك في حياة أبيه ، دخل إلى الطواف وجهد أن يستلم الحجر الأسود فلم يصل إليه لكثرة زحام الناس عليه ، فنصب له منبر إلى جانب زمزم في الحطيم وجلس عليه وحوله جماعة من أهل الشام ، فبينما هم كذلك ، إذ أقبل علي بن الحسين عليه السلام يريد الطواف فلما انتهى إلى الحجر الأسود تنحى الناس عنه حتى استلم الحجر ، فقال رجل من أهل الشام من هذا الذي قد هابه الناس هذه المهابة فتنحوا عنه يميناً وشمالاً ، فقال هشام لا أعرفه مخافة أن يرغب فيه أهل الشام ، وكان الفرزدق حاضراً فقال للشامي أنا أعرفه ، فقال الشامي من هو يا أبا فراس فقال :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذا التقي النقي الطاهر العلم
إذا رأته قريش قال قائلها ... إلى مكارم هذا ينتهي الكرم
ينمي إلى ذروة العز التي قصرت ... عن نيلها عرب الإسلام والعجم
يكاد يمسكه عرفان راحته ... ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
يغضي حياء ويغضى من مهابته ... فلا يكلم إلا حين يبتسم
في كفه خيزران ريحه عبق ... من كف أروع في عرنينه شمم
ينشق نور الهدى من نور غرته ... كالشمس تنجاب عن اشراقها الظلم
منشقة من رسول الله نبعته ... طابت عناصره والجسم والشيم
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله ... بجده أنبياء الله قد ختموا
الله شرفه قدماً وعظّمه ... جرى بذاك له في لوحه القلم
فليس قولك من هذا بضائره ... العرب تعرف من أنكرت والعجم
كلتا يديه غياث عم نفعهما ... يستوكفان ولا يعدوهما عدم
سهل الخليقة لا تخشى بوادره ... يزينه اثنان حسن الخلق والشيم
حمال انفال أقوام إذا قدحوا ... حلو الشمايل يحلو عنده نعم
لا يخلف الوعد ميمون بطلعته ... رحب الفناء أريب حين يعترم
عم البرية بالإحسان وانقشعت ... عنه الغباوة والاملاق والعدم

من معشــر حبـهم ديـن وبغضـهم كـفـر وقـربهـم منجى ومـعتـصـم
إن عـد أهـل التقي كـانـوا أئمتهم أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم
لا يستـطيـع جـواد بعـد غـايتهم ولا يـدانيـهـم قـوم وإن كـرمـوا
هـم الغيـوث إذا مـا أزمـة أزمت والأسد أسد الشرى والبأس محتـدم
لا ينقص العسـر بسـطاً من أكفهـم سيـان ذلـك إن أثـروا وإن عـدمـوا
مـقـدم بـعـد ذكـر الله ذكـرهـم في كـل بـدو ومختـوم بـه الكلم
يـأبى لهم أن يحـل الـذم ساحتهم خيم كـريم وأيـد بـالنـدى هضم
أي الخـلايق لـيسـت في رقـابـهم إلا ولايـة هـذا أولـه نـعـم
من يعـرف الله يعـرف أولـويـة ذا والـدين من بيت هـذا نـالـه الأمم

قال فلما سمع هشام هذه القصيدة غضب ، ثم أنه أخذ الفرزدق وحبسه ما بين مكة والمدينة ، وبلغ علي بن الحسين امتداحه فبعث بعشرة آلاف درهم فردها وقال والله ما مدحته إلا لله تعالى لا للعطاء ، فقال قد عرف الله له ذلك ولكنا أهل بيت إذا وهبنا شيئاً لا نستعيده فقبلها منه . وقال الفرزدق من قصيدة يهجو هشاماً في حبسه له :

اتحسبني بين المـديـنـة والتي إليهـا قلوب النـاس تهـوي منيبهـا
يـقلب رأسـاً لـم يكـن رأس سيـد وعينـاً لـه حـولاء بـاد عيـوبهـا

تـوفي علي بن الحسين زين العابـدين في الثاني عشر من المحرم سنـة أربع وتسعين من الهجرة وله من العمر سبع وخمسون سنة ، أقام منها مع جده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) سنتين ، ومع عمه أبي محمد الحسن بعد وفاة جده علي (عليه السلام) احدى عشرة سنة ، وكـان بقاؤه بعـد مصرع أبيه ثلاثاً وثلاثين سنة ، يقال أنه مات مسموماً ، وأن الذي سمه الوليـد ابن عبد الملك ، ودفن بالبقيع في القبر الـذي دفن فيه عمـه الحسن في القبة التي فيها العباس بن عبد المطلب .

وقال ابن سعد ، كـان علي بن الحسين (عليه السـلام) مع أبيـه بـطف كربلا وعمره إذ ذاك ثلاث وعشرون سنة ، لكنه كان مـريضاً ملقى على فـراشه وقد انهكته العلة والمرض ، ولما قتل والده قـال الشمر بن ذي الجـوشن اقتلوا

هذا الغلام ، فقال بعض أصحابه تقتل مريضاً لم يقاتل فتركوه . قال ابن عمر هذا هو الصحيح وليس قول من قال بأنه كان صغيراً حينئذٍ لم يقاتل وأنه ترك بسبب ذلك بشيء .

أولاد علي بن الحسين خمسة عشر ولداً ما بين ذكر وأنثى أحد عشر ذكراً وأربع إناث ، وهم محمد المكنى بأبي جعفر الملقب بالباقر أمه أم عبدالله بنت الحسن بن علي أبي طالب (عليه السلام) وزيد وعمر أمهما أم ولد وعبدالله والحسن والحسين وأمهم أم ولد ، والحسين الأصغر وعبد الرحمن وسليمان أمهم أم ولد ، وعلي وكان أصغر ولد علي بن الحسين ، وخديجة وأمها أم ولد ، وفاطمة وعلية وأم كلثوم أمهن أم ولد فهؤلاء أولاده (عليه السلام).

الفصل الخامس

في ذكر أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين الباقر (عليهم السلام)

هو الإمام الخامس ، وتاريخ ولادته ودلائل إمامته ومبلغ عمره ووقت وفاته ومدة إمامته ، وعدد أولاده وشيء من أخباره ، وذكر كنيته ولقبه ، وغير ذلك مما يتصل إليه .

قال بعض أهل العلم محمد بن علي بن الحسين الباقر ، وهو باقر العلم وجامعه وشاهره ، ورافعه ومتفوق دره وراصعه . صفا قلبه وزكا عمله وطهرت نفسه وشرفت اخلاقه وعمرت بطاعة الله تعالى ، ورسخ في مقام التقوى قدمه وميثاقه .

قال صاحب الإرشاد أبو عبدالله محمد بن النعمان[1] كان الباقر محمد بن علي خليفة أبيه من إخوته ووصيه والقائم بالإمامة من بعده وبرز على جماعته بالفضل والعلم والزهد والسؤدد ، وكان أشهرهم ذكراً وأكملهم فضلاً وأعظمهم نبلاً لم يظهر عن أحد من ولد الحسن والحسين عليهم السلام من علم الدين والسنن وعلم القرآن والسير وفنون الأدب ما ظهر من أبي جعفر الباقر (عليه السلام).

وروى عنه معالم الدين بقايا الصحابة ووجوه التابعين ، وسارت بذكر علومه الأخبار ، وأنشدت في مدائحه الأشعار ، فمن ذلك ما قاله مالك بن

(١) إرشاد المفيد ٢٦١ .

اعين الجهني من قصيدة يمدحه (عليه السلام) فيها قال :

إذا طلب الناس القرآن كان القريش عليه عيالا
وإن قام ابن بنت النبي تلقت يداه فروعاً طوالا
نجوم تهلك للمدلجين جبال تورث علماً وجالا

وفيه يقول القرطبي :

يا باقر العلم لأهل التقى وخير من لبى على الأجبل

ولد أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنه بالمدينة في ثالث صفر سنة سبع وخمسين من الهجرة قبل قتل جده الحسين (عليه السلام) بثلاث سنين ، وأما نسبه أبا وأما فأبوه زين العابدين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) وهو هاشمي من هاشميين علوي من علويين ، وأما كنيته فأبو جعفر لا غير وله ثلاثة القاب الباقر والشاكر والهادي أشهرها الباقر ، ولقب بذلك لبقره العلم وهو تفجره وتوسعه .

روى جابر بن عبدالله الأنصاري ، قال قال رسول الله (ص) يا جابر يوشك أن تلتحق بولد لي من ولد الحسين (عليه السلام) اسمه كاسمي يبقر العلم بقراً (أي يفجره تفجيراً) فإذا رأيته فاقرأه عني السلام . قال جابر رضي الله عنه فأخر الله تعالى مدتي حتى رأيت الباقر (عليه السلام) فأقرأته السلام عن جده رسول الله (ص) .

وروى أن محمد بن علي الباقر (عليه السلام) سأل جابر بن عبدالله الأنصاري لما دخل عليه عن عائشة وما جرى بينها وبين علي (عليه السلام) فقال له جابر دخلت عليها يوماً وقلت لها ما تقولين في علي بن أبي طالب فأطرقت رأسها ثم رفعته فقالت:

إذا ما التبر حك على محك تبين غشه من غير شك
وفينا الغش والذهب المصفى على تبيتا شبه المحك

صفة للباقر عليه السلام: أسمر معتدل ، شاعره الكميت والسيد

الحميري ، بوابه جابر الجعفي (رض) ، نقش خاتمه رب لا تذرني فرداً .

ونقل الثعلبي في تفسيره أن الباقر (عليه السلام) نقش على خاتمه هذه الكلمات :

. ظني بالله حسن وبالنبي المؤتمن
وبالوصي ذي المنن وبالحسين والحسن

معاصره الوليد وأولاده يزيد وإبراهيم ، وأما مناقبه فكثيرة عديدة وأوصافه فحميدة جميلة منها ما حكاه مولاه أفلح ، قال حججت مع أبي جعفر محمد بن علي الباقر (عليه السلام) فلما دخل المسجد ونظر البيت بكى ، فقلت بأبي أنت وأمي الناس ينظرون إليك فلو رفعت بصوتك قليلاً فقال ويلك يا أفلح ولم لا أرفع صوتي بالبكاء لعل الله تعالى ينظر إلي برحمة منه فأفوز بها غداً، ثم طاف بالبيت ، وجاء حتى ركع خلف المقام ، فلما فرغ فإذا موضع سجوده مبتل من دموع عينيه . وروى عنه ابنه جعفر قال كان أبي يقوم جوف الليل ، فيقول في تضرعه : أمرتني فلم أأتمر ونهيتني فلم انزجر ، فها أنا عبدك بين يديك مقر لا اعتذر . وروي عنه أنه قال ما من عبادة أفضل من عفة بطن أو فرج ، وما من شيء أحب إلى الله من أن يسأل ، ولا يدفع القضاء إلا الدعاء ، فإن أسرع الخير ثواباً البر وأسرع الشر عقوبة البغي ، كفى بالمرء عيباً أن ينظر من الناس ما يعمى عنه من نفسه ، وأن يأمر الناس ما لا يفعله ، وأن ينهى الناس بما لا يستطيع التحول عنه ، وأن يؤذي جليسه بما لا يعينه . وقال خالد بن الهيثم قال أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين (عليه السلام) ما اغرورقت عين بمائها من خشية الله تعالى إلا حرم الله وجه صاحبها على النار ، فإن سالت على الخدين دموعه لم يرهق وجهه قتر ولا ذلة ، وما من شيء إلا وله جزاء إلا الدمعة ، فإن الله تعالى يكفر بها بحور الخطايا ، ولو أن باكياً بكى في أمة لحرم الله تلك الأمة على النار . وعن جابر الجعفي قال قال لي محمد بن علي بن الحسين (عليه السلام) ، إني لمشتغل القلب ، قلت وما يشغل قلبك ، قال يا جابر إنه من دخل قلبه دين

الله الخالص شغله عما سواه ، يا جابر ما الدنيا وما عسى أن تكـون ، هل هي إلا مركب ركبته ، أو ثوب لبسته ، أو امـرأة أصبتها ، يـا جابـر إن المؤمنين لم يطمئنوا إلى الدنيا لزوالها ، ولم يأمنوا الآخرة لأهوالها ، وإن أهل التقوى أيسر أهل الدنيا مؤونة، وأكثرهم معونة ، وإن نسيت ذكروك ، وإن ذكرت أعانـوك ، قوالين للحق ، قوامين بأمر الله ، فاجعل الدنيا كمنزل نزلت به وارتحلت منه ، أو كمال أصبته في منامك فاستيقظت وليس معـك منه شيء ، واحفظ الله فيمـا استـرعاك من دينـه وحكمته . وقـال (عليه السـلام) الغنى والعز يجـولان في قلب المؤمن فإذا وصلا إلى مكان التوكل استوطنا . وقال عليه السلام مـا دخل قلبامرىءشيء من الكبر إلا نقص من عقله مثل ذلك قل أو كثر . وقال (عليه السـلام) سلاح اللئام قبح الكـلام . وكان يقـول والله لموت عـالم أحب إلى إبليس من مـوت سبعين عـابـد . وقـال سعــد الإسكـافي سمعت أبـا جعفـر محمد بن علي الباقـر عليهما السـلام يقول ، عـالم ينتفع بعلمـه خير من ألف عـابد . وقـال (عليه السـلام) شيعتنـا من أطـاع الله . وعن أبي عبـدالله بن محمد بن المكندر كان يقول، مـا كنت أرى أن مثل علي بن الحسين (عليهمـا السلام) يدع خلفاً يقارنـه في الفضل حتى رأيت ابنـه محمد بن علي عليهمـا السـلام وذلـك اني أردت أن أعـظه فـوعــظني ، فقـال أصحــابـه بــأي شيء وعظك ، قال خـرجت إلى بعض نواحي المـدينة في يـوم من الأيام في سـاعة حارة فلقيت محمد بن علي وكان رجلاً بدينا وهـو متكيء بين غلامين أسـودين له ، فقلت في نفسي شيخ من شيوخ قريش خـرج في هذه السـاعة على هـذه الحالة في طلب الدنيا لاعظنه ، فدنوت منه وسلمت عليه فسلم علي بنهـر وقد تصبب عرقاً ، فقلت أصلحك الله شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعـة على هذه الحالة في طلب الدنيـا ، لو جـاءك الموت وأنت على هـذه الحالـة ، قال فخلى عن الغـلامين والتفت إلي وقـال، لـو جـاءني المــوت وأنـا على هــذه الحالة لجاءني وأنا في طاعة من طاعة الله أكف بها نفسي عنك وعن النـاس ، وإنما كنت أخاف الموت لو جاءني وأنا على معصيـة من معاصي الله تعـالى ، فقلت رحمك الله أردت أن أعظـك فوعظتني وعن معاوية بن عمار الـذهبي عن محمد بن علي بن الحسين في قوله عز وجل : ﴿ **فاسألوا أهل الذكـر إن كنتم**

لا تعلمون﴾[1] قال نحن أهل الذكر. وروى الزهري قال، حج هشام بن عبد الملك فدخل المسجد الحرام متوكئاً على يد سالم مولاه ، ومحمد بن علي عليهما السلام في المسجد فقال له سالم يا أمير المؤمنين هذا محمد بن علي بن الحسين في المسجد المفتون به أهل العراق ، فقال اذهب إليه وقل له يقول لك أمير المؤمنين ما الذي يأكل الناس ويشربون إلى أن يفصل بينهم يوم القيامة ، فقال قل له يحشر الناس على مثل قرص نقي فيها أنهار متفجرة يأكلون ويشربون منها حتى يفرغوا من الحساب ، قال فلما سمع هشام ذلك رأى أنه قد ظفر به فقال الله أكبر ارجع إليه وقل له ما أشغلهم عن الأكل والشرب يومئذٍ ، فقال له أبو جعفر ، قل له هم في النار أشغل ولم يشتغلوا إلى أن قالوا أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله ، فسكت هشام ولم يرجع كلاماً .

وروي أن العلاء بن عمرو بن عبيد ، قدم على محمد بن علي بن الحسين يمتحنه بالسؤال ، فقال له جعلت فداك ما معنى قوله تعالى : ﴿ أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما ﴾[2] ما هذا الرتق والفتق ؟ فقال له أبو جعفر (عليه السلام) كانت السماء رتقاً لا تنزل المطر وكانت الأرض رتقاً لا تخرج النبات ، ففتقنا السماء بنزول المطر ، وفتقنا الأرض بخروج النبات ، فسكت ابن عمرو ولم يرد جواباً ولم يجد اعتراضاً ، ثم أنه سأله عن قوله تعالى : ﴿ ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى ﴾[3] ما غضب الله تعالى قال طرده وعقابه يا ابن عمرو، ومن ظن أن الله يغيره شيء فقد كفر ، وسئل عن قوله تعالى : ﴿ أولئك يجزون الغرفة بما صبروا﴾[4] فقال الغرفة الجنة بصبرهم على الفقر في دار الدنيا . وروى أبو جمزة الثمالي عن محمد بن علي بن الحسين في قوله تعالى ﴿ وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً﴾ قال بما صبروا على الفقر على مصائب الدنيا. وروى الأصمعي عن أبي جعفر عليه السلام قال سمعته يقول لبعض ولده يا بني إياك والكسل

(١ و٢ و٣) سورة النحل الآية ٤٣ وسورة الأنبياء الآية ٧ وسورة الأنبياء الآية ٣٠ وسورة طه الآية ٨١.

(٤)(٥)سورة الفرقان الآية ٧٥ وسورة الانسان الآية ١٢.

والضجر فإنهما مفتاحا كل شـر ، إنك إذا كسلت لم تؤد حقـاً وإن ضجرت لم تصبـر على حق . وروي أنه قـال لابنه يـا بني إذا انعم الله عليك بنعمـة فقـل الحمد لله ، وإذا احزنك أمر فقـل لا حول ولا قـوة إلاّ بالله ، وإذا أبـطأ عليك الرزق فقل استغفر الله ، وكان محمـد بن علي بن الحسين عليهم السلام مـع مـا هو عليـه من العلم والفضل والسؤدد والـرئاسـة والإمامـة ظـاهـر الجـود في الخاصة والعامة ، مشهور الكرم في الكـافة ، معـروفاً بـالفضل والإحسـان مع كثرة عياله وتوسط حاله . وحكـت سلمى مولاة أبي جعفر عليـه السلام ، أنـه كان يدخـل عليه بعض إخـوانه فـلا يخرجـون من عنده حتى يـطعمهم الطعـام الـطيب ويكسوهم الثيـاب الحسنة في بعض الأحيـان ، ويهب لهم الدراهم ، فكنت أقـول له في ذلـك ، فيقول يـا سلمى ما حسنـة الدنيـا إلا صلة الإخوان والمعـارف ، وكان يصـل بالخمسـة دراهم وبالستمـائة وبـالألف درهم . وقـال الأسـود بن كثير شكـوت إلى أبي جعفر (عليـه السـلام) جـور الـزمـان وجفـا الأخوان ، فقال بئس الأخ أخ يرعاك غنياً ويجفوك فقيراً، ثم أمر غلامه فـأخرج كيساً فيه سبعمائة درهم ، فقال استعن بهذه على الوقت فإذا فرغت فاعلمني ، وقال رضي الله عنه أعرف المودة في قلب أخيـك بمبالـه في قلبك . ونقـل عن الزبير بن محمد بن مسلم المكي ، قال كنا عند جـابر بن عبـد الله فأتـاه علي ابن الحسين ومعـه ابنه محمـد وهـو صبي فقـال علي لابنـه محمـد قبـل رأس عمك ، فدنا محمد من جابر فقبـل رأسه ، فقـال جابـر من هذا وكـان قد كف بصره ، فقال له علي بن الحسين عليه السـلام ابني محمد ، فضمـه جابـر إليه وقال له يا محمد، محمد (ص) جدك رسول الله يقرئك السلام، فقالوا الجـابر وكيف ذلـك يا أبـا عبدالله ، قـال كنت عند رسـول الله (ص) والحسين عليه السلام في حجره وهو يلاعبه ، فقال يا جابر يولـد لابني الحسين ابن يقال لـه علي ، فـإذا كان يـوم القيامـة ينادي منـاد ليقم سيـد العـابـدين فيقـوم علي بن الحسين ، ويولد لعلي بن الحسين ابن يقـال له محمـد ، يا جـابر فـإن أدركته فاقرأه مني السلام ، وإن لاقيته فاعلم أن بقاءك في الدنيا قليل فلم يعش جابـر بعد ذلك إلا ثلاثة أيام .

فهذه منقبة من مناقبة باقية على ممر الأيام وفضيلة شهد له بها الخاص والعام :

قال فيه البليغ ما قال ذوو الحجى وكل برأيه منطيق
وكذاك العدو لم يعد أن قال جميلاً فما يقول فيه الصديق

ومن كتاب الحلية لأبي نعيم عن أبي عبدالله جعفر الصادق عليه السلام عن أبيه محمد الباقر ، عن أبيه علي بن الحسين ، عن أبيه الحسين بن علي ابن أبي طالب عليهم السلام ، قال قال رسول الله (ص)، من نقله الله تعالى من ذل المعاصي إلى عز التقوى اغناه بلا مال ، وأعزه بلا عشيرة ، وآنسه بلا أنيس ، ومن خاف الله تعالى أخاف الله منه كل شيء ، ومن لم يخف الله تعالى أخافه الله من كل شيء ، ومن رضي من الله باليسير من الرزق رضي منه باليسير من العمل ، ومن لم يستحي من المعيشة خفت مؤنته ، ورخا باله ، ونعم عياله ، ومن زهد الدنيا آتاه الله الحكمة ، وانطق بها لسانه ، وأخرجه من الدنيا سالماً إلى دار القرار . وروى أبو سعيد منصور بن الحسن الأبي في كتابه نثر الدرر ، أن محمد بن علي الباقر (عليه السلام) ، قال لابنه جعفر الصادق يا بني إن الله خبأ ثلاثة أشياء في ثلاثة أشياء ، خبأ رضاه في طاعته فلا تحقرن من الطاعة شيئاً فلعل رضاه فيه ، وخبأ سخطه في معصيته فلا تحقرن من المعصية شيئاً ، فلعل سخطه فيه ، وخبأ أولياءه في خلقه فلا تحقرن أحداً فلعله ذلك الولي .

ومن كتاب صفوة الصفوة لابن الجوزي عن عروة بن عبدالله قال سألت أبا جعفر محمد بن علي عن حلية السيف ، قال لا بأس به وقد حلى أبو بكر الصديق سيفه ، قلت تقول الصديق ، قال فوثب وثبة واستقبل القبلة وقال نعم الصديق نعم الصديق من لم يقل له الصديق فلا صدق الله له قولاً لا في الدنيا ولا في الآخرة .

ومن كتاب الجوانح والجوامح للإمام قطب الدين أبي سعيد هبة الله بن الحسين النهاوندي عن أبي بصير ، قال كنت مع محمد بن علي الباقر في

مسجد رسول الله (ص) وآله في حدثان موت والده (عليه السلام) إذ دخل المنصور أبو جعفر ، وداود بن سليمان قبل أن يفضي الملك إلى بني العباس ، فجاء داود بن سليمان إلى الباقر (عليه السلام) وجلس المنصور ناحية من المسجد ، فقال له الباقر ما منع الدوانيقي أن يأتينا ، قال فيه جفا ، فقال الباقر (عليه السلام) أما أنه لا تذهب الليالي حتى يلي هذا يعني المنصور أمر هذه الخلائق ، فيطأ أعناق الرجال ويملك شرقها وغربها ، ويطول عمره فيها حتى يجمع من كنوز الأموال ما لا يجمعه غيره ، فبعد أن قام داود من عند محمد بن علي الباقر (عليه السلام)، ذهب إلى المنصور وأخبره بذلك ، فقام المنصور وجاء إليه وقال ما منعني من الجلوس إليك إلا جلالتك وهيبتك ، ثم قال يا سيدي ما الذين يقوله داود ، قال هو كائن لا محالة ، قال وملكنا قبل ملككم ، قال نعم ، قال ويملك بعدي أحد من ولدي قال نعم ، قال فمدة بني أمية أطول أم مدتنا قال مدتكم أطول ، وليتلقف هذا الملك صبيانكم فيلعبون به كما يلعبون بالكرة هذا ما عهده إليَّ أبي فلما أفضت الخلافة إلى المنصور تعجب من قول الباقر (عليه السلام).

ومن الكتاب المذكور قال أبو بصير ، قلت يوماً للباقر (عليه السلام) أنتم ذرية رسول الله (ص) ، قال نعم قلت رسول الله وارث الأنبياء جميعهم ووارث جميع علومهم ، قال نعم قلت فأنتم ورثة جميع علوم رسول الله (ص)، قال نعم ، قلت فأنتم تقدرون أن تحيوا الموتى وتبرؤا الأكمة والأبرص وتخبرون الناس بما يأكلون في بيوتهم ، قال نعم ، نفعل ذلك كله بإذن الله تعالى ، ثم قال ادن مني يا أبا بصير ، وكان أبو بصير مكفوف النظر قال فدنوت منه فمسح يده على وجهي فأبصرت السهل والجبل والسماء والأرض ، فقال أتحب أن تكون هكذا تبصر وحسابك على الله ، أو تكون كما كنت ولك الجنة قلت الجنة أحب إلي ، قال فمسح بيده المباركة على وجهي فعدت كما كنت .

ومن الكتاب المذكور أيضاً عن جعفر الصادق (عليه السلام) قال كان أبي في مجلس عام ذات يوم من الأيام ، إذ أطرق برأسه إلى الأرض ثم

رفعه ، فقال يا قوم كيف أنتم إذا جاءكم رجل يدخل عليكم مدينتكم هذه في أربعة آلاف يستعرضكم على السيف ثلاثة أيام متوالية فيقتل مقاتلتكم وتلقون منه بلاء لا تقدرون عليه ولا على دفعه ، وذلك من قابل فخذوا حذركم واعلموا أن الذي قلت لكم هو كائن لابد منه ، فلم يلتفت أهل المدينة إلى كلامه وقالوا لا يكون هذا أبداً ، فلما كان من قابل تحمل أبو جعفر من المدينة بعياله هو وجماعة من بني هاشم وخرجوا منها ، فجاءها نافع بن الأزرق فدخلها في أربعة الآف واستباحها ثلاثة أيام ، وقتل فيها خلقاً كثيراً لا يحصون ، وكان الأمر على ما قاله (عليه السلام) .

ومن كتاب الدلائل للحميري عن زيد بن حازم ، قال كنت مع أبي جعفر محمد بن علي الباقر (عليه السلام) فمر بنا زيد بن علي ، فقال أبو جعفر ما رأيت هذا ليخرجن بالكوفة وليقتلن وليطافن برأسه ، فكان كما قال (عليه السلام).

وعن الحسين بن راشد قال ذكرت زيد بن علي عند أبي عبدالله جعفر الصادق فنلت منه ، فقال لا تفعل رحم الله عمي زيداً فإنه أتى أبي وقال إني أريد الخروج على هذا الطاغية ، فقال له لا تفعل يا زيد إني أخاف أن تكون المقتول المصلوب بظهر الكوفة ، أما علمت يا زيد لا يخرج أحد من ولد فاطمة على أحد من السلاطين قبل خروج السفياني إلا قتل ؟ فكان الأمر كما قال أبي .

وعن عبد الرحمن بن يحيى بن سعيد ، قال حدثني رجل من بني هاشم قال كنا عند محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام ، وأخوه زيد جالس إلى جانبه ، فدخل رجل من أهل الكوفة ، فقال له محمد بن علي اتروي شيئاً من طرائف الشعر ونوادره ، فقال نعم قال كيف ، قال الأنصاري لأخيه فأنشده :

لعمرك ما كان أبو مالك	بوان ولا بضعيف قواه
ولا ما لديه نازع	يعادي أخاه إذا ما نهاه
لئن سدته سد مطواعه	ومهما وكلت إليه كفاه

فوضع محمد بن علي يده على كتف أخيه زيد وقال ، هذه صفتك يا أخي وأعيذك بالله أن تكون قتيل أهل العراق ، وكان زيد بن علي (رض) ديناً شجاعاً ناسكاً ، وكان من أحسن بني هاشم عبادة وأجملهم إشارة ، وكان ملوك بني أمية تكتب إلى صاحب العراق أن امنع أهل الكوفة من حضور مجلس زيد بن علي فإن له لساناً أقطع من غلبة السيف وأحَّد من شبا الأسنة وأبلغ من السحر والكهانة ومن النفث في العقد ، وقال له يوماً هشام بن عبد الملك بلغني أنك تروم الخلافة وأنت لا تصلح لها لأنك من أمة ، فقال زيد كان إسماعيل بن إبراهيم ابن أمة واسحق ابن حرة ، فأخرج الله من صلب إسماعيل خير ولد آدم ، فقال قم إذن لا تراني إلا حيث تكره ، فلما خرج من الدار قال ما أحب أحد الحياة إلا ذل ، فقال له سالم مولى هشام بالله لا يسمعن منك هذا الكلام أحد فكان زيد رضي الله عنه كثيراً ما ينشد :

شرده الخوف من أوطانه	كذاك من يكره حر الجلاد
منحرق الحقين يشكو الوجى	تنكبه اطراف مرو حداد
قد كان بالموت له راحة	والموت حتف في رقاب العباد

ومن كتاب جمعه الوزير السعيد مؤيد الدين أبو طالب محمد بن أحمد ابن محمد بن علي العلقمي قال ، ذكر الشيخ الأجل أبو الفتح يحيى بن محمد .بن خيار الكاتب ، قال سمعت بعض أهل العلم والخير يقول ، كنت بين مكة والمدينة فإذا أنا بشيخ يلوح في البرية فيظهر تارة ويغيب أخرى حتى قرب مني فتأملته ، فإذا هو غلام سباعي أو ثماني ، فسلم عليَّ فرددت عليه ، فقلت من أين يا غلام ، قال من الله ، وإلى أين قال إلى الله ، قلت فما زادك قال التقوى ، قلت فمن أنت قال رجل من قريش ، قلت ابن من عافاك الله ، فقال أنا رجل علوي ثم أنشد يقول :

نحن على الحوض وراده	نزود ويسعد وراده
فما فاز من فاز إلا بنا	ومن خاب من حبنا زاده
فمن سرنا نال منا السرور	ومن ساءنا ساء ميلاده
ومن كان غاصبنا حقنا	فيوم القيامة ميعاده

ثم قال أنا أبـو جعفر محمـد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ثم التفت فلم أره ، ولم أدر نزل في الأرض أو صعد إلى السماء .

مات أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين الباقر عليهم السلام في سنة سبع عشر ومائة ، وله من العمر ثماني وخمسون سنة وقيل ستون سنة وقيل خمس وثلاثون، وبقي بعد موت أبيه تسع عشر سنة ، وهي مدة إمامته (عليه السلام) ، وأوصى أن يكفن في قميصه الذي كان يصلي فيه . وعن ابنه جعفر الصادق (عليه السلام) ، قال كنت عند أبي في اليوم الذي قبض فيه فأوصاني بأشياء في غسله وتكفينه وفي دخوله قبره قال فقلت له يا أبت والله ما رأيتك منذ اشتكيت أحسن منك اليوم ، ولا أرى عليك أثر الموت ، فقال يا بني ما سمعت علي بن الحسين يناديني من وراء الجدار يا محمد عجل .

ويقال أنه مات بالسم في زمن إبراهيم بن الوليد بن عبدالله ، قبره بالبقيع ودفن بالقبة التي فيها العباس في القبر الذي دفن فيه أبوه وعم أبيه الحسن (عليه السلام) وقد تقدم ذكر ذلك .

أولاد الباقر (عليه السلام) ستة ، وقيل سبعة ، وهم أبو عبدالله جعفر الصادق (عليه السلام) وكان يكنى به ، وعبدالله ، وأمهما أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر ، وإبراهيم وعبدالله درجاً في حياته وأمهما أم حكيم بنت أسد بن المغيرة الثقفية، وعلي وزينب لأم ولد ولم يعتقد أحد في ولد أبي جعفر الإمامة إلا في أبي عبدالله جعفر الصادق (عليه السلام) وكان أخوه عبدالله يشار إليه بالفضل والصلاح ، يقال ان بعض بني أمية سقاه السم فمات رضوان الله تعالى عليه ، نقل ذلك صاحب الإرشاد رحمه الله .

الفصل السادس

في ذكر أبي عبدالله جعفر الصادق (عليه السلام)

وهو لإمام السادس وتاريخ ولادته ومدة إمامته ومبلغ عمره ووقت وفاته وعدد أولاده وذكر كنيته ونسبه وغير ذلك مما يتصل به .

كان جعفر الصادق (عليه السلام) من بين اخوته خليفة أبيه ووصيه، والقائم من بعده، برز على جماعة بالفضل وكان أنبههم ذكراً وأجّلهم قدراً، نقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان، وانتشر صيته وذكره في سائر البلدان ، ولم ينقل العلماء عن أحد من أهل بيته ما نقل عنه من الحديث . وروى عنه جماعة من أعيان الأمة مثل يحيى بن سعيد ، وابن جريح ، ومالك بن أنس والثوري ، وأبو عيينة ، وأبو حنيفة ، وشعبة ، وأبو أيوب السجستاني ،وغيرهم. وصى إليه أبو جعفر (عليه السلام) بالإمامة وغيرها وصية ظاهرة ، ونص عليها نصاً جلياً عن أبي عبدالله جعفر الصادق (عليه السلام) قال ، إن أبي استودعني ما هناك، وذلك أنه لما حضرته الوفاة قال ادع لي شهوداً فدعوت له أربعة منهم نافع مولى عبدالله بن عمر ، فقال اكتب هذا ما أوصى به يعقوب بنيه يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون » وأوصى محمد بن علي ابنه جعفر ، وأمره أن يكفنه في بردته التي كان فيها يصلي الجمعة وقميصه وأن يعممه بعمامته ، وأن يرفع قبره مقدار أربع أصابع وأن يحل ظهاره عند دفنه ثم قال للشهود انصرفوا رحمكم الله ، فقلت يا أبت ما كان في

هذا حتى يشهد عليه ، قال يا بني كرهت أن تغلب وأن يقال لم يوص فأردت أن يكون ذلك الحجة . ولد جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب بالمدينة الشريفة سنة ثمانين من الهجرة، وقيل سنة ثلاث وثمانين والأول أصح ، وأما نسبه أباً وأما فهو جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ، وأمه رضي الله عنها فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر ، وأما كنيته فأبو عبدالله ، وقيل أبو إسماعيل وله ثلاثة القاب ، الصادق والفاضل والطاهر ، وأشهرها الصادق، (صفته) معتدل ادمي اللون شاعره السيد الحميري (رض) بوابه الفضل بن عمر ، نقش خاتمه ما شاء الله لا قوة إلا بالله استغفر الله ، معاصره أبو جعفر المنصور ، وأما مناقبه فتكاد تفوت من عد الحاسب ، ويجبر في أنواعها فهم اليقظ الكاتب ، وقد نقل بعض أهل العلم أن كتاب الجفر الذي بالمغرب ، الذي يتوارثونه بنو عبد المؤمن بن علي هو من كلامه ، وله فيه المنقبة السنية والدرجة التي هي في مقام الفضل عليه ، عن مالك بن أنس قال قال جعفر الصادق عليه السلام يوماً لسفيان الثوري إذا أنعم الله عليك بنعمة فأحببت بقاءها فأكثر من الحمد والشكر عليها ، فإن الله عز وجل قال في كتابه العزيز ﴿ **لئن شكرتم لازيدنكم** ﴾[1] وإذا استبطأت الرزق فأكثر من الأستغفار ، فإن الله عز وجل يقول : ﴿**استغفروا ربّكم انّه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً* يمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنّات ويجعل لكم أنهارا**﴾[2] ، يا سفيان إذا أحزنك أمر من سلطان أو غيره فأكثر من قول « لا حول ولا قوة إلا بالله » فإنها مفتاح الفرج وكنز من كنوز الجنة ، وقال ابن أبي حازم كنت عند جعفر الصادق إذ جاء الآذن ، وقال أن سفيان الثوري في الباب ، فقال ائذن له ، فدخل فقال له جعفر يا سفيان إنك رجل يطلبك السلطان في بعض الأوقات وتحضر عنده وأنا اتقي السلطان فاخرج عني غير مطرود ، فقال سفيان حدثني

(١ و٢) سورة إبراهيم الآية ٧ وسورة نوح الآية ١٢ .

بحديث أسمعه منك وأقوم ، فقال حدثني أبي عن جدي عن أبيه ، أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم قال من أنعم الله عليه نعمة فليحمد الله ، ومن استبطأ الرزق فليستغفر الله ، ومن أحزنه أمر فليقل لا حول ولا قوة إلا بالله ، فلما قام سفيان قال أبو جعفر خذها يا سفيان ثلاثاً وأي ثلاث ، وكان (عليه السلام) يقول لا يتم المعروف إلا بثلاث تعجيله وتصغيره وستره ، قال بعض شيعته دخلت على جعفر وموسى ولده بين يديه ، وهو يوصيه بهذه الوصية فحفظتها ، فكان مما أوصاه به أن قال له ، يا بني اقبل وصيتي واحفظ مقالتي تعش سيداً وتمت حميداً يا بني إنه من قنع بما قسم الله له استغنىٰ ، ومن مد عينه إلى ما في يد غيره مات فقيراً ، ومن لم يرض بما قسم الله له اتهم ربه في قضائه ، ومن استصغر زلة نفسه استعظم زلة غيره ، يا بني من كشف حجاب غيره انكشفت عورته ، ومن سل سيف البغي قتل به ، ومن حفر لاخيه بئراً سقط فيها ومن داخل السفهاء حقر، ومن خالط العلماء وقر، ومن داخل مداخل السوء اتهم ، يا بني قل الحق لك وعليك ، وإياك والنميمة فإنها تزرع الشحناء في قلوب الرجال ، يا بني إذا طلبت الجود فعليك بمعادنه ، فإن للمروءة معادن ، وللمعادن أصولاً وللأصول فروعاً ، وللفروع ثمراً ولا يطيب ثمر إلا بفرع ، ولا فرع إلا بأصل ، ولا أصل ثابت إلا بمعدن طيب ، يا بني إذا زرت فزر الأخيار ولا تزر الأشرار ، فإنهم صخرة لا ينفجر ماؤها وشجرة لا يخضر ورقها وأرض لا يظهر عشبها .

وقال أحمد بن عمر بن مقداد الرازي ، وقع الذباب على وجه المنصور فذبه ، فعاد فذبه ، فعاد حتى أضجره ، وكان عنده جعفر بن محمد (عليه السلام) في ذلك الوقت ، فقال المنصور يا أبا عبدالله لم خلق الله الذباب ؟ قال ليذل به الجبابرة فسكت المنصور . وقيل كان رجل من أهل السواد يلازم مجلس جعفر الصادق (عليه السلام) ويقعد طويلاً مقعده ، ففقده في بعض الأيام فسأل عنه فقال له رجل يريد أن ينقصه عنده ، إنه رجل قبطي ، فقال جعفر أصل الرجل عقله وحسبه دينه وكرمه وتقواه ، والناس في آدم مستوون فخجل الرجل . قال سفيان الثوري سمعت جعفر الصادق (عليه السلام)

يقول عزت السلامة حتى لقد خفي مطلبها ، فإن تك في شيء فيوشك أن تكون في الخمول ، وإن طلبته في الخمول ولم تجده فيوشك أن تكون في كلام السلف الصالح ، والسعيد من وجد في نفسه خلوة يشتغل بها عن الناس .

وحدث عبدالله بن الفضل بن الربيعي قال حج المنصور في سنة سبع وأربعين ومائة ، قدم المدينة ، قال للربيع ابعث إلى جعفر بن محمد من يأتينا به سعياً قتلني الله إن لم اقتله ، فتغافل الربيع عنه وناساه فأعاد عليه في اليوم الثاني وأغلظ له في القول ، فأرسل إليه الربيع فلما حضر قال له الربيع يا أبا عبدالله اذكر الله تعالى فإنه قد أرسل اليك مالا دافع له غير الله ، وإني أتخوف، فقال جعفر لا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم، ثم إن الربيع دخل به على المنصور ، فلما رآه المنصور أغلظ له بالقول ، فقال يا عدو الله اتخذك أهل العراق إماماً يجيئون إليك زكاة أموالهم تلحد في سلطنتي وتتبع إلي الغوائل قتلني الله إن لم أقتلك ، فقال جعفر يا أمير المؤمنين ان سليمان أعطى فشكر ، وإن أيوب ابتلي فصبر ، وان يوسف ظلم فغفر ، فهؤلاء أنبياء الله وإليهم يرجع نسبك ولك فيهم أسوة حسنة ، فقال المنصور أجل لقد صدقت يا أبا عبدالله ارتفع إلى ههنا عندي ، ثم قال يا أبا عبدالله إن فلان الفلاني أخبرني عنك بما قلت لك فقال أحضره يا أمير المؤمنين ليوافقني على ذلك ، فأحضر الرجل الذي سعى به إلى المنصور فقال له المنصور أحقاً ما حكيت لي عن جعفر ، فقال نعم يا أمير المؤمنين ، قال جعفر فاستحلفه على ذلك فبدر الرجل وقال والله العظيم الذي لا إلّه إلاّ الله هو عالم الغيب والشهادة الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد وأخذ بعد في صفات الله ، فقال جعفر يا أمير المؤمنين يحلف بما أستحلفه به ويترك يمينه هذا ، فقال المنصور حلفه بما تختار ، فقال جعفر (عليه السلام) قل برأت من حول الله وقوته والتجأت إلى حولي وقوتي لقد فعل كذا وكذا فامتنع الرجل فنظر إليه المنصور منكراً فحلف بها فما كان بأسرع من أن ضرب برجله الأرض وقضى ميتاً مكانه في المجلس ، فقال

المنصور جروا برجله وأخرجوه لعنه الله ، ثم قال لا عليك يا أبا عبدالله أنت البريء الساحة السليم الناحية المأمون الغائلة ، علي بالطيب والغالية فاتوا بالغالية فجعل يغلف بها لحيته إلى أن تركها تقطر ، وقال في حفظ الله وكلائته والحقه الربيع بجوائز حسنة وكسوة سنية ، قال الربيع فلحقته بذلك ثم قلت له يا أبا عبدالله إني رأيت قبلك ما لم تره أنت ، ورأيت بعد ذلك ما رأيت ، ورأيتك تحرك شفتيك ، وكلما حركتهما سكن الغضب بأي شيء كنت تحركهما جعلت فداك ، قال بدعاء جدي الحسين (عليه السلام) قلت وما هو يا سيدي قال قلت : « اللهم يا عدتي عند شدتي يا غوثي عند كربتي احرسني بعينك التي لا تنام واكفني بركنك الذي لا يرام وارحمني بقدرتك علي فلا أهلك وأنت رجائي ، اللهم إنك أكبر وأجلُّ وأقدر مما أخاف واحذر ، اللهم بك أدرأ في نحره واستعيذ بك من شره ، إنك على كل شيء قدير » قال الربيع فما نزلت بي شدة قط ودعوت به إلا فرج الله عني ، قال الربيع ، وقلت لأبي عبدالله ، منعت الساعي بك إلى المنصور من أن يحلف يمينه ، واحلفته أنت تلك اليمين ، فما كان إلا أخذ لوقته فتعجبت من ذلك ما منعناك فيه ؟ قال لأن في يمينه الذي أراد أن يحلف بها توحيد الله وتمجيده وتنزيهه فقلت يحلم عليه ويؤخر عنه العقوبة وأحببت تعجيلها فاستحلفته بما سمعت فأخذه الله لوقته .

وروي أن داود بن علي بن العباس قتل المعلى بن خنيس مولى كان لجعفر الصادق (عليه السلام) فأخذ ماله ، فبلغ ذلك جعفر فدخل إلى داره ولم يزل ليله كله قائماً إلى الصباح ، ولما كان وقت السحر سمع منه وهو يقول في مناجاته ياذا القوة القوية وياذا المحال الشديد وياذا العزة التي كل خلقك لها ذليل أكفنا هذا الطاغية وانتقم لنا منه ، فما كان إلا أن ارتفعت الأصوات بالصراخ والعويل وقيل مات داود بن علي فجأة .

ولما بلغ جعفر الصادق (عليه السلام) قول الحكم بن عباس الكلبي :

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة ... ولم أر مهديا على الجذع يصلب

فرفع جعفر يديه إلى السماء وهما يرتعشان ، فقال اللهم سلط على

الحكم بن العباس الكلبي كلباً من كلابك، فبعثه بنو أمية إلى الكوفة فافترسه الأسد في الطريق واتصل ذلك بالصادق فخر ساجداً وقال الحمد لله الذي انجزنا ما وعدنا .

وقال محمد بن سعيد لما خرج محمد بن عبدالله بن حسن فر جعفر بن محمد إلى ماله بالفرع ، فلم يزل هناك مقيماً حتى قتل محمد واطمأن الناس فرجع إلى المدينة وأقام بها .

وعن جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) قال لما رفعت إلى أبي جعفر المنصور بعد قتل محمد بن عبدالله بن الحسن ، نهرني وكلمني بكلام غليظ ثم قال لي يا جعفر قد علمت بفعل محمد بن عبدالله الذي يسمونه النفس الزكية وما نزل به ، وإنما انتظر الآن أن يتحرك منكم أحد فألحق الصغير بالكبير ، قال فقلت يا أمير المؤمنين حدثني أبي محمد بن علي عن أبيه الحسين عن الحسن بن علي بن أبي طالب أن رسول الله قال إن الرجل ليصل رحمه وقد بقي من عمره ثلاث سنين ، فيصله الله تعالى إلى ثلاث وثلاثين سنة ، وأن الرجل ليقطع رحمه وقد بقي من عمره ثلاث وثلاثون سنة فيصيرها الله تعالى إلى ثلاث سنين ، قال فقال لي الله عليك سمعت هذا من أبيك فقلت والله لقد سمعتها فردها علي ثلاثاً ثم قال انصرف .

ومما حفظ من كلام جعفر الصادق في الحكمة والموعظة وغير ذلك قوله ، ما كل من رأى شيئاً قدر عليه ، ولا كل من قدر على شيء وفق له ولا كل من وفق أصاب له موضعاً ، فإذا اجتمعت النية والقدرة والتوفيق والإصابة فهناك السعادة .

وقال (عليه السلام) تأخير التوبة اغترار ، وطول التسويف حيرة والاعتداء على الله هلكه ، والإصرار على الذنب من مكر الله ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون .

وقال (عليه السلام) أربعة أشياء القليل منها كثير : النار والعداوة والفقر والمرض . وسئل لم سمي البيت العتيق قال لأن الله تعالى عتقه من الطوفان .

وقال (عليه السلام) صحبة عشرين يوماً قرابة ، وقال كفارة عمل السلطان الأحسان إلى الإخوان. وقال (عليه السلام) إذا دخلت منزل أخيك فاقبل الكرامة ما عدا الجلوس في الصدر . وقال البنات حسنات والبنون نعم ، والحسنات يثاب عليها والنعم مسؤول عنها . وقال (عليه السلام) من لم يستح من العيب ويرعوي عند المشيب ويخشى الله بظهر الغيب فلا خير فيه . وقال (عليه السلام) إياكم وملاحاة الشعراء فإنهم يطنبون بالمدح ويجودون بالهجاء . وكان يقول اللهم إنك بما أنت أهله من العفو أولى مني بما أنا أهله من العقوبة . وقال (عليه السلام) من أكرمك فأكرمه ، ومن استخف بك فأكرم نفسك عنه . وقال منع الجود سوء الظن بالمعبود . وقال دعا الله الناس في الدنيا بآبائهم ليتعارفوا ودعاهم في الآخرة بأعمالهم ليتجاوزوا ، فقال : « **يا أيها الذين آمنوا ، يا أيها الذين كفروا** » . وقال (عليه السلام) إن عيال المرء اسراؤه فمن أنعم الله عليه بنعمته فليوسع على أسرائه ، فإن لم يفعل أوشك أن تزول تلك النعمة عنه . وقال ثلاثة لا يزيد الله بها الرجل المسلم إلا عزاً : الصفح عمن ظلمه والاعطاء لمن حرمه والصلة لمن قطعه . وقال حفظ الرجل أخاه بعد وفاته في تركته كرم . وقال المؤمن إذا غضب لم يخرجه غضبه عن حق ، وإذا رضي لم يدخله رضاه في باطل . وروى محمد بن حبيب عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده (عليه السلام) ورفعه ، قال ما من مؤمن أدخل على قوم سروراً إلا خلق الله من ذلك السرور ملكاً يعبد الله تعالى ويحمده ويمجده ، فإذا صار المؤمن في لحده أتاه ذلك السرور الذي أدخله على أولئك القوم ، فيقول أنا اليوم أونس وحشتك ، والقنك حجتك وأثبتك بالقول الثابت ، وأشهد بك مشاهد القيامة وأشفع بك إلى ربك وأريك منزلتك من الجنة . وقال إبراهيم بن مسعود كان رجل من التجار يختلف إلى جعفر بن محمد (عليه السلام) وبينه وبينه مودة وهو معروف بحسن حال ، فجاء بعد حين إلى جعفر بن محمد وقد ذهب ماله وتغير حاله فجعل يشكو إلى جعفر فأنشده جعفر (عليه السلام):

فلا تجزع وإن اعسرت يوماً فقد ايسرت بالزمن الطويل

ولا تـيـأس فـإن اليـأس كـفـر لـعـل الله يـغـنـي عـن قـليـل

وعن أبي حمزة الثمالي ، قال كنت مع أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق بين مكة والمدينة ، فالتفت فإذا عن يساره كلب أسود فقال له مالك قبحك الله ما أشد مسارعتك ، فإذا هو في الهواء يشبه الطائر فتعجبت من ذلك ، فقال هذا اعثم بريد الجن مات هشام الساعة وهو طائر ينعاه . وعن إبراهيم بن عبد الحميد قال اشتريت من مكة بردة وآليت على نفسي أن لا تخرج من ملكي حتى تكون كفني ، فخرجت بها إلى عرفة فوقفت فيها الموقف ثم انصرفت إلى المزدلفة فبعد أن صليت فيها المغرب والعشاء رفعتها وطويتها ووضعتها تحت رأسي ونمت ، فلما انتهيت لم أجدها فاغتممت لذلك غماً شديداً ، فلما أصبحت صليت وأفضيت مع الناس إلى منى ، فإني والله في مسجد الخيف إذ أتاني رسول أبي عبدالله جعفر الصادق ويقول لي قال لك أبو عبدالله تأتنا في هذه الساعة ، فقمت مسرعاً حتى دخلت على أبي عبدالله جعفر الصادق (عليه السلام) وهو في فسطاطه فسلمت عليه وجلست ، فالتفت إلي وقال يا إبراهيم نحن نحب أن نعطيك بردة تكون لك كفناً ، قلت والذي خلق إبراهيم لقد كانت معي بردة نعدها لذلك ولقد ضاعت مني في المزدلفة ، فأمر غلامه فأتاني ببردة فتناولتها فإذا هي والله بردتي بعينها ، فقلت بردتي يا سيدي فقال خذها واحمد الله تعالى يا إبراهيم فقد جمع الله عليك يا إبراهيم .

وروي عن جعفر الصادق (عليه السلام) أنه قال لغلامه يا فد ، يا فد إذا كتبت رقعة أو كتاباً في حاجة وأردت أن تنجح حاجتك التي تريد فاكتب في رأس الورقة بقلم غير مديد : بسم الله الرحمن الرحيم وعد الله الصابرين المخرج مما يكرهون والرزق من حيث لا يحتسبون جعلنا الله وإياكم من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون قال يا فد فكنت أفعل ذلك فتنجح حوائجي .

مناقب أبي جعفر الصادق (عليه السلام) فاضلة وصفاته في الشرف

كاملة وشرفه على جهات الأيام سائلة ، وأندية المجد والعز بمفاخره ومآثره آهلة .

مات الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام سنة ثمان وأربعين ومائة في شوال ، وله من العمر ثمان وستون سنة أقام فيها مع جده علي بن الحسين اثني عشر سنة وأياماً ، ومع أبيه محمد بن علي بعد وفاة جده ثلاث عشرة سنة، وبقي بعد موت أبيه أربعاً وثلاثين سنة ، وهي مدة إمامته (عليه السلام) ، يقال إنّه مات بالسم في أيام المنصور وقبره بالبقيع ، دفن في القبر الذي فيه أبوه وجده وعم جده فلله دره من قبر ما أكرمه وأشرفه وأما أولاده فكانوا سبعة ، ستة ذكور وبنت واحدة ، وقيل كانوا أكثر من ذلك ، أسماء الذكور : موسىٰ الكاظم وإسماعيل ومحمد وعلي وعبدالله واسحق والبنت اسمها أم فروة رضوان الله عليهم .



الفصل السابع

في ذكر أبي الحسن موسى الكاظم (عليه السلام)

وهو الإمام السابع وتاريخ ولادته ومدة إمامته ومبلغ عمره ووقت وفاته وعدد أولاده وذكر نسبه وكنيته ولقبه وغير ذلك مما يتصل به .

قال بعض أهل العلم الكاظم هو الإمام الكبير القدر ، والأوحد الحجة الحبر ، الساهر ليله قائماً القاطع نهاره صائماً ، المسمى لفرط حلمه وتجاوزه عن المعتدين كاظماً ، وهو المعروف عند أهل العراق بباب الحوائج إلى الله وذلك لنجح قضاء حوائج المسلمين .

قال الشيخ المفيد[1] كان أبو الحسن موسىٰ الكاظم هو الإمام بعد أبيه ، والمقدم على جميع بنيه لاجتماع خصال الفضل فيه والكمال، وورود صحيح النصوص وجلي الأقوال عليه من أبيه ، بأنه ولي عهده والإمام القائم من بعده ، روى أبو علي الأرجائي عن عبد الرحمن بن الحجاج قال دخلت على أبي عبدالله جعفر بن محمد عليه السلام في منزله ، فإذا هو في مسجد في داره وهو يدعو ، وعلى يمينه ولده موسى الكاظم يؤمن على دعائه ، فقلت له جعلت فداك قد عرفت انقطاعي إليك وخدمتي لك فمن ولي الأمر بعدك ، فقال يا عبد الرحمن إن موسى لبس الدرع واستوت عليه فقلت لا أحتاج بعد هذا إلى شيء .

وروى عبد الأعلى عن الفيض بن المختار ، قال قلت لأبي عبدالله

---

(١) إرشاد المفيد ٢٨٤ .

جعفر الصادق (عليه السلام) خذ بيدي من النار من لنا بعدك ، فدخل موسى الكاظم وهو يومئذٍ غلام فقال هذا صاحبكم فتمسك به .

وعن أبي نجران عن منصور بن حازم قال قلت لأبي عبدالله جعفر الصادق (عليه السلام) بأبي أنت وأمي إن الأنفس يُغدى عليها ويُراح فإن كان ذلك فمن ، فقال جعفر إذا كان ذلك فهذا صاحبكم وضرب بيده على منكب موسى الكاظم .

ولد موسى الكاظم بالأبواء سنة ثمان وعشرين ومائة للهجرة ، وأما نسبه أباً وأماً فهو موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب (رض) وأما أمه فتسمى حميدة البربرية ، وأما كنيته فأبو الحسن والقابه كثيرة أشهرها الكاظم ثم الصابر ، والصالح والأمين ، صفته أسمر عميق شاعره السيد الحميري بوابه محمد بن الفضل ، نقش خاتمه الملك لله وحده ، معاصره الهادي موسى وهرون الرشيد ، وأما مناقبه وكراماته الظاهرة وفضائله وصفاته الباهرة فتشهدله بأنه قبة الشرف وعلاها وسما إلى أوج المزايا فبلغ اعلاها وذللت له كواهل السيادة وامتطاها ، وحكم في غنائم المجد فاختار صفاياها فاصطفاها ، فمن ذلك ما أخبر به الفضل بن الربيع عن أبيه عن جده أن المهدي لما حبس موسىٰ بن جعفر الكاظم رأى في النوم علي بن أبي طالب (عليه السلام) وهو يقول : يا محمد فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم ، قال الربيع فأرسل إليَّ المهدي ليلاً فراعني وخفت من ذلك ، فلما دخلت عليه فإذا هو يقرأ هذه الآية وكان من أحسن الناس صوتاً ، فقال علي الآن بموسىٰ بن جعفر فجيء به فعانقه وأجلسه إلى جنبه ، وقال يا أبا الحسن إني رأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في هذه الساعة في النوم ، فقرأ علي كذا وكذا فتؤمني أن لا تخرج علي ولا على أحد من ولدي ، فقال والله لا فعلت ذلك ولا هو من شأني ، قال صدقت، يا ربيع اعطه ثلاثة آلاف دينار ورده إلى أهله إلى المدينة ، قال الربيع فاحكمت امره في ثاني ليلة وقضيت جميع حوائجه وما أصبح إلا وقد قطع أرضاً خوفاً عليه من العوائق .

قال حسام بن حاتم الأصم ، قال لي حاتم قال شقيق البلخي خرجت

حاجاً في سنة تسع وأربعين ومائة ، فنزلت القادسية فبينما أنا انظر الناس في مخرجهم إلى الحاج وزينتهم وكثرتهم ، إذ نظرت إلى شاب حسن الوجه شديد السمرة نحيف فوق ثيابه ثوب صوف مشتمل بشمله في رجليه نعلان وقد جلس منفرداً ، فقلت في نفسي هذا الفتى من الصوفية ويريد أن يخرج مع الناس فيكون كلا عليهم في طريقهم ، والله لأمضين إليه ولأوبخنه، فدنوت منه فلما رآني مقبلاً نحوه قال يا شقيق اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ثم تركني وولى، فقلت في نفسي إن هذا الأمر عظيم تكلم على ما في خاطري ونطق باسمي هذا عبد صالح لألحقنه وأسأله الدعاء ، وأن يحللني مما ظننته به ، فغاب عني ولم أره ، فلما نزلنا « واقصة » فإذا هو واقف يصلي فقلت هذا صاحبي أمضي إليه واستحلله ، فصبرت حتى فرغ من صلاته فالتفت إلي وقال يا شقيق «وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى» ثم قام ومضى وتركني ، فقلت هذا الفتى من الأبدال قد تكلم على سري مرتين ، فلما نزلنا « زبالا » وإذا أنا بالفتى قائم على البئر وأنا أنظر إليه وبيده ركوة يريد أن يستقي فيها الماء فسقطت الركوة من يده في البئر ، فرمق إلى السماء بطرفه وسمعته يقول أنت ربي إذا اظمئت وهو قوتي إذا طلبت طعاماً ، ثم قال اللهم إلٓهي وسيدي مالي سواك فلا تعدمنيها قال شقيق فوالله لقد رأيت الماء ارتفع إلى رأس البئر والركوة طافية عليه ، فمد يده وأخذها ملأى فتوضأ منها وصلّى أربع ركعات ، ثم مال إلى كثيب رمل فجعل يقبض بيده ويجعل في الركوة ويحركها ويشرب ، فأقبلت نحوه وسلمت عليه فرد علي السلام فقلت اطعمني من فضل ما أنعم الله عليك ، فقال يا شقيق لم تزل نعم الله علي ظاهرة وباطنة فاحسن ظنك بربك ، ثم ناولني الركوة فشربت منها فإذا هو سويق سكر فوالله ما شربت قط ألذ منه ولا أطيب ، فشبعت ورويت وأقمت أياماً لا اشتهي طعاماً ولا شراباً ، ثم لم أره حتى حططنا بمكة فرأيته ليلة إلى جنب قبة السراب في نصف الليل وهو قائم يصلي بخشوع وأنين وبكاء ، فلم يزل كذلك إلى طلوع الفجر فلما أصبح جلس في مصلاه يسبح الله تعالى ثم قال إلى حاشيته الطواف . فركع الفجر هناك ثم صلّى فيه الصبح مع الناس ثم دخل الطواف ، فطاف إلى بعد شروق الشمس ثم صلّى خلف المقام ثم خرج

يريد الذهاب ، فخرجت خلفه أريد السلام عليه وإذا بجماعة قد طافوا به يميناً وشمالاً ومن خلفه ومن قدامه وإذا لـه حاشيـة وخدم وحشم وموالٍ وأتباع قـد خـرجـوا معـه ، فقلت لهم من هـذا الفتى فقـالـوا هـو مـوسى بن جعفـر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السـلام) فقلت لا يكون هذا إلا لمثل هذا، ثم إني انصرفت ، وهذه الحكاية رواهـا جماعـة من أهل التأليف والمحدثين رواها ابن الجوزي في كتابـه مسير العـزم الساكن إلى شرف الأماكن ، ورواها الحافظ عبد العزيز الأخضر الجنابذي في كتـابه معـالـم العترة النبوية ، ورواها الرامهريزي قاضي القضاة في كتابـه كرامـات الأولياء ، وغيرهم ، ومن كتاب الدلايل الحميري ، روى احمد بن محمـد عن أبي قتادة القمي عن أبي خـالد الـزبالي قـال ، قـدم علينـا أبـو الحسن الكـاظم (عليـه السلام) زبالة ومعه جماعة من أصحاب المهدي بعثهم في اشخاصه إليـه إلى العـراق من المدينـة ذلك في مسكنـه الأول فأتيتـه وسلمت عليه فسـر بـرؤيتي وأوصاني بشراء حوائج له وتعبئتها عندي فرآني غير منبسط وأنا مفكر منقبض ، فقـال مالي أراك منقبضـاً فقلت وكيف لا ورأيتك سـائراً وأنت تصيـر إلى هـذا الطاغية ولا آمن عليك منه ، فقال يا أبا خالد ليس علي منه بأس فإذا كـان في شهر كذا في يوم الفلاني في شهر كذا فانتظرني آخر النهار مـع دخول الليـل ، فإني أوافيك إن شاء الله تعالى ، قال أبو خالد فما كان لي هم إلا إحصاء تلك الشهور والأيام إلى ذلك اليوم الذي وعدني أن يأتي فيه فخرجت وانتظرتـه إلى أن غربت الشمس فلم أر أحداً فداخلني الشك في أمره فلما كان دخول الليـل فبينما أنا كذلك فإذا بسواد قـد أقبل من نـاحية العـراق فإذا هـو على بغلة أمام القطار فسلمت عليه وسررت بمقدمه وتخلصه ، فقـال لي داخلك الشك يـا أبا خالد فقلت الحمد لله الذي خلصك من هذه الطاغية فقال يا أبـا خالـد إن لهم إلي عودة لا أتخلص منها . وعن عيسى المـدائني قال خـرجت سنة إلى مكـة فأقمت مجاوراً ثم قلت أذهب إلى المدينة فأقيم بها سنة مثل ما أقمت بمكة ، فهـو أعظم لثـوابي وقدمت المـدينـة فنـزلت طـرف المصلى بجنب دار أبي ذر (رض) وجعلت اختلف إلى سيدي موسىٰ الكاظم (عليه السـلام) فبينما أنـا عنده في ليلة مطيرة إذ قال يا عيسى قم فقد انهدم البيت على متاعك ، فقمت

فإذا البيت قد انهدم على المتاع ، فأكتريت قوماً كشفوا عن متاعي واستخرجت جميعه لم يذهب لي شيء غير سطل للوضوء فلما أتيته من الغد ، قال فقدت شيئاً من متاعك فندعو الله لك بالخلف فقلت ما فقدت غير سطل كنت أتوضأ به ، فأطرق رأسه ثلاثاً ثم رفعه فقال قد ظننت أنك انسيته قبل جارية رب الدار فاسألها عنه وقل لها أنسيت السطل في بيت الخلاء فرديه وأنها سترده عليك ، قال فسألتها عنه فردته . وعن عثمان بن عيسى قال ، قال موسى الكاظم لإبراهيم بن عبد الحميد قد لقيه سحراً وإبراهيم ذاهب إلى قبا وموسى داخل إلى المدينة ، يا إبراهيم إلى أين ، قال إلى قبا ، قال في أي شيء ، فقال أنا في كل سنة نشتري من هذا التمر ، فأردت أن آتي في هذه السنة إلى رجل من الأنصار فاشتري منه نخلاً ، فقال له موسى وقد أمنتم الجراد ، ثم فارقه فوقع كلامه في صدره فلم يشتر شيئاً، فما مرت خامسة حتى بعث الله جراداً أكل عامة النخل . ونقل صاحب كتاب نثر الدر ، أن موسى بن جعفر الكاظم ذكر له أن الهادي قد هم بك ، قال لأهل بيته ومن يليه ما تشيرون به علي من الرأي ، فقالوا نرى أن تتباعد عنه وأن تغيب شخصك عنه فإنه لا يؤمن عليك من شره ، فتبسم ثم قال :

زعمت سخية أن ستغلب ربها ليغلبن مغالب الغلاب

ثم أنه رفع يده إلى السماء ، فقال إلٓهي ، كم من عدو شحذ لي ظبة مديته وداف لي قواتل سمومه ، ولم تنم عني عين حراسته ، فلما رأيت ضعفي عن احتمال الفوادح وعجزي عن كلمات الجوائح صرفت ذلك عني بحولك وقوتك لا بحولي وقوتي ، وألقيته في الحفيرة التي احتفرها إليَّ خائباً مما أمله في دنياه متباعداً عن ما يرجوه في أخراه ، فلك الحمد على قدر ما عممتني فيه من نعمك وما توليتني من جودك وكرمك . أللهم فخذه بقوتك وأفلل حدَّه عني بقدرتك ، واجعل له شغلاً فيما يليه وعجزاً به عما ينويه اللهم واعدني عليه عدوةً حاضرة تكون من غيظي شفاء ومن حنقي عليه وفاء أوصل اللهم دعائي بالإجابة وانظم شكايتي بالتعبير وعرفه عما قليل ما وعدت به من الإجابة لعبيدك المضطرين ، إنك ذو الفضل العظيم والمن الجسيم ثم أن أهل بيته

انصرفوا عنه فلما كان بعد مدة يسيرة حتى اجتمعوا لقراءة الكتاب الوارد على موسى الكاظم بموت موسى الهادي وفي ذلك يقول بعضهم :

وسارية لم تسر في الأرض تبتغي　　محلاً ولم يقطع بها الأرض قاطع

من أبيات مما قيل في الدعاء المستجاب .

وعن عبدالله بن إدريس عن ابن سنان ، قال حمل الرشيد في بعض الأيام إلى علي بن يقطين ثياباً فاخرة أكرمه بها ومن جملتها دراعة منسوجة بالذهب سوداء من لباس الخلفاء ، فأنفذ بها علي بن يقطين إلى موسى الكاظم (عليه السلام) فردها الإمام إليه وكتب إليه احتفظ بها ولا تخرجها عن يدك فسيكون لك بها شأن تحتاج معه إليها ، فارتاب علي بن يقطين بردها عليه ولم يدر ما سبب كلامه ذلك ثم احتفظ بالدراعة وجعلها في سفط وختم عليها ، فلما كان بعد ذلك بمدة يسيرة تغير علي بن يقطين على بعض غلمانه ممن كان يختص بأموره ويطلع عليها ، فصرفه عن خدمته وطرده لأمر أوجب ذلك منه ، فسعى الغلام بعلي بن يقطين إلى الرشيد وقال له أن علي بن يقطين يقول بإمامة موسى الكاظم ، وأنه يحمل إليه في كل سنة زكاة ماله والهدايا والتحف ، وقد حمل إليه في هذه السنة ذلك وصحبته الدراعة السوداء التي أكرمه بها أمير المؤمنين في وقت كذا فاستشاط الرشيد لذلك غضباً شديداً وقال لأكشفن عن ذلك ، فإن كان الأمر على ما ذكرت ازهقت روحه وذلك من بعض جزائه ، فأنفذ في الوقت والحين أن يحضر علي بن يقطين ، فلما مثل بين يديه قال ما فعلت بالدراعة السوداء التي كسوتكها واختصصتك بها من مدة من بين سائر خواصي ، قال هي عندي يا أمير المؤمنين في سفط في طيب مختوم عليها ، فقال احضرها الساعة فقال نعم يا أمير المؤمنين السمع والطاعة فاستدعى بعض خدمه فقال امض وخذ مفتاح البيت الفلاني من داري وافتح الصندوق الفلاني وائتني بالسفط الذي فيه على حالته بختمه ، فلم يلبث الخادم إلا قليلاً حتى عاد وفي صحبته السفط مختوماً على حالته بختمه ، فوضع بين يدي الرشيد فأمر بفك ختمه ففك وفتح السفط فإذا بالدراعة فيه مطوية ومدفونة بالطيب على حالها لم تلبس

ولم تـدنس ولم يصبهـا شيء من الأشيـاء ، فقـال لعلي بن يقـطين ردهـا إلى مكانها وخذها وانصرف راشداً فلن نصدق بعدها عليك سـاعياً ، وأمـر أن يتبع بجائزة سنية وأمران يضرب الساعي ألف سوط فضرب فلما بلغوا إلى خمسمائة سوط مات تحت الضرب قبل الألف .

وكان موسى الكاظم (عليه السلام) أعبد أهل زمانه وأعلمهم وأسخاهم كفاً وأكرمهم نفساً ، وكان يتفقد فقراء المدينة ويحمل إليهم الدراهم والدنانيـر إلى بيوتهم والنفقات ، ولا يعلمون من أي جهة وصلهم ذلك ولم يعلموا بذلك إلا بعد موته (عليه السلام) وكان كثيـراً ما يـدعو « اللهم إني أسـألك الـراحة عند الموت والعفو عند الحساب . وحكي أن الرشيد سأله يوماً كيف قلتم نحن ذرية رسول الله (ص) وأنتم بنو علي وإنما ينسب الـرجل إلى جـده لأبيه دون جده لأمه ، فقال الكاظم (عليه السلام) أعـوذ بالله من الشيـطان الرجيم بسم الله الـرحمن الـرحيم : « ومن ذريتـه داود وسليمـان وأيـوب ويـوسف ومـوسى وهـرون وكـذلـك نجـزي المحسنين وزكـريـا ويحيى وعيسى وإليـاس » وليس لعيسى أب وإنما الحق بذرية الأنبياء من قبل أمه وكـذلك الحقنـا بذريـة النبي من قبل أمنا فاطمة الزهراء وزيادة أخرى يـا أمير المؤمنين قـال الله عزّ وجـلّ : **﴿ فمن حاجك فيه من بعدما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبنـاءنا وأبنـاءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهـل . . . ﴾**[٢] ولم يدع (ص) عنـد مباهلة النصارى غير علي وفاطمة والحسن والحسين وهما الأبناء .

وروي أن موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام) أحضر ولده يوماً فقال لهم يا بني إني موصيكم بوصية من حفظها انتفـع بها ، إذا أتـاكم آت فأسمـع أحدكم في الأذن اليمنى مكروهـاً ، ثم تحول إلى الأذن اليسـرى فاعتـذر وقال لم أقل شيئاً فاقبلوا عذره .

وروي عن موسى بن جعفر عن آبائه مرفوعـاً قال قـال رسول الله (ص) نظر الولد إلى والده حباً له عبادة .

(١ و٢) سورة الأنعام الآية ٨٥ وسورة آل عمران الآية ٦١ .

وعن اسحق بن جعفر قال سألت أخي موسىٰ بن جعفر قلت أصلحك الله أيكون المؤمن خائناً ؟ قال : لا يكون كذاباً ، ثم قال حدثني أبي جعفر الصادق عن آبائه قال سمعت رسول الله (ص) يقول كل خلة يطوي المؤمن ليس الكذب والخيانة .

وروى أحمد بن عبدالله بن عماد عن محمد بن علي النوفلي قال كان السبب في أخذ الرشيد موسى بن جعفر وحبسه أنه سعى به إليه جماعة وقالوا أن الأموال تحمل إليه من جميع الجهات والزكوات والأخماس وأنه اشترى ضيعة سماها التيسيرية بثلاثين ألف دينار ، فخرج الرشيد في تلك السنة يريد الحج ويدأ بدخوله إلى المدينة ، فلما أتاها استقبله موسى بن جعفر في جماعة من الأشراف ، فلما دخلها واستقر ومضى كل إلى سبيله ذهب موسى على جاري عادته إلى المسجد ، وأقام الرشيد إلى الليل وسار إلى قبر رسول الله (ص) ، فقال يا رسول الله إني اعتذر اليك من أمر أريد أن أفعله وهو أن أمسك موسى بن جعفر فإنه يريد التشعيب بين أمتك وسفك دمائهم ، وإني أريد حقنها ثم خرج فأمر به فأخذ من المسجد ودخل به إليه فقيده في تلك الساعة واستدعى بقبتين فجعل كل واحدة منهما على بغل ، في إحدى القبتين وسترها بالسقلاط وجعل مع كل واحدة منهما خيلاً وأرسل بواحدة منهما على طريق البصرة وبواحدة على طريق الكوفة ، وإنما فعل الرشيد ذلك ليعمي أمره على الناس وكان موسى الكاظم في القبة التي أرسل بها على طريق البصرة ، وأوصى القوم الذين كانوا معه أن يسلموه إلى عيسى بن جعفر بن منصور ، وكان على البصرة يومئذٍ والياً فلسموه إليه فتسلمه منهم وحبسه عنده سنة ، فبعد السنة كتب إليه الرشيد في سفك دمه وإراحته منه ، فاستدعى عيسى بن جعفر بعض خواصه وثقاته اللائذين به والناصحين له فاستشارهم بعد أن أراهم ما كتب به إليه الرشيد ، فقالوا نشير عليك بالاستعفاء من ذلك وإن لا نفع فيه ، فكتب عيسى بن جعفر إلى الرشيد يقول يا أمير المؤمنين كتبت إلي في هذا الرجل وقد اختبرته طول مقامه في حبسي بمن حبسته معه عيناً عليه لتنظروا حيلته وأمره وطويته بمن له المعرفة والدراية ويجري من الإنسان مجرى

الدم فلم يكن منه سوء قط ، ولم يذكر أمير المؤمنين إلا بخير ، ولم يكن عنده تطلع إلى ولاية ولا خروج ولا شيء من أمر الدنيا ولا قط دعا على أمير المؤمنين ولا على أحد من الناس ، ولا يدعو إلا بالمغفرة والرحمة له ولجميع المسلمين مع ملازمته للصيام والصلاة والعبادة ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يعفيني من أمره وينفذ من يتسلمه مني أولا سرحت سبيله فإني منه في غاية الحرج .

وروي أن شخصاً من بعض العيون التي كانت عليه في السجن رفع إلى عيسى بن جعفر أنه سمعه يقول في دعائه « اللهم إنك تعلم اني كنت أسألك أن تفرغني لعبادتك ، اللهم وقد فعلت فلك الحمد . فلما بلغ الرشيد كتاب عيسى بن جعفر، كتب إلى السندي بن شاهك أن يتسلم موسى بن جعفر الكاظم من عيسى ، وأمره فيه بأمره ، فكان الذي تولى به قتله السندي أن يجعل له سما في طعام وقدمه إليه وقيل في رطب فأكل منه موسى بن جعفر (عليه السلام) ثم أنه أقام موعوكاً ثلاثة أيام ومات ، ولما مات موسى بن جعفر (عليه السلام) أدخل السندي بن شاهك لعنه الله الفقهاء ووجوه الناس من أهل بغداد وفيهم أبو الهيثم بن عدي وغيره ينظرون إليه إنه ليس به أثر من جراح أو مغل أو خنق وأنه مات حتف أنفه ، وقد كان قوم زعموا في أيام موسى الكاظم (عليه السلام) أنه هو القائم المنتظر ، وجعلوا حبسه هو الغيبة المذكورة للقائم ، فأمر يحيى بن خالد أن يوضع على الجسر ببغداد وأن ينادى هذا موسى بن جعفر الذي تزعم الرافضة أنه لا يموت فانظروا إليه ميتاً ، فنظر الناس إليه ثم أنه حمل ودفن في مقابر قريش بباب التبن . وروي أنه لما حضرته الوفاة سأل من السندي أن يحضر مولاه مديناً ينزل عند دار العباس بن محمد في مشرعة القصب ليتولى غسله ودفنه وتكفينه فقال له السندي أنا أقوم لك بذلك على أحسن شيء وأتمه ، فقال إنا أهل بيت مهور نسائنا ، وحجج مبرورنا وكفنُ ميتنا من خالص أموالنا ، وأريد أن يتولى ذلك مولاي هذا فأجابه إلى ذلك واحضره إياه فوصاه بجميع ما يفعل ولما أن مات تولى ذلك جميعه مولاه المذكور .

ومن كتاب الصفوة لابن الجوزي قال بعث موسى بن جعفر (عليه السلام) إلى الرشيد من الحبس برسالة كتب إليه فيها أنه لن ينقضي عني يوم من البلاء إلا انقضى معه عنك يوم الرخاء حتى نمضي جميعاً إلى يوم ليس له انقضاء هناك يخسر المبطلون .

وروى اسحق بن عمارة قال لما حبس هارون موسىٰ الكاظم عليه السلام دخل عليه السجن ليلاً أبو يوسف ومحمد بن الحسن صاحبا أبي حنيفة فسلما عليه وجلسا عنده وأرادا أن يختبراه بالسؤال لينظرا مكانه من العلم ، فجاءه بعض الموكلين بالكاظم (عليه السلام) فقال له إن نوبتي قد فرغت وأريد الانصراف إلى غد إن شاء الله ، فإن كان لك حاجة تأمرني أن آتيك بها معي إذا جئتك غداً ، فقال مالي حاجة انصرف ثم قال لأبي يوسف ومحمد بن الحسن إني لأعجب من هذا الرجل يسألني أن أكلفه حاجة يأتيني بها غداً إذا جاء وهو ميت في هذه الليلة فأمسكا عن سؤاله وقاما ولم يسألا عن شيء ، وقالا أردنا أن نسأله عن الفروض والسنة أخذ يتكلم معنا علم الغيب ، والله لنرسل خلف الرجل من يبيت عند باب داره وننظر ما يكون من أمره فأرسلا شخصاً من جهتهما جلس على باب ذلك الرجل ، فلما كان أثناء الليل وإذا بالصراخ والواعية فقيل لهم ما الخبر فقالوا مات صاحب البيت فجأة فعاد إليهما الرسول وأخبرهما بذلك فتعجبا من ذلك غاية العجب .

كانت وفاة أبي الحسن موسى الكاظم (عليه السلام) لخمس بقين من شهر رجب الفرد سنة ثلاث وثمانين ومائة وله من العمر خمس وخمسون سنة كان مقامه منها مع أبيه عشرين سنة وبقي بعد وفاة أبيه خمساً وثلاثين سنة وهي مدة إمامته (عليه السلام).

وأما أولاده فقال الشيخ المفيد (ره) كان لأبي الحسن موسى بن جعفر سبعة وثلاثون ولداً ما بين ذكر وأنثى وهم : علي بن موسى الرضا الإمام وإبراهيم والعباس والقاسم لأمهات أولاد وإسماعيل وجعفر وهارون والحسن أشقاء لأم ولد ، وعبدالله واسحق وعبيدالله وزيد والحسن والفضل وسليمان لأمهات شتى وأحمد ومحمد وحمزة أشقاء ولأم ولد ، وفاطمة الكبرى وفاطمة

الصغرى ورقية وحليمة وأم أسماء ورقية الصغرى وكلثوم وأم جعفر وأم لبانة وزينب وخديجة وعايشة وآمنة وحسنة وبريرة وعلية وأم سلمة وميمونة وأم كلثوم. وكان أفضل أولاد موسىٰ الكاظم (عليه السلام) وأنبههم ذكراً وأجلهم قدراً علي بن موسى الرضا وكان أحمد بن موسى كريماً جليلاً كبيراً موقراً وكان أبوه موسى الكاظم يحبه ووهب له ضيعة اليسيرية ، ويقال إن أحمد ابن موسى اعتق له ألف مملوك ، وكان محمد بن موسىٰ صاحب وضوء وصلاة ليله كله يتوضأ ويصلي ويرقد ، ثم يقوم فيتوضأ ويصلي ويرقد هكذا إلى الصباح ، قال بعض شيعة أبيه ما رأيته قط إلا ذكرت قوله تعالى : ﴿ **كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون** ﴾[1]، وكان إبراهيم بن موسى شجاعاً كريماً وتقلد الأمر على اليمن في أيام المأمون من قبل محمد بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) ولكل واحد من أولاد أبي الحسن موسى المذكور الكاظم (عليه السلام) فضل مشهور .

---

(١) سورة الذاريات الآية ١٧ .



الفصل الثامن

في ذكر أبي الحسن علي بن موسى الرضا (عليه السلام)

وهو الإمام الثامن، تاريخ ولادته ومدة إمامته ومبلغ عمره ووقت وفاته وعدد أولاده وذكر كنيته ونسبه ولقبه وغير ذلك مما يتصل به .

قال الشيخ كمال الدين بن طلحة تقدم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وزين العابدين علي بن الحسين (عليه السلام) وجاء علي بن موسى الرضا هذا ثالثهما ، ومن أمعن نظره وفكره وجده في الحقيقة وارثهما نما إيمانه وعلا شأنه وارتفع مكانه وكثر أعوانه وظهر برهانه ، حتى أدخله الخليفة المأمون محل مهجته وأشركه في مملكته وفوض إليه أمر خلافته وعقد له على رؤوس الإشهاد عقد نكاح ابنته وكانت مناقبه علية وصفاته سنية ونفسه الشريفة زكية هاشمية وأرومته الكريمة نبوية .

قال صاحب الإرشاد (ره) كان الإمام القائم بعد موسى الكاظم ولده علي بن موسى الرضا (عليه السلام) لفضله على جماعة أهل بيته وبنيه واخوته ووفور علمه وغزير حلمه وإجماع الخاصة والعامة على اجتماع ذلك فيه ، والنص بالإمامة من أبيه ، وإشارته إليه بذلك دون سائر أهل بيته وبنيه .

وممن روى ذلك من أهل العلم والدين داود بن كثير الرقي قال قلت

---

(١) إرشاد المفيد ٣٠٤.

لموسى الكاظم جعلت فداك إني قد كبرت سني فخذ بيدي وانقذني من النار من صاحبنا بعدك ، قال فأشار إلى ابنه أبي الحسن الرضا فقال هذا صاحبكم بعدي .

وعن زياد بن مروان العبدي قال دخلت على موسى الكاظم وعنده ابنه أبو الحسن الرضا فقال لي يا زياد هذا ابني علي كتابه كتابي وكلامه كلامي ورسوله رسولي وما قال فالقول قوله .

وعن المخزومي وكانت أمه من ولد جعفر بن أبي طالب (رض) قال بعث موسى الكاظم فجمعنا ثم قال أتدرون لم جمعتكم فقلنا لا ، قال اشهدوا أن ابني هذا وأشار إلى علي بن موسى الرضا هو وصيي والقائم بأمري وخليفتي من بعدي ، من كان له عندي دين فليأخذه من ابني هذا ، ومن كانت له عندي عدة فليستنجزها منه ، ومن لم يكن له بد من لقائي فلا يلقني إلا بكتابه .

ولد علي بن موسى الرضا (عليه السلام) في المدينة سنة ثمان وأربعين ومائة للهجرة وقيل سنة ثلاث وخمسين ومائة ، وأما نسبه أبا وأما فهو علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ، وأما أمه فأم ولد يقال لها أم البنين واسمها أروى وقيل شقراء النوبية وهو لقب لها ، وأما كنيته فأبو الحسن ، وأما ألقابه فالرضا والصابر والزكي والولي وأشهرها الرضا ، صفته معتدل القامة شاعره دعبل الخزاعي بوابه محمد بن الفرات نقش خاتمه حسبي الله ، معاصره الأمين والمأمون وأما مناقبه (عليه السلام) فمن ذلك ما كان أكبر دلائل برهانه وشهد له بعلو قدره وسمو مكانه ، وهو أنه لما جعله المأمون ولي عهده وأقامه خليفة من بعده كان في حاشيته أناس قد كرهوا ذلك وخافوا خروج الخلافة عن بني العباس ، وعودها على بني فاطمة ، فحصل عندهم من علي بن موسى الرضا (عليه السلام) نفور ، وكانت عادة الرضا إذا جاء إلى دار المأمون ليدخل عليه بادر من في الدهليز من الحجاب وأهل

النوبة من الخدم والحشم بالقيام له والسلام عليه ويرفعون له الستر حتى يدخل ، فلما حصلت لهم هذه الفترة تفاوضوا في أمر هذه القضية ودخل منها في قلوبهم شيء ، قالوا فيما بينهم إذا جاء ليدخل على الخليفة بعد هذا اليوم نعرض عنه ولا نرفع له الستر ، واتفقوا على ذلك فيما بينهم فبينما هم جلوس إذ جاء الرضا (عليه السلام) على جاري عادته فلم يملكوا أنفسهم أن قاموا وسلموا عليه ورفعوا له الستر ، فلما دخل أقبل بعضهم على بعض يتلاومون على كونهم ما فعلوا ما اتفقوا عليه ، وقالوا الكرة الثانية إذا جاء لا نرفعه له ، فلما كان اليوم الثاني وجاء الرضا (عليه السلام) على عادته قاموا وسلموا عليه ولم يرفعواله الستر ، فجاءت ريح شديدة فدخلت في الستر ورفعته أكثر مما كانوا يرفعونه له فدخل ، ثم سكنت ثم عند خروجه جاءت الريح أيضاً من الجانب الآخر فرفعته له وخرج ، فأقبل بعضهم على بعض وقالوا إن لهذا الرجل عند الله منزلة وله منه عناية انظروا إلى الريح كيف جاءت ورفعت له الستر عند دخوله وعند خروجه من الجهتين أرجعوا إلى ما كنتم عليه من خدمته فهو خير لكم .

وعن صفوان بن يحيى قال مضى موسى الكاظم (عليه السلام) وقام ولده من بعده أبو الحسن الرضا (عليه السلام) وتكلم خفنا عليه من قبلك وقلنا له انك أظهرت أمراً عظيماً وأنا نخاف عليك من ذلك الطاغية يعني هرون الرشيد قال ليجهدن جهده فلا سبيل له علي .

قال صفوان فحدثني الثقة أن خالد بن يحيى البرمكي قال لهرون الرشيد هذا علي بن موسى الرضا قد تقدم وادعى الأمر لنفسه فقال هرون يكفينا ما صنعنا بأبيه تريد أن نقتلهم جميعاً .

وعن مسافر قال كنت مع أبي الحسن الرضا بمنى فمر يحيى بن خالد البرمكي وهو مغطى وجهه بمنديل من الغبار ، فقال الرضا (عليه السلام) مساكين هؤلاء لا يدرون ما يحل بهم في هذه السنة ، فكان من أمرهم ما كان قال وأعجب من هذا أنا وهارون كهاتين ، وضم اصبعيه السبابة والوسطى . قال

مسافر فوالله ما عرفت حديثه في هارون إلا بعد موت الرضا ودفنه إلى جانبه . وعن موسى بن عمران قال رأيت علي بن موسى الرضا في المدينة وهارون الرشيد يخطب ، قال أتروني وإياه ندفن في بيت واحد، وعن حمزة بن جعفر الإرجائي قال خرج هارون الرشيد من المسجد الحرام من باب ، وخرج علي بن موسى الرضا من باب ، فقال الرضا (عليه السلام) وهو يعني هارون يا بعد الدار وقرب الملتقى يا طوس يا طوس يا طوس ستجمعينني وإياه ، ومن ذلك ما روي عن بكر بن صالح قال أتيت الرضا (عليه السلام) فقلت امرأتي أخت محمد بن سنان ، وكان من خواص شيعتهم ، بها حمل فادع الله أن يجعله ذكراً قال هما إثنان فوليت وقلت اسمي واحداً محمداً والآخر علياً ، فدعاني وردني فأتيته فقال سم واحداً علياً والأخرى أم عمرو ، فقدمت الكوفة فولدت لي غلاماً وجارية فسميت الذكر علياً والأنثى أم عمرو كما أمرني ، وقلت لأمي ما معنى أم عمرو قالت جدتك كانت تسمى أم عمر ، ومن كتاب أعلام الورى للطبرسي قال روى الحاكم أبو عبدالله الحافظ بإسناده عن محمد بن عيسى عن أبي حبيب ، قال رأيت النبي (ص) في المنام وكأنه قد وافى المسجد الذي ينزله الحجاج من بلدنا في كل سنة ، وكأني مضيت إليه وسلمت عليه ووقفت بين يديه فوجدت عنده طبقاً من خوص المدينة فيه تمر صيحاني وكأنه قبض قبضة من ذلك التمر فناولنيها فعددتها فوجدتها ثمانية عشر تمرة فتأولت إني أعيش بعدد كل تمرة سنة ، فلما كان بعد عشرين يوماً وأنا في أرض لي تعمر للزراعة ، إذا جاءني من أخبرني بقدوم أبي الحسن الرضا (عليه السلام) من المدينة ونزوله ذلك المسجد ، ورأيت الناس يسعون إلى السلام عليه من كل جانب، فمضيت نحوه فإذا هو جالس في الموضع الذي رأيت النبي (ص) فيه ، وتحته حصير مثل الحصير الذي رأيتها تحته (ص) وبين يديه طبق من خوص وفيه تمر صيحاني فسلمت عليه فرد علي السلام فاستدناني وناولني قبضة من ذلك التمر فعددتها فإذا هي بعدد ما ناولني رسول

الله (ص) في النوم ثماني عشرة حبة تمر ، فقلت زدني فقال لو زادك رسول الله لزدناك .

وروى الحافظ أيضاً بإسناده عن سعيد بن سعد عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) أنه نظر إلى رجل فقال ، يا عبد اوص بما تريد واستعد لما لا بد منه فمات الرجل بعد ذلك بثلاثة أيام .

وعن الحسين بن موسى ، قال كنا حول أبي الحسن الإمام علي الرضا ونحن شباب من بني هاشم ، إذ مر علينا جعفر بن علي العلوي وهو رث الهيئة فنظر بعضنا إلى بعض مستزرين لهيئته فقال الرضا (عليه السلام) سترونه عن قريب كثير المال كثير الخدم حسن الهيئة ، فما مضى إلا شهر واحد حتى ولي أمرة المدينة وحسنت حالته وكان يمر علينا وحوله الخدم والحشم يسيرون بين يديه .

وعن الحسين بن يسار قال ، قال لي الرضا أن عبدالله يقتل محمداً فقلت عبدالله بن هارون يقتل محمد بن هارون قال نعم عبدالله المأمون يقتل محمد الأمين فكان كما قال (عليه السلام).

وعن أبي الحسن القرضي عن أبيه قال حضرنا مجلس أبي الحسن الرضا (عليه السلام) فجاءه رجل فشكى إليه حاله فأنشأ الرضا يقول :

اعذر أخاك على ذنوبه ... وأصبر وغطّ على عيوبه
واصبر على سفه السفيه ... وللزمان على خطوبه
ودع الجواب تفضلا ... وكن الظلوم على حسيبه

وعن محمد بن يحيى الفارسي قال : نظر أبو نواس إلى علي بن موسى الرضا ذات يوم وقد خرج من عند المأمون على بغلة له فارهة فدنا منه وسلم عليه وقال يا ابن رسول الله قلت فيك أبياتاً أحب أن تسمعها مني فقال له قل فأنشأ أبو نواس يقول :

مطهرون نقيات ثيابهم ... تجري الصلاة عليهم كلما ذكروا

من لم يكن علويا حين تنسبه فما له في قديم الدهر مفتخر
أولئك القوم أهل البيت عندهم علم الكتاب وما جاءت به السور

فقال قد جئتنا بأبيات ما سبقك بها أحد ما معك يا غلام من فاضل نفقتنا قال ثلاث مائة دينار ، قال ادفعها إليه ثم بعد أن ذهب إلى بيته قال لعله استقلها سق يا غلام إليه البغلة .

ونقل الطوسي (ره) في كتابه عن أبي الصلت الهروي قال دخل دعبل الخزاعي على علي بن موسى الرضا (عليه السلام) بمرو، فقال يا ابن رسول الله إني قلت فيكم أهل البيت قصيدة وآليت على نفسي أن لا أنشدها أحداً قبلك وأحب أن تسمعها مني فقال له الإمام أبو الحسن علي بن موسى الرضا هات هات فأنشأ يقول :

ذكرت محل الربع من عرفات فأجريت دمع العين في الوجنات
وقد خانني صبري وهاجت صبابتي رسوم ديار اقفرت وعرات
مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصات
لآل رسول الله بالخيف من منى وبالبيت والتعريف والجمرات
ديار علي والحسين وجعفر وحمزة والسجاد ذي الثفنات
ديار لعبدالله والفضل صنوه نجي رسول الله في الخلوات
منازل كانت للصلاة وللتقى وللصوم والتطهير والحسنات
منازل جبريل الأمين يحلها من الله بالتسليم والرحمات
منازل وحي معدن الله علمه سبيل رشاد واضح الطرقات
قفا نسأل الدار التي حف أهلها متى عهدهم بالصوم والصلوات
فأين الألى شطت بهم غربة النوى فأمسين في الأقطار مفترقات
أحب قصي الدار من أجل حبهم واهجر فيهم أسْرتي وثقاتي
وهم آل ميراث النبي إذا انتموا فهم خير سادات وخير حماة
مطاعيم في الإعسار في كل مشهد لقد شرفوا بالفضل والبركات
أئمة عدل يقتدى بفعالهم ويؤمن فيهم زلة العثرات

فيا رب زد قلبي هدى وبصيرة ... وزد حبهم يا رب في حسناتي
لقد أمنت نفسي بهم في حياتها ... وإني لأرجو الأمن بعد وفاتي
ألم تر أني مذ ثلاثين حجة ... أروح وأغدو دائم الحسرات
أرى فيأهم في غيرهم متقسما ... وأيديهم من فيئهم صفرات
إذا وتروا مدوا إلى أهل وترهم ... أكفا عن الأوتار منقبضات
وآل رسول الله نحف جسومهم ... وآل زياد غلظوا الفقرات
سأبكيهم ما ذر في الأفق شارق ... ونادى منادي الخير بالصلوات
وما طلعت شمس وحان غروبها ... وبالليل أبكيهم وبالغدوات
ديار رسول الله أصبحن بلقعاً ... وآل زياد تسكن الحجرات
وآل زياد في القصور مصونة ... وآل رسول الله في الفلوات
فلولا الذي أرجوه في اليوم أوغد ... تقطع نفسي إثرهم حسرات
خروج إمام لا محالة خارج ... يقوم على اسم الله بالبركات
يميز فينا كل حق وباطل ... ويجزي على النعماء والنقمات
فيا نفس طيبي ثم يا نفس فاصبري ... فغير بعيد كلما هو آت

وهي قصيدة طويلة عدد أبياتها مائة وعشرون اقتصرت منها على هذا القدر . ولما فرغ دعبل (ره) من إنشادها نهض أبو الحسن الرضا (عليه السلام) وقال لا تبرح ، فانفذ إليه صرة فيها مائة دينار واعتذر إليه فردها دعبل وقال والله ما لهذا جئت وإنما جئت للسلام عليه والتبرك بالنظر إلى وجهه الميمون ، وإني لفي غنى فإن رأى أن يعطيني شيئاً من ثيابه للتبرك فهو أحب إلي فأعطاه الرضا جبة خز ورد عليه الصرة ، وقال للغلام قل له خذها ولا تردها فإنك ستصرفها أحوج ما تكون إليها فأخذها وأخذ الجبة ثم أقام بمرو مدة ، فتجهزت قافلة تريد العراق فتجهز صحبتها فخرج عليهم اللصوص في أثناء الطريق ونهبوا القافلة عن آخرها ولزموا جماعة من أهلها فكتفوهم وأخذوا ما معهم ومن جملتهم دعبل فساروا بهم غير بعيد ثم جلسوا يقتسمون أموالهم فتمثل مقدم اللصوص وكبيرهم يقول :

أرى فيأهم في غيرهم متقسماً ... وأيديهم من فيئهم صفرات

ودعبل يسمعه ، فقال أتعرف هذا البيت لمن ، قال وكيف لا أعرفه وهو لرجل من خزاعة يقال له دعبل شاعر أهل البيت عليهم السلام قاله في قصيدة مدحهم بها ، فقال دعبل فأنا والله صاحب القصيدة وقائلها فيهم فقال ويلك انظر ماذا تقول ، قال والله الأمر أشهر من ذلك اسأل أهل القافلة وهؤلاء الممسوكين معكم يخبروكم بذلك ، فسألهم فقالوا بأسرهم هذا دعبل الخزاعي شاعر أهل البيت المعروف الموصوف ، ثم أن دعبل أنشدهم القصيدة من أولها إلى آخرها عن ظهر قلب ، فقالوا قد وجب حقك علينا وقد أطلقنا ورددنا جميع ما أخذنا منها إكراماً لك يا شاعر أهل البيت ، ثم أنهم أخذوا دعبل وتوجهوا به إلى قم ووصلوه بمال وسألوه في بيع الجبة التي اعطاها له أبو الحسن الرضا ودفعوا له فيها ألف دينار ، فقال لا أبيعها وإنما أخذتها للتبرك معي من أثره ، ثم أنه رحل من عندهم من قم بعد ثلاثة أيام ، فلما صار خارج البلد على نحو ثلاثة أميال وقيل ثلاثة أيام خرج عليه قوم من أحداثهم أخذوا الجبة منه ، فرجع إلى قم وأخبر كبارهم بذلك ، فأخذوا الجبة منهم وردوها عليه ثم قالوا نخشى أن تؤخذ هذه الجبة منك يأخذها غيرنا ثم لا ترجع إليك فبالله إلا ما أخذت الألف وتركتها ، فأخذ الألف منهم وأعطاهم الجبة ثم سافر عنهم .

وعن أبي الصلت (ره) قال قال دعبل (رض) لما أنشدت مولاي الرضا هذه القصيدة وانتهيت إلى قولي :

خروج إمام لا محالة قائم   يقوم على اسم الله والبركات
يميز فينا كل حق وباطل   ويجزي على النعماء والنقمات

بكى الرضا (عليه السلام) ثم رفع رأسه إلي وقال يا خزاعي نطق روح القدس على لسانك بهذا البيت ، أتدري من هذا الإمام الذي تقول، قلت لا أدري إلا أني سمعت يا مولاي بخروج إمام منكم يملأ الأرض عدلاً فقال يا دعبل الإمام بعدي محمد ابني وبعده عليّ ابنه، وبعد علي ابنه الحسن وبعد الحسن ابنه الحجة القائم المنتظر في غيبته المطاع في ظهوره ، ولو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج فيملأ الأرض عدلاً

كما ملئت جوراً .

قال إبراهيم بن العباس سمعت العباس يقول ما سئل الرضا عن شيء إلا علمه ، ولا رأيت أعلم منه بما كان في الزمان إلى وقت عصره ، وكان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كل شيء فيجيبه الجواب الشافي ، وكان قليل النوم كثير الصوم لا يفوته صيام ثلاثة أيام في كل شهر ويقول ذلك صيام الدهر ، وكان كثير المعروف والصدقة سراً وأكثر ما يكون ذلك منه في الليالي المظلمة ، وكان جلوسه في الصيف على حصير وفي الشتاء على مسح .

قال إبراهيم بن العباس سمعت الرضا (عليه السلام) يقول وقد سأله رجل أيكلف الله العباد مالا يطيقون فقال هو أعدل من ذلك قال فيقدرون على فعل كل ما يريدون قال هم أعجز من ذلك .

وقال صاحب كتاب نثر الدرر ، سأل الفضل بن سهل علي بن موسى الرضا (عليه السلام) في مجلس المأمون ، قال يا أبا الحسن الخلق مجبرون قال إن الله تعالى أعدل من أن يجبر ثم يعذب ، قال فمطلقون قال الله تعالى أحكم من أن يهمل عبده ويكله إلى نفسه .

ومن كتاب عيون أخبار الإمام الرضا تصنيف الشيخ عماد الدين أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه رحمهم الله ، أن علي بن موسى الرضا حدث عن أبيه عن آبائه عن علي بن أبي طالب عن النبي (ص) أجمعين أن موسى بن عمران لما ناجى ربه قال يا رب أبعيد أنت مني فأناديك ، أم قريب فأناجيك ، فأوحى الله تعالى إليه يا موسى أنا جليس من ذكرني ، قال موسى يا رب إني أكون في حال أجلك أن أذكرك فيها فقال يا موسى اذكرني على كل حال .

وعن علي بن موسى الرضا (عليه السلام) عن آبائه عن النبي (ص) أنه قال ، من لم يؤمن بحوضي فلا أورده الله حوضي ومن لم يؤمن بشفاعتي فلا أنا له الله شفاعتي ، ثم قال إنما شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي ، فأما المحسنون فما عليهم من سبيل .

وعن علي بن موسى الرضا (عليه السلام) عن آبائه عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال قال رسول الله (ص) ما كان ولا يكون إلى يوم القيامة من مؤمن إلا وله جار يؤذيه . وعن علي بن موسى الرضا عن آبائه عن علي بن أبي طالب ، قال قال رسول الله (ص) الشيب في مقدم الرأس عز ، وفي العارضين سخاء ، وفي الذوائب شجاعة ، وفي القفا شؤم . وعنه (عليه السلام) عن آبائه عليهم السلام قال قال رسول الله (ص) لما أسري بي إلى السماء رأيت رحماً معلقة بالعرش تشكو رحماً إلى ربها، أنها قاطعة لها قلت كم بينك وبينها من أب ، قال نلتقي من أربعين أباً . وعن علي بن موسى الرضا (عليه السلام) أنه قال من صام من شعبان يوماً واحداً ابتغاه ثواب الله إلا دخل الجنة ، ومن استغفر الله تعالى في كل يوم منه سبعين مرة حشره الله يوم القيامة في زمرة النبي (ص) ووجبت له من الله الكرامة ، ومن تصدق في شعبان بصدقة ولو بشق تمرة حرَّم الله جسده على النار . وعن علي بن موسى الرضا (عليه السلام) أنه قال من صام أول يوم من رجب رغبة في ثواب الله تعالى وجبت له الجنة ، ومن صام في يوم من وسطه شفع في مثل ربيعة ومضر ، ومن صام في يوم من آخره جعله الله من أملاك الجنة ، وشفعه الله في أبيه وأمه وإخوانه وأخواته وأعمامه وعماته وأخواله وخالاته ومعارفه وجيرانه وإن كان فيهم من هو مستوجب النار . وعن ياسر الخادم قال سمعت أبا الحسن علي بن موسى الرضا يقول أوحش ما يكون هذا الخلق في ثلاث مواطن ، يوم يولد المولود ويخرج من بطن أمه فيرى الدنيا ، ويوم يموت فيعاين الآخرة وأهلها ، ويوم يبعث فيرى أحكاماً لم يرها في دار الدنيا ، وقد سلم الله على يحيى في هذه الثلاثة المواطن وأمن روعته فقال: ﴿ **وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً**﴾[1] وقد سلم عيسى بن مريم على نفسه في هذه المواطن الثلاثة أيضاً فقال: ﴿**وسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً**﴾[2] وقال المولى السعيد إمام الدنيا محمد بن أبي سعيد بن عبد الكريم الوزان في محرم سنة ست وتسعين وخمسمائة قال أورد صاحب كتاب

(١ و٢) سورة مريم الآية ١٥ و٣٣.

تاريخ نيشابور في كتـابه أن علي بن مـوسى الرضـا لما دخـل إلى نيشابـور في السفرة التي خص فيها بفضيلة الشهـادة ، كان في قبـة مستورة بـالسقلاط على بغلة شهباء وقد شق نيشابور فعرض له الإمـامان الحـافظان لـلأحاديث النبـوية والمشـايـران على السنـة المحمـديـة ، أبـو زرعـة الـرازي ومحمــد بن أسلم الـطوسي ، ومعهما خـلائق لا يحصون من طلبـة العلم وأهل الأحـاديث وأهل الـرواية والـدراية، فقـالا أيهـا السيـد الجليل ابن السـادة الأئمـة بحق آبـائـك الأطهرين وأسلافك الأكرمين ، إلا ما أريتنا وجهك الميمون المبارك ورويت لنا حديثاً عن آبائك عن جـدك محمد (ص) نـذكرك بـه ، فاستـوقف البغلة وأمر غلمـانـه بكشف المـظلة عن القبـة وأقـر عيـون تلك الخـلائق بـرؤيــة طلعتـه المبـاركة ، فكـانت له ذؤابتـان على عاتقـه والنـاس كلهم قيـام على طبقـاتهم ينـظرون إليه ، وهم بين صـارخ وباك ومتمـرغ في التراب ومقبـل لحافـر بغلته وعلا الضجيج فصاحت الأئمة والعلماء والفقهاء معـاشر النـاس اسمعوا وعـوا وانصتـوا لسمـاع مـا ينفعكم ولا تؤذونـا بكثـرة صـراخكم وبكـائكم ، وكـان المستملي أبو ذرعة ومحمد بن أسلم الطوسي فقال علي بن موسى الرضا (عليه السـلام) ، بكثرة صـراخكم وبكائكم ، وكـان المستملي أبو ذرعـة ومحمد بن أسلم الطوسي فقال علي بن موسى الرضا (عليه السـلام)، حدثني أبي مـوسى الكاظم عن أبيه جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن أبيه علي زين العابدين عن أبيه الحسين شهيد كربلا عن أبيه علي بن أبي طالب (عليه السلام)، قـال حدثني حبيبي وقرة عيني رسول الله (ص)، قال حـدثني جبرئيـل قال سمعت رب العزة سبحانه وتعالى يقـول ، كلمة لا إلـه إلاّ الله حصني فمن قالهـا دخل حصني ومن دخل حصني أمن عذابي ، ثم ارخى الستر على القبة وسار ، قال فعدوا أهل المحابر والدُّوي الذين كانوا يكتبون فأنافوا على عشرين ألفاً ، قـال الاستـاذ أبو القـاسم القشيري اتصـل هذا الحـديث بهذا السنـد ببعض الأمراء السامانية فكتبه بالذهب وأوصى أن يدفن معه في قبره فرؤي بالنوم بعد موتـه ، فقيل له ما فعل الله بك قال غفـر الله لي بتلفظي بـلا إلَه إلاّ الله وتصـديقي بأن محمداً رسول الله .

ودخل على علي بن موسى الرضا (عليه السلام) بنيشابور قوم من الصوفية

فقالوا إن أمير المؤمنين المأمون لما نظر فيما ولاه من الأمور فرآكم أهل البيت أولى من قام بأمر الناس، ثم نظر في أهل البيت فرآك أولى بالناس من كل واحد منهم، فرد هذا الأمر إليك والإمامة تحتاج إلى من يأكل الخشن ويلبس الخشن ويركب الحمار ويعود المريض ويشيع الجنائز، قال وكان الرضا متكئاً فاستوى جالساً ثم قال كان يوسف بن يعقوب نبياً فلبس أقبية الديباج المزورة بالذهب، والقباطي المنسوجة بالذهب، وجلس على متكآت آل فرعون، وحكم وأمر ونهى وإنما يراد من الإمام قسط وعدل، إذا قال صدق وإذا حكم عدل، وإذا وعد أنجز إن الله لم يحرم ملبوساً ولا مطعماً وتلا قوله تعالى: ﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ﴾.

ذكر ولاية العهد من المأمون لعلي بن موسى الرضا (عليه السلام):

ذكر جماعة من أصحاب السير ورواة الأخبار بأيام الخلفاء أن المأمون لما أراد ولاية العهد للرضا (عليه السلام)، وحدث نفسه بذلك وعزم عليه، أحضر الفضل بن سهل وأخبره بما عزم عليه وأمر مشاورة أخيه الحسن في ذلك، فاجتمعا وحضرا عند المأمون فجعل الحسن يعظم ذلك ويعرفه ما في إخراج الأمر عن أهل بيته، فقال المأمون عاهدت الله اني إن ظفرت بالمخلوع سلمت الخلافة إلى ذي فضل من بني آل أبي طالب وهو أفضل ولابد من ذلك، فلما رأيا تصميمه وعزيمته على ذلك أمسكا عن معارضته فقال تذهبان الآن إليه وتخبرانه بذلك عني وتلزمانه به، فذهبا إلى الرضا وأخبراه بذلك والزام المأمون له بذلك، فامتنع فلم يزالا به حتى أجاب على أنه لا يأمر ولا ينهي ولا يولي ولا يعزل ولا يتكلم بين اثنين في حكم، ولا يغير شيئاً هو قائم على أصوله، فأجابه المأمون إلى ذلك، ثم إن المأمون جلس مجلساً خاصاً لخواص أهل دولته من الأمراء والوزراء والحجاب والكتاب وأهل الحل والعقد، وكان ذلك في يوم خميس وأحضرهم فلما حضروا قال للفضل بن سهل اخبر الجماعة الحاضرين برأي أمير المؤمنين في الرضا علي بن موسى وأنه ولاه عهده وأمرهم بلبس الخضرة والعود لبيعته في الخميس الآخر وأخذ أعطياتهم وأرزاقهم سنة على حكم التعجيل ثم

صرفهم ، فلما كان الخميس الثاني حضر الناس وجلسوا على مقادير طبقاتهم ومنازلهم كل في موضعه ، وجلس المأمون ثم جيء بالرضا (عليه السلام) فجلس بين وسادتين عظيمتين وضعتا له وهو لابس الخضرة وعلى رأسه عمامة مقلد بسيف ، فأمر المأمون ابنه العباس بالقيام إليه والمبايعة له أول الناس ، فرفع الرضا يده وحطها من فوق فقال له المأمون ابسط يدك فقال الرضا هكذا كان يبايع رسول الله (ص)، يضع يده فوق أيديهم ، فقال افعل ما ترى ثم وضعت بدر الدراهم والدنانير وبقج الثياب والخلع ، وقام الخطباء والشعراء وذكروا ما كان من أمر المأمون وولاية عهده للرضا وذكروا فضل الرضا، وفرقت الصلاة والجوائز على الحاضرين على قدر مراتبهم وفرقت في ذلك اليوم أموال عظيمة ، ثم إن المأمون قال للرضا قم واخطب الناس ، فقام وتكلم فحمد الله وأثنى عليه وثنى بذكر نبيه محمد (ص) وقال ، أيها الناس إن لنا عليكم حقاً برسول الله (ص) ، ولكم علينا حق به ، فإذا أديتم إلينا ذلك وجب لكم علينا الحكم والسلام . ولم يسمع منه في هذا المجلس غير هذا .

وخطب للرضا بولاية العهد في كل بلد وخطب عبد الجبار بن سعيد في تلك السنة على منبر رسول الله (ص) بالمدينة الشريفة فقال في الدعاء للرضا وهو على المنبر « ولي عهد المسلمين علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام وأنشد:

ستة آباء ما هم أفضل من يشرب صوب الغمام[1]

وذكر المديني قال لما جلس الرضا ذلك المجلس وهو لابس تلك الخلع ، والخطباء يتكلمون وتلك الألوية تخفق على رأسه ، نظر أبو الحسن الرضا إلى بعض مواليه الحاضرين ممن كان يختص به وقد داخله من السرور ما لا عليه مزيد وذلك لما رأى ، فأشار إليه الرضا فدنا منه وقال له في اذنه سراً لا تشغل قلبك بشيء مما ترى من هذا الأمر ، ولا تستبشر فإنه لا يتم .

وهذا مختصر من كتاب العهد الذي كتبه المأمون الخليفة للرضا بخطه

(١) هكذا جاء هذا البيت فأثبتناه كما هو في الأصل .

اختصرته لطوله وذكرت أوله وآخره وصورته :

(بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب كتبه ابن هرون الرشيد لعلي بن موسى بن جعفر ولي عهده :

أما بعد فإن الله عزّ وجلّ اصطفى الإسلام ديناً واختاره له من عباده رسلاً دالين عليه وهادين إليه يبشر أولهم آخرهم ويصدق تاليهم ماضيهم ، حتى انتهت نبوة الله تعالى إلى محمد (ص) على فترة من الرسل ودروس من العلم وانقطاع من الوحي واقتراب من الساعة ، فختم الله به النبيين وجعله شاهداً عليهم ومهيمناً ، وأنزل عليه الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، نزل من حكيم حميد ، فلما انقضت النبوة وختم الله بمحمد (ص) بالرسالة جعل قوام الدين ونظام أمر المسلمين في الخلافة ونظامها والقيام بشرائعها وأحكامها ، ولم يزل أمير المؤمنين منذ انقضت إليه الخلافة وحمل مشاقها واختبر مرارة طعمها ومذاقها مسهر العينين مضنياً لبدنه مطيلاً لفكره فيما فيه عز الدين وقمع المشركين وصلاح الأمة وجمع الكلمة ونشر العدل وإقامة الكتاب والسنة ، ومنعه ذلك من الحفظ والدعة ومهنا العيش محبة أن يلقى الله سبحانه وتعالى مناصحاً له في دينه وعباده، ومختاراً لولاية عهده ورعاية الأمة من بعده أفضل من يقدر عليه في دينه وورعه وعلمه ، وأرجاهم للقيام بأمر الله تعالى وحقه مناجياً لله تعالى بالاستخارة في ذلك ومسألته إلهامه ما فيه رضاه وطاعته ، في آناء ليله ونهاره معملاً فكره ونظره فيما فيه طلبه والتماسه في أهل بيته من ولد عبدالله بن عباس وعلي بن أبي طالب مقتصراً ممن علم حاله ومذهبه منهم على علمه وبالغاً في المسألة ممن خفي عليه أمره جهده وطاقته رضاه وطاعته حتى استقصى أمورهم معرفة وابتلى أخبارهم مشاهدة واستبرأ أحوالهم معاينة ، وكشف ما عندهم مساءلة وكانت خيرته بعد استخارة الله تعالى واجتهاده نفسه في قضاء حقه في عباده وبلاده في الفئتين جميعاً علي بن موسى الرضا بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، لما رأى من فضله البارع وعلمه الذائع وورعه الظاهر الشائع وزهده الخالص النافع وتخليته من الدنيا وتفرده عن

الناس ، وقد استبان له ما لم تزل الأخبار عليه مطبقة والألسن عليه متفقة والكلمة فيه جامعة والأخبار واسعة ، ولما لم نزل نعرفه به من الفضل يافعاً وناشئاً وحدثاً وكهلاً فلذلك عقد بالعهد والخلافة من بعده واثقاً بخيرة الله تعالى في ذلك إذا علم الله تعالى أنه فعله إيثاراً له وللدين ونظراً للإسلام وطلباً للسلامة وثبات الحجة والنجاة في اليوم الذي يقوم الناس فيه لرب العالمين ، ودعا أمير المؤمنين ولده وأهل بيته وخاصته وقواده وخدمه فبايعه الكل مطيعين مسارعين مسرورين عالمين بإيثار أمير المؤمنين طاعته على الهوى في ولده وغيره ، ممن هو أشبك رحماً وأقرب قرابة ، وسماه الرضا إذ كان رضياً عند الله تعالى وعند الناس ، وقد آثر طاعة الله والنظر لنفسه وللمسلمين والحمد لله رب العالمين ، وكتب بيده في يوم الإثنين لسبع خلون من شهر رمضان سنة احدى ومائتين) .

وهذه صورة ماعلى ظهر العهد مكتوباً بخط الإمام علي بن موسى رضا (عليه السلام) من غير اختصار:

(بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الفعال لما يشاء لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور وصلواته على نبيه محمد خاتم النبيين وآله الطيبين الطاهرين :

أقول وأنا علي بن موسى بن جعفر أن أمير المؤمنين عضده الله بالسداد ووفقه للرشاد عرف من حقنا ما جهله غيره ، فوصل أرحاماً قطعت ، وأمن نفوساً فزعت ، بل أحياها بعد أن أمن الحياة نسيت فأغناها بعد فقرها ، وعرفها بعد نكرها ، مبتغياً بذلك رضا رب العالمين لا يريد جزاء من غيره وسيجزي الله الشاكرين ولا يضيع أجر المحسنين ، وأنه جعل إلي عهده والأمرة الكبرى إن بقيت بعده ، فمن حل عقدة أمر الله بشدها أو قصم عروة أحب الله نشافها فقد أباح الله حريمه وأحل محرمه ، إذ كان بذلك زارياً على الإمام منتهكاً حرمة الإسلام ، وخوفاً من شتات الدين واضطراب أمر المسلمين وحذر فرصة تنتهز وناعقة تبتدر جعلت لله على نفسي عهداً أن استرعاني أمر المسلمين وقلدني خلافة العمل فيهم عامة وفي بني العباس بن عبد المطلب

خاصة ، أن أعمل فيهم بطاعة الله تعالى وطاعة رسـوله (ص) ولا أسفـك دماً حراماً ولا أبيح فرجاً ولا مالاً إلا ما سفكته حـدوده وأباحته فرائضـه وأن أتخير الكفاة جهدي وطاقتي وجعلت بذلك على نفسي عهداً مؤكداً يسألني الله عنه ، فإنه عزّ وجلّ يقول : ﴿ **وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا** ﴾ وإن أحـدثت أو غيرت أو بدلت كنت للعـزل مستحقاً وللنكـال متعرضـاً وأعوذ بـالله من سخطه وإليـه أرغب في التـوفيق لـطاعتـه والحـول بيني وبين معصيتـه في عـافيـة لي وللمسلمين ، والجامعة والجفر يدلان على ضد ذلك ، ومـا أدري ما يفعـل بي وبكم ، إن الحكم إلا لله يقص الحق وهـو خيـر الفـاصلين لكنني امتثلت أمـر أميـر المؤمنين وآثرت رضـاه ، والله تعالى يعصمني وإيـاه ، وأشهدت الله على نفسي بذلك وكفى بالله شهيداً ، وكتبت بخطي بحضرة أمير المؤمنين أطال الله بقـاه والحـاضـرين من أوليـاء نعمـه وخـواص دولتـه ، وهم الفضـل بن سهـل وسهـل بن الفضـل والقـاضي يحيى بن أكثم وعبـدالله بن طـاهـر وثمـامـة بن الأشرس ، وبشر بن المعتمر وحماد بن النعمـان وذلك في شهـر رمضان سنـة إحدى ومائتين) (صـورة رقم شهادة القـاضي يحيى بن أكثم ، شهد يحيى بن علي مضمون هذا الكتاب ظاهره وباطنه ، وهو يسـأل الله تعالى أن يعـرف أمير المؤمنين وكافة المسلمين بـركة هـذا العهد والميثـاق وكتب بخطه في التـاريخ المبين فيه) (صورة رقم شهـادة عبدالله بن ظـاهر اثبت شهـادته فيـه بتاريخـه عبدالله بن ظاهر .). (وصورة رقم شهادة حماد بن النعمان ، شهد حماد بن النعمان بمضمونه ظهراً وبطناً وكتبه بيده في تاريخه) (وصـورة رقـم شهادة ابن المعتز شهد بذلك بشر بن المعتز وعلى الجانب الأيسر بخط الفضـل بن سهل رسم أمير المؤمنين بقراءة هذه الصحيفة التي هي صحيفة العهد والميثاق ظهراً وبطناً بحرم سيدنا رسول الله (ص) بين الروضة والمنبـر على رؤوس الاشهاد وبمرأى ومسمع من وجـوه بني هاشم وسـائر الأوليـاء والأخيار بعـد أخذ البيعـة عليهم واستيفـاء شروطهـا بما أوجبـه أمير المؤمنين من العهـد لعلي بن موسى الرضا لتقوم به الحجة على جميع المسلمين وتبطل الشبهة التي كانت اعترضته لآراء الجاهلين ، وما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه » وكتب الفضـل بن سهـل بحضـرة أميـر المؤمنين في تـاريـخ المعين فيه . روى إبـراهيم بن

العباس قال كانت البيعة للرضا لخمس خلون من شهر رمضان المعظم سنة إحدى ومائتين وزوَّجه المأمون ابنته أم حبيب في أول سنة اثنين ومائتين والمأمون متوجه إلى العراق ، ومما نقل إلى الأسماع بالأسماع وزومه الألسن بالبقاع في الأصفاع وخطته الأيدي في الصحائف والرقاع أن الخليفة المأمون وجد في يوم عيد انحراف مزاج أحدث عنده ثقلاً له عن الخروج إلى الصلاة فقال لأبي الحسن الرضا قم يا أبا الحسن اركب وصل بالناس العيد ، فامتنع وقال قد علمت ما كان بيني وبينك من الشروط ، فاعفني من الصلاة فقال المأمون إنما أريد أن أنوه بذكرك ليشهر أمرك بأنك ولي عهدي والخليفة من بعدي ، وألح في ذلك ، فقال الرضا إن أعفيتني من ذلك كان أحب إلي ، فإن أبيت إلا أن أخرج إلى الصلاة بالناس فإنما أخرج كما كان النبي (ص) يخرج للصلاة على الصفة التي كان يخرج عليها رسول الله (ص) فقال المأمون افعل كيف ما أردت وأمر المأمون القواد والجند وأعيان دولته بالركوب في خدمته إلى المصلى ، فركب الناس إلى بيته وحضر القواد والمؤذنون والمكبرون إلى بابه ينتظرون أن يخرج فخرج إليهم الرضا وقد اغتسل ولبس أفخر ثيابه وتعمم بعمامة قطن ، وألقى طرفاً منها على عاتقه ومس طيباً وأخذ عكازاً في يده وخرج ماشياً ولم يركب وقال لمواليه وأتباعه افعلوا كما فعلت ، ففعلوا وساروا بين يديه عند شروق الشمس رافعين أصواتهم بالتكبير والتهليل فلما رآه القواد والجند على تلك الحالة لم يسعهم إلا أن نزلوا عن خيولهم ومراكبهم وساروا بين يديه وتركوا دوابهم مع غلمانهم خلف الناس ، وكان كلما كبر الرضا كبر الناس تكبيرة ، وكلما هلل هللوا تهليلة ، وهم سائرون بين يديه حتى خيل للناس أن الحيطان والجدران تجاوبهم بالتكبير والتهليل وتزلزلت مرو وارتفع البكاء والضجيج ، فبلغ ذلك المأمون فقال له الفضل إن بلغ الرضا المصلى افتتن الناس به وخفنا على دمائنا وأرواحنا وعليك في نفسك فابعث إليه فرده ، فبعث إليه المأمون قد كلفناك يا أبا الحسن ولا نحب أن يلحقك مشقة ارجع إلى بيتك يصلي بالناس من كان يصلي بهم قبل ، فرجع علي بن موسى الرضا عليه السلام إلى بيته ، وركب المأمون فصلى بالناس قال هرثمة بن أعين وكان من خدام الخليفة عبدالله المأمون ، إلا أنه

كان محباً لأهل البيت إلى الغاية ويعد نفسه من شيعتهم ، وكان قائماً بخدمة الرضا وجمع مصالحه مؤثراً لذلك على جميع أصحابه مع تقدمه عند المأمون وقربه منه ، قال طلبني سيدي أبو الحسن الرضا (عليه السلام) في يوم من الأيام فقال لي يا هرثمة إني مطلعك على أمر يكون سراً عندك لا تظهره لأحد مدة حياتي فإن أظهرته حال حياتي كنت خصيماً لك عند الله ، فحلفت له إني لا أتفوه مما تقوله لي مدة حياته ، فقال لي اعلم يا هرثمة أنه قد دنا رحيلي ولحوقي بجدي وآبائي ، وقد بلغ الكتاب اجله وإني أطعم عنباً ورماناً مفتوناً فأموت ، ويقصد الخليفة أن يجعل قبري خلف قبر أبيه الرشيد وإن الله لا يقدره على ذلك ، وأن الأرض تشتد عليهم فلا تعمل فيها المعاول ولا يستطيعون حفر شيء منها ، فتكون تعلم يا هرثمة إنما مدفني في الجهة الفلانية من الحد الفلاني بموضع عينه له عنده ، فإذا أنا مت وجهزت فاعلمه بجميع ما قلته لك ليكونوا على بصيرة من أمري ، وقل له إن أنا وضعت في نعشي وأرادوا الصلاة علي فلا يصلي عليَّ وليتأنَّ بي قليلاً فإنه يأتيكم رجل عربي ملثم على ناقة له مصرع من جهة الصحراء عليه وعثاء السفر فينيخ راحلته وينزل عنها ، فيصلي علي وصلوا معه علي فإذا فرغتم من الصلاة علي وحملتموني إلى مدفني الذي عينته لك ، فاحفر شيئاً يسيراً من وجه الأرض تجد قبراً مطبقاً معموراً في قعره ماء أبيض إذا كشفت عنه الطبقات نضب الماء ، فهذا مدفني ، فادفنوني فيه والله الله يا هرثمة أن تخبر بهذا أو بشيء منه قبل موتي ، قال هرثمة فوالله ما طالت الأناة حتى أكل الرضا عند الخليفة عنباً ورماناً مفتوناً فمات . عن أبي الصلت الهروي قال دخلت على الرضا وقد خرج من عند المأمون فقال يا أبا الصلت قد فعلوها وجعل يوحد الله ويمجده فأقام يومين ومات في اليوم الثالث قال هرثمة فدخلت على عبدالله المأمون لما رفع إليه موت أبي الحسن الرضا فوجدت المنديل في يده وهو يبكي عليه ، فقال يا أمير المؤمنين ثمَّ كلام أتأذن لي أن أقوله لك قال قل ، قلت إن الرضا اسر إلي في حياته بأمر وعاهدني أن لا أبوح به لأحد إلا لك عند موته وقصصت عليه القصة التي قالها لي من أولها إلى آخرها وهو متعجب من ذلك ، ثم أمر بتجهيزه وخرجنا بجنازته إلى المصلى وتأنينا بالصلاة عليه قليلاً

فإذا بالرجل قد أقبل على بعير من جهة الصحراء كما قال ونزل ولم يكلم أحداً ، فصلى عليه وصلّى الناس معه وأمر الخليفة بطلب الرجل فلم يروا له أثراً ولا لبعيره ، ثم إن الخليفة قال نحفر له من خلف قبر الرشيد ، فقلت له يا أمير المؤمنين ألم نخبرك بمقالته قال نريد ننظر إلى ما قلته ، فعجز الحافرون فكانت الأرض أصلب من الصخر الصوان ، وعجزوا عن حفرها وتعجب الحاضرون من ذلك وتبين للمأمون صدق ما قلته له عنه ، فقال ارني الموضع الذي أشار إليه فجئت بهم إليه ، فما كان إلا أن كشف التراب عن وجه الأرض فظهرت الأطباق فرفعناها فظهر من تحتها قبر معمول ، وإذا في قعره ماء أبيض وعلمت الخليفة فحفر وأبصره على الصفة التي ذكرتها له ، وأشرف عليه المأمون وأبصره ثم إن ذلك الماء نشف من وقته فواريناه ورددنا فيه الأطباق على حالها والتراب ، ولم يزل الخليفة المأمون يتعجب بما رأى ومما سمعه مني ويتأسف عليه ويندم ، وكلما خلوت في خدمته يقول لي يا هرثمة كيف قال لك أبو الحسن الرضا فأعيد عليه الحديث فيتلهف ويتأسف ويقول إنا لله و إنا إليه راجعون . قال بعض الأئمة من أهل العلم مناقب علي بن موسى الرضا من أجل المناقب وأمداد فضائله وفواضله متوالية كتوالي الكتائب ، وموالاته محمودة البوادي والعواقب وعجائب أوصافه من غرائب العجائب ، وسؤدده ونبله قد حل من الشرف في الذروة والمغارب فلمواليه السعد الطالع ولمناوئه النحس الغارب ، أما شرف آبائه فأشهر من الصباح المنير وأضوأ من عارض الشمس المستدير ، وأما أخلاقه وسماته وسيرته وصفاته ودلائله وعلاماته فناهيك من فخار وحسبك من علو مقدار ، جاز على طريقة ورثها عن الآباء وورثها عنه البنون فهم جميعاً في كرم الأرومة وطيب الجرثومة كأسنان المشط متعادلون ، فشرفاً لهذا البيت المعالي ارتبة ، السامي المحلة لقد طال السماء علا ونبلاً وسما على الفراقد منزلة ومحلاً ، واستوفى صفات الكمال فما يستثنى في شيء منه لغيره إلا انتظم هؤلاء الأئمة انتظام اللآلىء وتناسبوا في الشرف فاستوى المقدم والتالي ونالوا رتبة مجد يحبط عنها المقصر والعالي اجتهد عداتهم في خفض منازلهم والله يرفعه ، وركبوا الصعب والذلول في تشتيت شملهم والله يجمعه ، وكم ضيعوا من حقوقهم ما لا يهمله

الله ولا يضيعه . كانت وفاة علي بن موسى الرضا (عليـه السلام) بـطوس من خراسان في قرية يقال لها استيـاد في آخر صفـر سنة ثـلاث ومائتين ، ولـه من العمر يومئذٍ خمس وستون سنة وكانت مدة إمامته عشرون سنـة، كان أولهـا في بقية ملك الرشيد ثم ملك ولده محمد الأمين بعد ثلاث سنين وعشرين يـوماً ثم خلع الأمين وجلس مكانه عمه إبراهيم بن المهدي المعروف بابن شكلة أربعة عشـر يومـاً ثم اخرج محمـد الأمين وبويـع لـه وبقي سنـة وسبعـة أشهـر وقتله طاهر بن الحسين ثم ملك بعده المأمون عبدالله بن هارون الرشيد عشرين سنة واستشهد الرضا عليه السلام في أيامه . قال ابن الخشاب في كتابه مواليد أهل البيت ولد للرضا خمسة بنين وابنة واحدة أسمـاء أولاده محمد القـانع والحسن وجعفر وإبراهيم والحسين والبنت عائشة رضوان الله عليهم أجمعين .

الفصل التاسع

في ذكر أبي جعفر محمد الجواد بن علي الرضا (عليه السلام)

وهو الإمام التاسع وتاريخ ولادته ومدة إمامته ومبلغ عمره وحين وفاته وعدد أولاده وذكر نسبه وكنيته ولقبه وغير ذلك مما يتصل به :

قال صاحب كتاب مطالب السؤل في مناقب آل الرسول ، هو أبو جعفر الثاني فإنه تقدم في آبائه أبو جعفر محمد وهو الباقر بن علي فجاء هذا باسمه وكنيته فهو اسم جده فعرف بأبي جعفر الثاني وإن كان صغير السن فهو كبير القدر رفيع الذكر القائم بالإمامة بعد علي بن موسى الرضا ولده أبو جعفر محمد الجواد للنص عليه والإشارة له بها من أبيه كما أخبر بذلك جماعة من الثقات العدول . عن صفوان بن يحيى قال قلت للرضا قد كنا نسألك قبل أن يهب الله لك أبا جعفر من القائم بعدك فتقول يهب الله لي غلاماً وقد وهبك الله وأقر عيوننا به ، فإن كان كون ولا أرانا الله لك يوماً فإلى من ، فأشار بيده إلى أبي جعفر وهو قائم بين يديه وعمره إذذاك ثلاث سنين فقلت وهو ابن ثلاث قال وما يضر من ذلك فقد قام عيسى بالحجة وهو ابن أقل من ثلاث سنين .

وعن معمر بن خلاد ، قال سمعت الرضا (عليه السلام) يقول وذكر شيئاً فقال ما حاجتكم إلى ذلك هذا أبو جعفر قد أجلسته مجلسي وصيرته مكاني وقال إنا أهل بيت يتوارث أصاغرنا عن أكابرنا القذة بالقذة .

وعن الجبراني عن أبيه قال كنت واقفاً بين يدي أبي الحسن الرضا

بخراسان فقال قائل يا سيدي إن كان كـون إلى من ، فقال إلى ابني أبـو جعفر فكأن السائل استصغر من أبي جعفر ، فقال الرضا إن الله بعث عيسى بن مريم نبياً صاحب شريعة مبتدأة في أصغر من السن الذي فيه أبو جعفر .

ولد أبو جعفر محمد الجواد بالمـدينة تـاسع عشـر شهر رمضـان المعظم سنة خمس وتسعين ومائة للهجرة ، وأمـا نسبه أبـا وأما فهـو محمد الجـواد بن علي بن مـوسى الكـاظم بن جعفـر الصـادق بن محمـد البـاقـر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ، وأما أمه أم ولـد فيقال لها سكينة النوبية وقيل المريسية ، وأما كنيته فأبو جعفر كنية جده محمد الباقر وأما القـابه فالجواد والقانع والمرتضى وأشهرها الجواد ، صفته أبيض معتدل شاعره حمـاد بـوابه عمـرو بن الفرات ، نقش خـاتمـه نعم القـادر الله ، معـاصـره المـأمـون والمعتصم ، وأما مناقبه فقال الشيـخ كمال الـدين بن طلحة منـاقب أبي جعفر محمد الجواد ما اتسعت جلباب مجالها ولا امتدت أوقاف آجالها ، بـل قضت عليه الأقدار الإلٓهية بقلة بقائـه في الدنيـا بحكمها وسجـالها ، فقـل في الدنيـا مقامه وعجل عليه فيها حمامـه ، فلم تطل ليـاليه ولا امتـدت أيامـه غير أن الله خصه بمنقبة أنوارها متألقة في مطالع التعظيم ، وأخبارهـا مرتفعـة في معاريـج التفضيـل والتكريم ، وهي أن أبـا جعفر محمـد الجـواد لمـا تـوفي والـده أبـو الحسن الرضا وقدم الخليفة المأمون إلى بغـداد بعد وفـاته بسنـة ، اتـفـق أن المأمون خرج يوماً يتصيد فاجتاز بطرف البلد وثم صبيان يلعبون ، ومحمد الجواد واقف عنـدهم ، فلما أقبـل المأمـون فر الصبيـان ووقف محمد الجـواد وعمره إذاك تسع سنين ، فلما قرب منه الخليفة نظر إليه وكان الله تعالى القى في قلبه مسحة قبول ، فقال له يا غلام ما منعك أن لا تفر كما فر أصحابـك ، فقال لـه محمد الجواد مسرعاً يا أمير المؤمنين فر أصحابي فرقاً والـظن بك حسن ، إنـه لا يفر منك من لا ذنب له ، ولـم يكن الطريـق ضيقاً فانتحي عن أمير المؤمنين فأعجب المأمون كلامه وحسن صورته ، فقال ما اسمك يا غلام فقال محمد بن علي الرضا ، فترحم الخليفة على أبيه وساق جواده إلى نحو وجهته وكان معـه بزة الصيد فلمـا بعد عن العمـارة أخذ الخليفـة بازيـاً منها وأرسـل على دراجة

فغاب البازي عنه قليلاً ثم عاد وفي منقاره سمكة صغيرة وبها بقاء من الحياة ، فتعجب المأمون من ذلك غاية العجب ، ثم أنه أخذ السمكة في يده وكر راجعاً إلى داره وترك الصيد في ذلك اليوم وهو متفكر فيما صاده البازي من الجو ، فلما وصل موضع الصبيان وجدهم على حالهم ، ووجد محمداً معهم ، فتفرقوا على جاري عادتهم إلا محمد ، فلما دنا منه الخليفة قال يا محمد قال لبيك يا أمير المؤمنين ، قال ما في يدي؟فانطقه الله تعالى بأن قال « إن الله تعالى خلق في بحر قدرته المستمسك في الجو ببديع حكمته سمكاً صغاراً فصاد منها بزاة الخلفاء كي يختبر بها سلالة بيت المصطفى » فلما سمع المأمون كلامه تعجب منه وأكثر وجعل يطيل النظر فيه ، وقال أنت ابن الرضا حقاً ومن بيت المصطفى صدقاً، وأخذه معه وأحسن إليه وقربه وبالغ في إكرامه وإجلاله وإعظامه ، فلم يزل مشفقاً به لما ظهر له أيضاً بعد ذلك من بركاته ومكاشفاته وكراماته وفضله وعلمه وكمال عقله وظهور برهانه ، مع صغر سنه ولم يزل المأمون متوفراً على تبجيله وعطائه واجلا له وإكرامه إلى أن عزم على أنه يزوجه ابنته أم الفضل ، وصمم على ذلك ، فبلغ ذلك العباسيين فشق عليهم فاستكثروه وخافوا أن ينتهي الأمر إلى ما انتهى مع أبيه ، فاجتمع الأكابر من العباسيين الدالين على الخليفة ودخلوا عليه وقالوا ننشدك الله يا أمير المؤمنين إلا ما رجعت عن هذه النية وصرفت خاطرك عن هذا الأمر فإنا نخاف ونخشى أن يخرج عنا ملكنا ويبزغ عنا عز البسناه الله تعالى ويتحول إلى غيرنا ، وأنت تعلم ما بيننا وبين هؤلاء القوم ، وما كان عليه الخلفاء من بعدهم وقد كنا في وجلة من عملك مع الرضا كما عملت حتى كفانا الله تعالى الهم من ذلك ، فالله الله أن تردنا إلى غم قد انحسر عنا ، واصرف رأيك عن ابن الرضا واعدل إلى من رأيت من أهل بيتك ممن يصلح لذلك ، فقال لهم المأمون أما ما بينكم وبين آل أبي طالب فأنتم السبب فيه ، ولو انصفتم القوم لكانوا أولى بالأمر منكم، وأما ما كان من استخلاف الرضا فقد درج الرضا إلى رحمة الله وكان أمر الله قدراً مقدوراً ، وأما ابنه محمد فاخترته لتبريزه على كافة أهل الفضل في العلم والحلم والمعرفة والأدب مع صغر سنه فقالوا إن هذا

صبي صغير السن ، وأي علم له اليوم أو معرفة أو أدب ، دعه يتفقه يا أمير المؤمنين ثم اصنع به ما شئت ، قال كأنكم تشكون في قولي إن شئتم فاختبروه ، أو ادعوا من يختبره ثم بعد ذلك لوموا فيه أو اعذروا قالوا وتتركنا وذلك ، قال نعم قالوا فيكون ذلك بين يديك يترك من يسأله عن شيء من أمور الشريعة فإن أصاب لم يكن في أمره لنا اعتراض وظهر للخاصة والعامة سديد رأي أمير المؤمنين ، وإن عجز عن ذلك كفينا خطبه ، ولم يكن لأمير المؤمنين عذر في ذلك فقال لهم المأمون شأنكم وذلك متى أردتم ، فخرجوا من عنده واجتمع رأيهم على القاضي يحيى بن اكثم أن يكون هو الذي يسأله ويمتحنه ، وقرروا ذلك مع القاضي يحيى ووعدوه بأشياء كثيرة متى قطعه وأخجله ، ثم عادوا إلى المأمون وسألوه ان يعين لهم يوماً يجتمعون فيه بين يديه لمساءلته فعين لهم يوماً فاجتمعوا في ذلك اليوم بين يدي أمير المؤمنين المأمون ، وحضر العباسيون ومعهم القاضي يحيى بن أكثم وحضر خواص الدولة وأعيانها من امرائها وحجابها وقوادها، وأمر المأمون بأن يفرش لأبي جعفر محمد الجواد فرشاً حسناً وأن يجعل عليه مصورتان ، ففعل ذلك وخرج أبو جعفر فجلس بين المصورتين وجلس القاضي يحيى مقابله ، وجلس الناس في مراتبهم على قدر طبقاتهم ومنازلهم ، فاقبل يحيى بن أكثم على أبي جعفر فسأله عن مسائل اعدها له ، فأجاب بأحسن جواب وأبان فيها عن وجه الصواب بلسان ذلق ووجه طلق وقلب جسور ومنطق ليس بعيٍّ ولا حصور فعجب القوم من فصاحة لسانه وحسن اتساق منطقه ونظامه .

فقال له المأمون أجدت يا أبا جعفر فإن رأيت أن تسأل يحيى كما سألك ولو عن مسألة واحدة ، فقال ذلك إليه يا أمير المؤمنين فقال يحيى يجيء يسأل يا أمير المؤمنين فإن كان عندي في ذلك جواب أجبت به وإلا استفدت بالجواب والله أسأل أن يرشد للصواب .

فقال له أبو جعفر عليه السلام : ما تقول في رجل نظر إلى امرأة في أول النهار بشهوة فكان نظره إليها حراماً عليه ، فلما ارتفع النهار حلّت له ، فلما زالت الشمس حرمت عليه فلما كان وقت العصر حلت له ، فلما غربت

الشمس حرمت عليه ، فلما دخل وقت العشاء الأخرة حلت لـه ، فلما انتصف الليل حرمت عليـه فلما طلع الفجـر حلت له ، فبمـاذا حلت هذه المـرأة لهذا الرجل ، وبماذا حرمت عليه في هذه الأوقات؟

فقـال يحيى بن أكثم لا أدري ، فإن رأيت أن تفيدنـا بـالجـواب فـذلـك إليك .

فقال أبو جعفر هذه أمة لرجل من الناس نـظر إليها بعض من النـاس في أول النهار بشهوة ، فكان نظره إليها حراماً فلما ارتفع النهار ابتاعها من صاحبها فحلت له ، فلما كان وقت الظهر أعتقها فحرمت عليه ، فلما كان وقت العصـر تزوجها فحلت له ، فلما كـان وقت المغرب ظـاهر منهـا فحرمت عليـه ، فلما كـان وقت العشاء الآخـرة كفر عن الـظهار فحلت لـه ، فلما كـان نصف الليل طلقها طلقة واحدة فحرمت عليه ، فلما كان الفجر راجعها فحلت له .

فأقبل المأمون على أهل بيته قال هل فيكم أحد يستحضر أن يجيب عن هذه المسائل بمثل هذا الجواب .

فقـالوا ذلـك فضل الله يؤتيـه من يشاء ، فقـال قـد عـرفتم الآن مـا كنتم تنكرون وتبين في وجه القاضي يحيى الخجل والتغييـر عرف ذلـك كل من في المجلس .

فقـال المـأمـون الحمـد لله على مـا منَّ بـه علي من الســداد في الأمـر والتوفيق في الرأي ، وأقبل على أبي جعفر وقال إني مزوجـك ابنتي أم الفضل وإن رغم ذلك أنوف قوم ، فاخطب لنفسك فقد رضيتك لنفسي وابنتي ،

فقـال أبـو جعفـر الحمـد لله إقـراراً بنعمتـه ، ولا إلـه إلاَّ الله إخـلاصـاً لوحدانيته وصلّى الله على سيدنا محمد سيد بريتـه والأصفياء من عتـرته ، أمـا بعد فكان من فضل الله على الأنام أن أغناهم بالحلال عن الحرام فقـال تعالى : ﴿ وأنكحـوا الأيامى منكم والصـالحين من عبادكم وإمـائكم إن يكونـوا فقـراء

يغنهم الله من فضله والله واسع عليم﴾[1].

ثم أن محمد بن علي بن موسى خطب إلى أمير المؤمنين ابنته أم الفضل وقد بذل لها من الصداق مهر جدته فاطمة بنت محمد (ص) وهو خمسمائة درهم جياداً فهل زوجتني إياها يا أمير المؤمنين على هذا الصداق المذكور؟

فقال المأمون زوجتك ابنتي أم الفضل على هذا الصداق المذكور.

فقال أبو جعفر قبلت نكاحها على هذا الصداق المذكور .

قال الريان وأخرج الخدم مثل السفينة من الفضة المطلية بالذهب فيها الغالية مضروبة بأنواع الطيب وماء الورد والمسك فتطيب منها جميع الحاضرين على قدر منازلهم ومراتبهم ، ثم وضعت موائد الحلواء فأكل منها الحاضرون وفرقت عليهم الجوائز والعطيات على قدر طبقاتهم ، ثم انصرف الناس وتقدم المأمون بالصدقة على الفقراء والمساكين وأهل الأربطة والخوانق والمداوس ولم يزل عنده محمد الجواد مكرماً معظماً إلى أن توجه بزوجته أم الفضل إلى المدينة الشريفة .

روي أن أم الفضل بعد توجهها مع زوجها إلى المدينة كتبت إلى أبيها المأمون تشكو أبا جعفر وتقول إنه يتسرى علي ويعيرني فكتب إليها أبوها يا بنية أنا لم أزوجك أبا جعفر لتحرمي عليه حلالاً فلا تعاوديني لذكر شيء مما ذكرت .

وحكي أنه لما توجه أبو جعفر منصرفاً من بغداد إلى المدينة الشريفة خرج معه الناس يشيعونه للوداع ، فصار إلى أن وصل باب الكوفة عند دار المسيب فنزل هناك مع غروب الشمس ودخل إلى مسجد قديم مؤسس بذلك الموضع ليصلي فيه المغرب ، وكان في صحن المسجد شجرة نبق لم تحمل قط ، فدعا بكوز فيه ماء فتوضأ في أصل الشجرة وقام يصلي فصلّى معه الناس المغرب ، فقرأ في الأولى الحمد وإذا جاء نصر الله والفتح وقرأ في الثانية بالحمد وقل هو الله أحد ، ثم بعد فراغه جلس هنيهه يذكر الله تعالى وقام فتنفل بأربع ركعات وسجد بعدهن سجدتي الشكر ثم قام فوادع الناس

---

(١) سورة النور الآية ٣٢.

وانصرف ، فأصبحت النبقة وقد حملت من ليلتها حملاً حسناً فرآها الناس وقد تعجبوا من ذلك غاية العجب ثم ما كان هو أغرب وأعجب من ذلك أن نبقة هذه الشجرة لم يكن لها عجم فزاد تعجبهم من ذلك أكثر وأكثر . وهذا من بعض كراماته الجليلة ومناقبه الجميلة .

وعن أبي خالد قال كنت بالعسكر فبلغني أن هناك رجلاً محبوساً أتي به من الشام مكبلاً بالحديد ، وقالوا إنه تنبأ فأتيت باب السجن ودفعت شيئاً للسجان حتى دخلت عليه ، فإذا برجل ذا فهم وعقل وأدب فقلت يا هذا ما قصتك ، قال إني كنت رجلاً بالشام أعبد الله تعالى في الموضع الذي يقال إنه نصب فيه رأس الحسين (عليه السلام)، فبينما أنا ذات يوم في موضعي مقبل على المحراب اذكر الله ، إذ رأيت شخصاً بين يدي فنظرت إليه ، فقال قم فقمت معه فمشى قليلاً فإذا أنا في مسجد الكوفة فقال لي تعرف هذا المسجد ، قلت نعم هذا مسجد الكوفة قال فصلى فصليت معه ، ثم خرج فخرجت معه فمشى قليلاً فإذا نحن بمكة المشرفة فطاف بالبيت فطفت معه ثم خرج فخرجت معه فمشى قليلاً فإذا أنا بموضعي الذي كنت فيه بالشام ، ثم غاب عني فبقيت متعجباً مما رأيت ، فلما كان في العام المقبل وإذا بذلك الشخص قد أقبل علي فاستبشرت به فدعاني فأجبته ففعل بي كما فعل بالعام الماضي ، فلما أراد مفارقتي قلت له سألتك بحق الذي اقدرك على ما رأيت منك ، إلا ما أخبرتني من أنت فقال أنا محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، فحدثت بعض من كان يجتمع لي بذلك فرفع ذلك إلى محمد بن عبدالملك الزيات فبعث إلي من أخذني من موضعي وكبلني في الحديد وحملني إلى العراق وحبسني كما ترى وادعا علي بالمحال ، قلت له فارفع عنك قصة إلى محمد بن عبد الملك الزيات قال افعل ، فكتبت عنه قصة وشرحت فيها أمره ورفعتها إلى محمد بن عبد الملك فوقع على ظهرها قل للذي اخرجك من الشام إلى هذه المواضع التي ذكرتها يخرجك من السجن الذي أنت فيه، فقال ابن خالد فاغتممت لذلك وسقط في يدي وقلت إلى غد آتيه وآمره بالصبر وأعده من الله بالفرج

وأخبره بمقالة هذا الرجل المتجبر قال فلما كان من الغد باكـرت السجن ، فإذا أنا بالحرس والجند وأصحاب السجن وناس كثير في همرجـة فسألت مـا الخبر فقيل لي إن الرجل المتنبىء المحمول من الشام فقد البارحة من السجن وحده بمفرده وأصبحت قيوده والأغلال التي كانت في عنقـه مرمياً بها في السجن لا ندري كيف خلص منها، وطلب فلم يوجد له أثر ولا خبـر ولا يدرون أغمس في الماء أم عرج به إلى السماء فتعجبت من ذلك ، وقلت استخفاف ابن الـزيات بأمره واستهزاؤه بما وقـع به على قصتـه خلصه من السجن ، قـال ابن حمدون في كتابه التذكرة روي عن محمد بن علي بن موسى الرضا أنه قال كيف يضيع من الله كافله ، وكيف ينجو من الله طـالبه ، وعنـه أنه قـال من انقطع إلى غيـر الله وكله الله إليه ، ومن عمل على غير علم أفسد أكثـر مما يصلح ، وعنـه أنه قـال القصد إلى الله بـالقلوب أبلغ من إثبات الجـوارح بالأعمال. وروى عبـد العزيز بن الأخضر الجنابذي في كتابه معالم العترة النبوية اخباراً رواهـا الجواد محمد بن علي عن آبائـه عن علي بن أبي طالب (عليـه السلام) أنـه قال لمـا بعثني النبي (ص) إلى اليمن قال لي وهو يوصيني يا علي عليك بالدلجة فـإن الأرض تطوي بالليل مالا تطوي بالنهار ، يا علي عليـك بالبكـر فإن الله تعـالى بارك لأمتي في بكورها ، وعنه (عليه السلام) قال من استفاد أخـاً في الله فقد استفاد بيتاً في الجنة ، وعنه (عليه السلام) أنه قال لو كانت السموات والأرض رتقاً على عبد ثم اتقى الله تعالى لجعـل لـه منهـا مخرجاً ، وعنه (رض) أنه قـال لقيس بن سعد حين قـدم من مصر يـا قيس ان للمحن أخريـات لابـد أن ينتهى إليهـا ، فيجب على العاقـل أن ينام لهـا إلى أدبارهـا ، فـإن مكـابـدتهـا بـالحيلة عند إقبـالها زيـادة فيها ، وقـال (عليه السـلام) إنه من وثق بـالله أراه السرور ، ومن توكـل على الله كفاه الأمـور ، والثقة بـالله حصن لا يتحصن فيه إلّا المؤمن ، والتـوكل على الله نجـاة من كـل سـوء ، وحـرز من كـل عـدو ، والـدين عز ، والعلم كنـز ، والصمت نور ، وغـاية الـزهد الـورع ، ولا هـدم للدين مثل البدع ، ولا أفسد الرجـال من الطمـع ، وبالـراعي تصلح الرعيـة ، وبالدعاء تصرف البلية ، ومن ركب مركب العمـر اهتدى إلى مضمـار النصر ، ومن شتم أجيب ، ومن غـرس أشجار التقى اجتنى أثمـار المنى ، وقال (عليـه

السلام) أربع خصال تعين المرء على العمل الصحة والغنى والعلم والتوفيق ، وقال (عليه السلام) إن الله عباده يخصهم بدوام النعم فلا تزال فيهم ما بدلوا لها فإذا منعوها نزعها عنهم ، وحولها إلى غيرهم وقال (عليه السلام) ما عظمت نعم الله على أحد إلا عظمت إليه حوائج الناس، فمن لم يحتمل تلك المؤونةعرض تلك النعمة للزوال ، وقال (عليه السلام) أهل المعروف إلى اصطناعه أحوج من أهل الحاجة إليه، لأن لهم أجرهم وفخره وذكره فما اصطنع الرجل من معروف فإنما يبدأ فيه بنفسه ، وقال (رض) من أمّل إنساناً هابه ومن جهل شيئاً عابه ، والفرصة خلسة ، ومن كثر همه سقم جسده ، وعنوان صحيفة المسلم حسن خلقه، وقال (عليه السلام) في موضع آخر، عنوان صحيفة السعيد حسن الثناء عليه ، وقال (عليه السلام) الجمال في اللسان والكمال في العقل ، وقال (عليه السلام) العفاف زينة الفقر والشكر زينة الغنى ، والصبر زينة البلا والتواضع زينة الحسب ، والفصاحة زينة الكلام ، والحفظ زينة الرواية ، وخفض الجناح زينة العلم ، وحسن الأدب زينة العقل ، وبسط الوجه زينة الكرم ، وترك المن زينة المعروف ، والخشوع زينة الصلاة ، والتنفل زينة القناعة وترك ما لا يعني زينة الورع . وقال (عليه السلام) حسب المرء من كمال المروة أن لا يلقى أحداً بما يكره ، ومن حسن خلق الرجل كفه أذاه ، ومن سخائه بره بمن يجب حقه عليه ، ومن كرمه إيثاره على نفسه ، ومن صبره قلة شكواه ، ومن عقله انصافه من نفسه ، ومن انصافه قبول الحق إذا بان له ومن نصحه نهيه عما لا يرضاه لنفسه ، ومن حفظه لجوارك تركه توبيخك عند اشنانك مع علمه بعيوبك ، ومن رفقه تركه عذلك بحضرة من تكره ومن حسن صحبته لك كثرة موافقته وقلة مخالفته ، ومن شكره معرفته إحسان من أحسن إليه ومن تواضعه معرفته بقدره ، ومن سلامته قلة حفظه لعيوب غيره وعنايته بصلاح عيوبه ، وقال (عليه السلام) العالم بالظلم والمعين عليه والراضي شركاء . وقال (عليه السلام) يوم العدل على الظالم أشد من يوم الجور على المظلوم. وقال (عليه السلام) من أخطأ وجوه المطالب خذلته وجوه الحيل ، والطامع في وثاق الذل ومن طلب البقاء فليعد للمصائب قلباً صبوراً . وقال (عليه السلام) العلماء غربا لكثرة الجهال

بينهم. وقال الصبر على المصيبة مصيبة للشامت . وقال (عليـه السلام) ثـلاث يبلغن بالعبد رضوان الله تعالى : كثـرة الاستغفار ولين الجـانب وكثرة الصـدقة وثلاث من كن فيه لم ينـدم: ترك العجلة، والمشـورة، والتوكـل على الله عند العزم. وقال (عليه السلام) لو سكت الجاهـل ما اختلف النـاس . وقال (عليـه السلام) مقتل الرجل بين فكيـه والرأي مـع الاناءة وبئس الـظهر وبئس الـظهير الـرأي القصير الـرأي الفطيـر. وقال (عليـه السلام) ثـلاث خصال تجلب بهن المـودة : الانصاف في المعـاشرة والمـواسـاة في الشـدة والانـطواء على قلب سليم . وقال (عليه السلام) الناس أشكـال، وكل يعمـل على شاكلتـه والناس اخوان فمن كانت اخوته في غير ذات الله تعالى فإنها تعود عداوة ، وذلك قولـه عز وجل : ﴿ الاخلاء بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ﴾ .

وقال عليه السلام من استحسن قبيحاً كان شريكاً فيه .

وقـال عليه السـلام كفر النعمـة داعية المقت ومن جـازاك بـالشكـر فقـد أعطاك أكثر مما أخذ منك.

وقال عليه السلام لا تفسد الـظن على صديق قـد اصلحك اليقين لـه ، ومن وعظ أخاه سراً فقد زانه ومن وعظه علانية فقد شانه .

وقـال عليه السـلام لا زال العقل والحمق يتغـالبان على الـرجـل إلى أن يبلغ ثماني عشرة سنة ، فإذا بلغهـا غلب عليه أكثـرها فيـه ، وما أنعم الله على عبد نعمة فعلم أنها من الله إلا كتب الله على اسمه شكرها له قبل أن يحمده ، ولا أذنب العبد ذنباً فعلم أن الله يطلع عليه إن شـاء عذبـه وإن شاء غفـر له إلا غفر له قبل أن يستغفر .

وقال عليه السـلام كل الشـريف من شرفـه علمه ، والسؤدد كـل السؤدد لمن اتقى الله ربه .

وقال عليه السلام لا تعالجوا الأمر قبـل بلوغه فتنـدموا ولا يـطول عليكم الأمد فتقسو قلوبكم وارحموا ضعفاءكم واطلبوا من الله الرحمة بالرحمة فيهم .

وقال عليه السلام من أمَّل فاجراً كان أدنى عقوبته الحرمان .

وقال (عليه السلام) موت الإنسـان بالـذنوب أكثـر من موتـه بالأجـل ، وحياته بالبر أكثر من حياته بالعمر. آخر ما نقل من كتاب الجنابذي (ره) .

قبض أبـو جعفر محمـد الجواد بن علي الـرضا (عليـه السلام) ببغـداد وكـان سبب وصولـه إليها إشخـاص المعتصم له من المـدينة فقـدم بغداد مـع زوجته أم الفضل بنت المـأمون لليلتين بقيتـا من المحرم سنـة عشرين ومـائتين وتوفي بها في آخر ذي القعدة الحرام وقيل تـوفي بها يـوم الثلاثـاء لست خلون من ذي الحجة من السنة المـذكورة ودفن في مقـابر قـريش في ظهر جـده أبي الحسن مـوسىٰ الكاظم ودخلت امـرأته أم الفضـل إلى قصر المعتصم فجعلت مع الحرم ، وكان له من العمر خمس وعشرون سنة وأشهر وكانت مدة إمـامته سبع عشر سنة أولها في بقيـة ملك المأمـون وآخرهـا في ملك المعتصم ويقال إنه مات مسموماً ، وخلف من الولد عليـاً الإمام ومـوسى وفاطمـة وأمامة، ابنين وابنتين .

الفصل العاشر

في ذكر أبي الحسن علي المعروف بالعسكري (عليه السلام)

وهو الإمام العاشر وتاريخ ولادته ومدة إمامته ومبلغ عمره وحين وفاته وعدد أولاده وذكر نسبه وكنيته ولقبه وغير ذلك مما يتصل به .

قال صاحب الإرشاد: الإمام بعد أبي جعفر ابنه أبو الحسن علي بن محمد لاجتماع خصال الإمامة فيه ولتكامل فضله وعلمه وأنه لا وارث لمقام أبيه سواه ولثبوت النص عليه من أبيه .

وعن إسماعيل بن مهران ، قال لما خرج أبو جعفر محمد الجواد من المدينة إلى بغداد بطلبة المعتصم قلت له عند خروجه جعلت فداك إني أخاف عليك من هذا الوجه فإلى من الأمر بعدك ، فبكى حتى بل لحيته ثم التفت إلي فقال الأمر من بعدي لولدي علي .

قال ابن الخشاب في كتابه مواليد أهل البيت عليهم السلام ولد أبو الحسن علي العسكري في رجب سنة أربع عشرة ومائتين من الهجرة ، وأما نسبه أبا وأماً فهو علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، وأما أمه فأم ولد يقال لها سمانة المغربية وقيل غير ذلك وأما كنيته فأبو الحسن لا غير ، وأما ألقابه فالهادي والمتوكل

والناصح والمتقي والمرتضى والفقيه والأمين والطيب ، وأشهرها الهادي والمتوكل وكان يأمر أصحابه أن يعرضوا عن تلقيبه بالمتوكل ، لكونه يومئذٍ لقباً للخليفة جعفر المتوكل بن المعتصم ، صفته اسمر اللون شاعره العوفي والديلمي بوابه عثمان بن سعيد نقش خاتمه الله ربي وهو عصمتي من خلقه معاصره الواثق ثم المتوكل أخوه ثم ابنه المنتصر ثم المستعين ابن أخ المتوكل ، وأما مناقبه فقال الشيخ كمال الدين بن طلحة ، فمنها ما حل في الآذان محل جلاها باتصافها واكتناف اللئاليء اليتيمة بأصدافها ، وشهد لأبي الحسن علي الرابع أن نفسه موصوفة بنفائس أوصافها ، وأنه نازل في الدرجة النبوية في دار أشرافها وشرفات اغرافها ، فمن ذلك أن ابا الحسن كان قد خرج يوماً من سر من رأى إلى قرية لمهم عرض له ، فجاء رجل من بعض الأعراب يطلبه في داره فلم يجده ، وقيل له إنه ذهب إلى الموضع الفلاني فقصده إلى موضعه فلما وصل إليه قال له ما حاجتك ، فقال له أنا رجل من أعراب الكوفة المستمسكين بولاء جدك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، وقد ركبتني ديون فادحة اثقل ظهري حملها ، ولم أر من اقصده لقضائها سواك فقال له أبو الحسن كم دينك ، فقال نحو العشرة الآف درهم ، فقال طب نفساً وقر عيناً يقضى دينك إن شاء الله تعالى ، ثم أنزله فلما أصبح قال له يا أخا العرب أريد منك حاجة لا تعصاني فيها ولا تخالفني والله الله فيما أمرك به وحاجتك تقضى إن شاء الله تعالى ، فقال الأعرابي لا أخالفك في شيء مما تأمرني به ، فأخذ أبو الحسن ورقة وكتب فيها بخطه ديناً عليه للأعرابي بالمذكور ، وقال خذ هذا الخط معك فإذا حضرت سر من رأى فتراني أجلس مجلساً عاماً فإذا حضر الناس أو احتفل المجلس فتعال إليّ بالخط وطالبني واغلظ علي في القول ولا عليك والله الله إن تخالفني في شيء مما أوصيك به ، فلما وصل أبو الحسن إلى سر من رأى جلس مجلساً عاماً ، وحضر عنده جماعة من وجوه الناس وأصحاب الخليفة المتوكل وأعيان البلد وغيرهم ، فجاء ذلك الأعرابي وأخرج الخط وطالبه بالمبلغ المذكور وأغلظ عليه في الكلام ، فجعل أبو الحسن يعتذر إليه ويطيب نفسه بالقول ويعده بالخلاص عن قريب ، وكذلك الحاضرون ، وطلب منه المهلة ثلاثة أيام فلما

انفك المجلس نقل ذلك الكلام إلى الخليفة المتوكل فأمر لأبي الحسن على الفور بثلاثين ألف درهم ، فلما حملت إليه تركها إلى أن جاء الأعرابي فقال له خذ هذا المال فاقض منه دينك واستعن بالباقي على وقتك والقيام على عائلتك، فقال الأعرابي يابن رسول الله، والله إن في العشرة آلاف بلوغ مطلبي ونهاية أربي وكفاية لي ، فقال أبو الحسن والله لتأخذن ذلك جميعه وهو رزقك الذي ساقه الله إليك ولو كان أكثر من ذلك ما نقصناه فأخذ الأعرابي الثلاثين ألف درهم وانصرف وهو يقول الله أعلم حيث يجعل رسالته .

وعن الوشا عن جبران الأسباطي قال قدمت على أبي الحسن علي بن محمد بالمدينة الشريفة النبوية من العراق ، فقال لي ما خبر الواثق عندك قلت خلفته في عافية وأنا من أقرب الناس عهداً به ، وهذا مقدمي من عنده وتركته صحيحاً سوياً قال إن الناس يقولون إنه قد مات ، فلما قال لي إن الناس يقولون علمت أنه يعني نفسه ، فسكت فقال لي ما فعل ابن الزيات ، قلت الناس معه والأمر أمره ، فقال أما أنه شؤم عليه ، ثم قال لابد أن تجري مقادير الله وأحكامه يا جبران ، مات الواثق وقعد جعفر المتوكل وقتل ابن الزيات ، فقلت متى جعلت فداك ، فقال بعد خروجك بستة أيام ، فما كان إلا أيام قلائل حتى وصل قصاد المتوكل إلى المدينة فكان كما قال (عليه السلام) .

وحكي أن سبب شخوص أبي الحسن علي بن محمد من المدينة إلى سر من رأى ، أن عبدالله بن محمد كان ينوب عن الخليفة المتوكل الحرب والصلاة بالمدينة الشريفة ، فسعى بأبي الحسن إلى المتوكل وكان يقصده بالأذى ، فبلغ أبو الحسن سعايته فكتب إلى المتوكل يذكر تحامل عبدالله بن محمد عليه وقصده له بالأذى ، فتقدم المتوكل بالكتابة إليه وأجابه عن كتابه وجعل يعتذر إليه فيه ويلين له القول ، ودعاه فيه إلى الحضور إليه على جميل من القول والفعل ، وكانت صورة الكتاب الذي كتبه إليه المتوكل بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد إن أمير المؤمنين عارف بقدرك راع لقرابتك موجب لحقك ، مؤثر من الأمور فيك وفي أهل بيتك لما فيه صلاح حالك وحالهم ، ويثبت عزك وعزهم وإدخال الأمر عليك وعليهم ، يبتغي بذلك رضا الله وأداء

ما افترضه عليه فيك وفيهم ، وقد رأى أمير المؤمنين صرف عبدالله بن محمد عما كان يتولاه من الحرب والصلاة إذ كان على ما ذكرت من جهالته بحقك واستخفافه ، ولما رماك به وعزاك إليه من الأمل الذي قد علم أمير المؤمنين براءتك منه ، ولما تبين له من صدق نيتك وحسن طويتك وسلامة صدرك وإنك لم تؤهل نفسك بشيء مما ذكره عنك وقد ولى أمير المؤمنين مما كان يليه عبدالله بن محمد من الحرب والصلاة بمدينة الرسول (ص) لمحمد بن فضل ، وأمره بإكرامك واحترامك وتوقيرك وتجليلك والانتهاء إلى أمرك ورأيك وعدم مخالفتك والتقرب إلى الله تعالى وإلى أمير المؤمنين بذلك ، وأمير المؤمنين مشتاق إليك ويحب إحداث العهد بقربك والتيمن بالنظر إلى ميمون طلعتك المباركة ، فإن نشطت لزيارته والمقام قبله وفي جهته ما احببت احضرت أنت ومن اخترته من أهل بيتك ومواليك وحشمك وخدمك على مهلة وطمأنينة ترحل إذا شئت وتنزل إذا شئت وتسير كيف شئت ، وإن أجبت وحسن رأيك أن يكون يحيى بن هرثمة بن أعين مولى أمير المؤمنين في خدمتك ومن معه من الجند يرحلون لرحيلك وينزلون لنزولك فالأمر إليك في ذلك ، وقد كتبت إليه في طاعتك وجميع ما تحب ، فاستخر الله تعالى فما أحد عند أمير المؤمنين من أهل بيته وولده وخاصته ألطف منزلة ولا أحمد أثرة ولا هو أنظر إليهم لربهم وأشفق عليهم ، وأسكن إليهم منك إليه، والسلام، عليك ورحمة الله وبركاته. وكتبه إبراهيم بن العباس في شهر كذا سنة ثلاث وأربعين ومائتين من الهجرة ، فلما وصل الكتاب إلى أبي الحسن (عليه السلام) تجهز للرحيل وخرج معه يحيى بن هرثمة مولى أمير المؤمنين ومن معه من الجند حافين به إلى أن وصل إلى سر من رأى ، فلما وصل إليها تقدم المتوكل بأن يحجب عنه فنزل في خان يعرف بخان الصعاليك وقام فيه يومه ، ثم إن المتوكل أفرد له داراً حسنة وأنزله أياماً ، فأقام أبو الحسن مدة مقامه بسر من رأى مكرماً معظماً مبجلاً في ظاهر الحال والمتوكل يبتغي له الغوائل في باطن الأمر فلم يقدره الله تعالى عليه .

وعن علي بن إبراهيم الطايفي ، قال مرض المتوكل من خراج خرج

يحلقـه فأشـرف على الهلاك ، ولم يتجـرأ أحد أن يمسـه بحديـد ، فنذرت أم المتوكل لأبي الحسن علي بن محمـد إن عوفي ولـدها من هـذه العلة لتعطينـه مالاً جليلاً من مالها ، فقال الفتح بن خاقان للمتوكل لو بعثت إلى هذا الـرجل يعني أبا الحسن فسألته فربما كان على يده فرج لك ، فقال ابعثـوا إليه فمضى إليـه رسول المتـوكل فقـال خذوا كسب الغنم ودبغـوه بماء الـورد وضعوه على الجراح ينفتح من ليلته بأهـون ما يكـون ويكون في ذلـك شفاؤه، إن شـاء الله تعـالى ، فلما عـاد الرسـول وأخبرهم بمقـالته جعـل من يحضـر المتـوكـل من خواصه يهزأ من هذا الكلام ، فقال الفتح وما يضر من تجربـة ذلك فـإني والله لأرجو به الصلاح فعملوه ووضعوه على الجراح فانفتح من ليلته وخرج كل ما فيه فشفي المتوكل من الألم الذي كان يجـده ، فأخـذت أم المتوكـل عشرة آلاف دينـار من مالهـا ووضعتهـا في كيس وختمت عليـه وبعثت بـه إلى أبي الحسن فأخذها ، وبعث إليه المتوكل بفضله كيساً فيه خمسمـائة دينـار ، ثم بعد ذلـك بمدة طويلة كبيرة سعى شخص يقال له البطحاني لعنه الله بـأبي الحسن (عليه السلام) إلى المتوكل وقال عنده أموال وسلاح وعدد ولا آمن خروجه عليـك ، فتقـدم المتوكـلُ إلى سعيد الحـاجب بأن يهجم عليـه ليلاً داره في جمـاعة من الرجال والشجعان ، ويأخذ جميع ما يجده عنـده من الأموال والسـلاح ويحمله إليه ، قال إبراهيم بن محمد قال لي سعيد الحاجب سرت إلى دار أبي الحسن ليلاً بعد أن هجع الناس في جماعة من الرجال الأنجاد ومعي الأعوان بالسلالم فصعدنا إلى سطح داره وفتحنا الباب وهجمنا بالشموع والسرج والنيران وفتشنـا الدار جميعاً أعلاها وأسفلها موضعاً موضعاً ومكاناً مكاناً فلم نجد فيها شيئاً مما سعى به عليه غير كيسين أحدهما كبير ملآن مختوم ، والآخر صغير فيـه فضله وسيف واحـد في جفير خلق معلق ، ووجـدنـا أبـا الحسن قـائمـاً يصلي على حصير وعليه جبة صوف وقلنسـوة ولم يرتـع لشيء مما نحن فيـه ولا اكترث ، فـأخذت الكيسين والسيف وسـرت إلى المتوكـل فـدخلت عليـه ، وقلت هـذا الـذي وجـدنـا من المـال والسـلاح وأخبـرتـه بمـا فعلت وبمـا رأيت من أبي الحسن ، فوجد على الكيس الملآن ختم أمه فطلبها وسألها عنه ، فقالت كنت نذرت في علتك إن عافاك الله منهـا لأعطين أبـا الحسن عشرة آلاف دينـار من

مـالي فحملتها إليـه في هذا الكيس وهـذا ختمي عليها ، فـأضـاف المتـوكـل خمسمائة دينار أخرى إلى الخمسمـائة التي كـانت في الكيس الصغير من قبـل وقال لسعيد الحاجب أردد الكيسين والسيف واعتذر لنا فيه مما كان منـا إليه ، قال سعيد فرددت ذلك إليه وقلت له أميـر المؤمنين يعتذر إليـك مما جـرى منه وقـد زادك خمسمائـة دينار على الخمسمـائـة دينـار التي كـانت في الكيس من قبل ، واشتهي منك يا سيدي أن تجعلني أنا الآخر في حل فإني عبد مأمور ولا أقدر على مخالفة أمير المؤمنين فقال لي يا سعيد : « وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون »[1] .

قـال بعض أهـل العلم فضـل أبي الحسن علي بن محمـد الهــادي قـد ضرب على الحرة قبابه ومد على نجوم السماء أطنابـه، فما تعـد منقبة إلا وإليـه نحيلتهـا ولا تذكـر كريمـة إلا وله فضيلتهـا، ولا تورد محمـدة إلا وله تفضلهـا وجملتها ولا تستعظم حالة سنية إلا وتظهر عليه ادلتهـا ، استحق ذلك بمـا في جوهر نفسه من كرم تفرد بخصائصه ومجد حكم فيه على طبعه الكـريم بحفظه من الشـرب حفظ الراعي لقـلايصه؛ فكـانت نفسه مهـذبة وأخـلاقه مستعـذبة وسيرته عادلة وخلاله فاضلة ومياره إلى العفاة واصلة ، وزموع المعروف بوجود جـوده عامـرة آهلة ، جرى من الـوقار والسكـون والطمـأنينـة والعفـة والنـزاهـة والخمول في النباهة على وتيرة نبوية وشنشنة علوية ونفس زكية وهمة عليه ، لا يفارقها بها أحد من الأنام ولا يدانيها ، وطريقة حسنة لا يشـاركه فيهـا خلق ولا يطمع فيها .

قبض أبو الحسن علي الهادي (عليه السلام) المعروف بالعسكري ابن محمـد الجواد بسـر من رأى في يـوم الإثنين الخـامس والعشـرين من جمـادى الآخر سنة أربع وخمسين ومائتين ، ودفن في داره بسـر من رأى وله يـومئذٍ من العمر أربعون سنة ، وكان المتوكل قد اشخصه من المدينة النبوية إلى سـر من رأى مع يحيى بن هرثمة بن أعين في سنة ثلاث وأربعين ومائتين كما قدمنـا ،

(١) سورة الزخرف الآية ٦٧.

فأقام بها حتى مضى لسبيله إحدى عشرة سنة وكـانت مدة إمـامته ثـلاثاً وثلاثين سنـة كانت أوائـل إمامتـه في بقية ملك المعتصم ثم ملك الـواثق خمس سنين وتسعة أشهر ، ثم ملك المتوكل أربع عشرة سنة ، ثم ملك ابنه المنتصـر ستة أشهر ، ثم ملك المستعين ابن أخي المتوكل ولم يكن أبوه خليفـة ثلاث سنين وتسعة أشهر ، ثم ملك المعتز وهو الزبير بن المتوكل استشهـد في آخر ملكـه أبو الحسن ، لأنه كان يقال أنه كان مات مسموماً والله أعلم ، خلف من الولـد أبـا محمد الحسن ابنـه وهو الإمـام من بعده والحسين ومحمـداً وجعفراً وابنـة اسمها عائشة سقا الله ثراهم شآبيب الرحمة والرضوان وأسكن محبهم فـراديس لجنان .



الفصل الحادي عشر

في ذكر أبي محمد الحسن الخالص بن علي العسكري (عليه السلام)

وهو لإمام الحادي عشر وتاريخ ولادته ووقت وفاته وذكر ولده ونسبه وكنيته ولقبه وغير ذلك مما يتصل به.

قال صاحب الإرشاد[1] الإمام القائم بعد أبي الحسن علي بن محمد ابنه أبو محمد الحسن لاجتماع خلال الفضل فيه وتقدمه على كافة أهل عصره فيما يوجب له الإمامة ويقضي له بالمرتبة من العلم والورع والزهد وكمال العقل وكثرة الأعمال المقربة إلى الله تعالى، ثم لنص أبيه عليه وإشارته بالخلافة إليه.

قال صاحب الإرشاد رحمه الله تعالى أيضاً الإمام المنتصب بعد أبي الحسن ابنه أبو محمد الحسن لثبوت النص عليه من أبيه، وعن يحيى بن يسار العنبري قال أوصى أبو الحسن علي بن محمد إلى ابنه أبي محمد الحسن قبل موته بأربعة أشهر، وأشار إليه بالأمر من بعده وأشهدني على ذلك وجماعة من الموالي. وولد أبو محمد الحسن بالمدينة لثمان خلون من ربيع الآخر سنة أثنتين وثلاثين ومائتين للهجرة. أما نسبه أباً وأماً فهو الحسن الخالص بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب

---

(١) إرشاد المفيد ٣٣٤.

صلوات الله عليهم أجمعين . وأما أمه فأم ولد ، يقال لها حداث وقيل سوسن ، وأما كنيته فأبو محمد وأما لقبه فالخالص والسراج والعسكري ، وكان هو وأبوه وجده كل واحد منهم يعرف في زمانه بابن الرضا ، وصفته بين السمرة والبياض شاعره ابن الرومي بوابه عثمان بن سعيد ، نقش خاتمه سبحان من له مقاليد السموات والأرض ، معاصره المعتز والمهدي والمعتمد ، وأما مناقبه فقال الشيخ كمال الدين بن طلحة كفى أبا محمد الحسن شرفاً أن جعل الله تعالى محمد المهدي من كسبه وأخرجه من صلبه وجعله معدوداً من حزبه ، ولم يكن لأبي محمد ذكر سواه وحسب ذلك منقبته وكفاه ، ولم تطل مدته أيام مقامه ومثواه ولا امتدت أيام حياته فيها لتظهر للناظرين مآثره ومزاياه .

وعن أبي الهيثم بن عدي قال لما أمر المعتز بحمل أبي محمد الحسن إلى الكوفة ، كتبت إليه ما هذا الخبر الذي بلغنا فأقلقنا وغمنا فكتب بعد ثلاث يأتيكم الفرج إن شاء الله تعالى ، فقتل المعتز في اليوم الثالث ، وعن أبي هاشم قال سمعت أبا محمد الحسن يقول إن في الجنة باباً يقال له باب المعروف لا يدخله إلا أهل المعروف فحمدت الله في نفسي وفرحت بما اتكلف به من حوائج الناس ، فنظر إلي وقال يا أبا هاشم دم على ما أنت عليه فإن أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة ، وعنه أيضاً قال سمعت أبا محمد الحسن (رض) يقول بسم الله الرحمن الرحيم أقرب إلى اسم الله الأعظم من سواد العين إلى بياضها ، وعن أبي هاشم قال سمعت أبا محمد يقول من الذنوب التي يخشى على الرجل أن لا تغفر له قوله ليتني لم أؤاخذ إلا بهذا الذنب ، قلت في نفسي إن هذا النظر دقيق قد ينبغي للرجل أن يتفقد من نفسه كل شيء قال فأقبل علي وقال صدقت يا أبا هاشم . وعن محمد بن حمزة الدوري قال كتبت على يدي أبي هاشم داود بن القاسم وكان لي مؤاخياً ، إلى أبي محمد الحسن اسأله أن يدعو الله لي بالغنى وكنت قد بلغت وقلت ذات يدي وخفت الفضيحة ، فخرج الجواب على يده أبشر فقد أتاك الغنى ،غنى الله تعالى مات ابن عمك يحيى بن همزة وخلف مائة ألف درهم

ولـم يترك وارثاً سواك وهي واردة،عليك بالاقتصاد وإياك والإسراف ، فورد علي المال والخبر بموت ابن عمي كما قال عن أيام قـلائل وزال عني الفقـر فأديت حق الله تعالى وبررت إخواني وتماسكت بعد ذلك وكنت مبذراً. وعن اسماعيل بن محمـد بن علي بن اسماعيـل بن علي بن عبدالله بن العبـاس قـال قعـدت لأبي محمد الحسن على باب داره حتى خرج ، فقمت في وجهه وشكوت إليه الحـاجة والضـرورة وأقسمت أني لا أملك الدرهم فمـا فوقـه فقـال تقسم وقـد دفنت مائتي دينار،وليس قولي هذا دفعا لك عن العطية اعطه يا غـلام ما معـك فأعطاني الغلام مائة دينار فشكـرت له تعـالى ووليت فقال مـا أخوتني أن تفقـد المائتي دينار أحوج ما تكون إليها ، فذهبت إليها فافتقدتهـا في مكانهـا فنقلتها إلى مـوضـع آخـر ودفنتهـا من حيث لا يـطلع أحـد ، ثم قعـدت مـدة طـويلة فاضطررت إليها فجئت أطلبها في مكانها فلم أجـدها فجننت وشق ذلـك علي فوجدت ابناً لي قد عرف مكانها وأخذها وأبعدها ولم يحصل لي شيء ، فكان كمـا قال . وحـدث أبو هـاشم داود بن القسم الجعفري قـال كنت في الحبس الـذي بالجـو شق أنا والحسن بن محمـد العتيقي ومحمد بن إبـراهيم العمري وفلان وفلان خمسة ستة من الشيعة ، إذ دخل علينا أبو محمد الحسن بن علي العسكري عليهما السلام وأخوه جعفر فحففنا بأبي محمد وكان المتولي لحبسه صالح بن الوصيف الحاجب ، وكان معنا في الحبس رجل جمحي فالتفت إلينا أبو محمد وقال لنا سـراً لولا أن هـذا الرجـل فيكم لاخبرتكم متى يفرج عنكم، وترى هذا الرجل فيكم قد كتب فيكم قصته إلى الخليفة يخبره فيها بما تقولون فيه وهي مدسوسة معه في ثيابه يريد أن يوسـع الحيلة في إيصالهـا إلى الخليفة من حيث لا تعلمون فاحـذروا شرّه، قـال أبو هـاشم فما تمـالكنا أن تحـاملنا جميعاً على الرجل ففتشناه فوجدنا القصة مدسوسـة معه بين ثيـابه وهـو يذكـرنا فيها بكل سوء فأخذناهـا منه وحـذرناه ، وكـان الحسن يصوم في السجن فـإذا افطر أكلنا معه من طعامه وكان يحمله إليه غلامه في جونـة مختومـة ، قال أبـو هاشم فكنت أصوم معه فلما كـان ذات يوم ضعفت من الصـوم فأمـرت غلامي فجاءني بكعك فـذهبت إلى مكان خـال في الحبس فأكلت وشـربت ثم عدت إلى مجلسي مع الجماعـة ولم يشعر بي أحـد ، فلما رآني تبسم وقـال افطرت

فخجلت ، فقال لا عليك يا أبا هاشم إدا رأيت أنك قد ضعفت وأردت القوة فكل اللحم فإن الكعك لا قوة فيه ، وقال عزمت عليك أن تفطر ثلاثاً فإن البنية إذا انهكها الصوم لا تتقوى إلا بعد ثلاث ، قال أبو هاشم ثم لم تطل مدة أبي محمد الحسن في الحبس إلا أن قحط الناس بسر من رأى قحطاً شديداً ، فأمر الخليفة المعتمد على الله ابن المتوكل بخروج الناس إلى الاستسقاء فخرجوا ثلاثة أيام يستسقون ويدعون فلم يسقوا ، فخرج الجاثليق في اليوم الرابع إلى الصحراء وخرج معه النصارى والرهبان وكان فيهم راهب كلما مد يده إلى السماء ورفعها هطلت بالمطر ، ثم خرجوا في اليوم الثاني وفعلوا كفعلهم أول يوم فهطلت السماء بالمطر وسقوا سقياً شديداً حتى استعفوا، فعجب الناس من ذلك وداخلهم الشك وصفا بعضهم إلى دين النصرانية فشق ذلك على الخليفة فأنفذ إلى صالح بن وصيف أن أخرج أبا محمد الحسن بن علي من السجن وائتني به فلما حضر أبو محمد الحسن عند الخليفة قال له أدرك أمة محمد فيما لحق بعضهم في هذه النازلة، فقال أبو محمد دعهم يخروجون غداً اليوم الثالث قال قد استعفى الناس من المطر واستكفوا فما فائدة خروجهم قال لأزيل الشك عن الناس وما وقعوا فيه من هذه الورطة التي افسدوا فيها عقولاً ضعيفة ، فأمر الخليفة الجاثليق والرهبان أن يخرجوا ايضاً في اليوم الثالث على جاري عادتهم وأن يخرجوا الناس ، فخرج النصارى وخرج لهم أبو محمد الحسن ومعه خلق كثير ، فوقف النصارى على جاري عادتهم يستسقون إلا ذلك الراهب مد يديه رافعاً لهما إلى السماء ، ورفعت النصارى والرهبان أيديهم على جاري عادتهم فغيمت السماء في الوقت ونزل المطر فأمر أبو محمد الحسن القبض على يد الراهب وأخذ ما فيها فإذا بين أصابعها عظم آدمي فأخذه أبو محمد الحسن ولفه في خرقة وقال استسق فانكشف السحاب وانقشع الغيم وطلعت الشمس فعجب الناس من ذلك ، وقال الخيفة ما هذا يا أبا محمد فقال عظم نبي من أنبياء الله عزّ وجل ظفر به هؤلاء من بعض فنون الأنبياء وما كشف عن عظم بني تحت السماء إلا هطلت بالمطر واستحسوا ذلك فامتحنوه فوجدوه كما قال ، فرجع أبو محمد الحسن إلى داره بسر من

رأى وقد أزال عن الناس هذه الشبهة وقد سر الخليفة والمسلمون ذلك ، وكلم أبـو محمد الحسن الخليفـة في إخراج أصحـابه الـذين كانـوا معـه في السجن فأخرجهم وأطلقهم له ، وأقام أبو محمد الحسن بسر من رأى بمنزلة بها معظماً مكرماً مبجلاً ، وصارت صـلات الخليقة وأنعـامه تصـل إليه في منـزله إلى أن قضى تغمده الله برحمته .

وعن علي بن إبـراهيم بن هاشم عن أبيـه عن عيسى بن الفتح قـال لمـا دخل علينا أبو محمد الحسن السجن ، قال لي يا عيسى لـك من العمر خمس وستون سنة وشهر ويومان قال وكان معي كتاب فيـه تاريـخ ولادتي فنظرت فيـه فكـان كما قـال ، ثم قال لي هـل ارزقت ولداً فقلت لا قـال اللهم ارزقه ولـداً يكون له عضداً فنعم العضد الولد ثم أنشد:

من كـان ذا عضـد يـدرك ظـلامتـه　　　إن الـذليـل الـذي ليست لـه عضـد

فقلت له يا سيدي وأنت لك ولد فقال والله سيكون لي ولد يمـلأ الأرض قسطاً وعدلاً وأما الآن فلا ثم انشد قائلاً :

لـعلك يــومــاً أن تــراني كــأنمــا　　　بــنـي حــوالــي الأسـود الـلوابـد
فــإن تميمــاً قبــل أن تلد العـصـا　　　أقـام زمـانـاً وهـو في النـاس واحـد

وعن الحسن بن محمـد الأشعري عن عبـدالله بن خاقـان قـال لقـد ورد على الخليفـة المعتمد على الله أحمـد بن المتوكـل في وقت وفـاة أبي محمـد الحسن بن علي العسكـري ما تعجبنـا منـه ، ولا ظننـا أن مثله يكـون من مثله وذلـك أنه لمـا اعتل أبـو محمد ركب خمسـة من دار الخليفـة من خـدام أمير المؤمنين وثقاته وخـاصته كـل منهم نحريـر فقه وأمـرهم بلزوم دار أبي الحسن وتعرف خبره ومشاركتهم له بحاله وجميع ما يحدث له في مرضه وبعث إليه من خدام المتطببين وأمرهم بالاختلاف إليه وتعهده صباحاً ومساء ، فلمـا كان بعـد ذلك بيومين أو ثلاثاً أخبروا الخليفة بـأن قوتـه قد سقـطت وحركتـه قد ضعفت وبعيـد أن يجيء منـه شيء فـأمـر المتـطببين بمـلازمتـه ، وبعث الخليفـة إلى القاضي ابن بختيار أن يختار عشرة ممن يثق بهم وبدينهم وأمانتهم يأمرهم إلى

دار أبي محمد الحسن وبملازمته ليلاً ونهاراً ، فلم يزالوا هناك إلى أن توفي بعد أيام قلائل ولما رفع خبر وفاته ارتجت سر من رأى وقامت ضجة واحدة وعطلت الأسواق وغلقت أبواب الدكاكين ، وركب بنو هاشم والكتاب والقواد والقضاة والمعدلون وسائر الناس إلى أن حضروا إلى جنازته ، فكانت سر من رأى في ذلك شبيهاً بالقيامة فلما فرغوا من تجهيزه بعث الخليفة إلى عيسى بن المتوكل أخيه بالصلاة عليه فلما وضعت الجنازة للصلاة دنا عيسى منه وكشف عن وجهه ، وعرضه على بني هاشم من العلوية والعباسية وعلى القضاة والكتاب والمعدلين فقال هذا أبو محمد العسكري مات حتف انفه على فراشه وحضره من خدام أمير المؤمنين فلان وفلان ثم غطى وجهه وصلّى عليه وأمر بحمله ودفنه وكانت وفاة أبي محمد الحسن بن علي بسر من رأى في يوم الجمعة لثمان خلون من شهر ربيع الأول سنة ستين ومائتين للهجرة ودفن في البيت الذي دفن فيه أبوه بدارهما من سر من رأى ، وله يومئذٍ من العمر ثمان وعشرون سنة وكانت مدة إمامته سنتين كانتا في بقية ملك المعتز بن المتوكل ،ثم ملك المهتدي بن الواثق احدى عشراً ، ثم ملك المعتمد على الله أحمد بن المتوكل ثلاثاً وعشرين سنة مات في أوائل دولته .

خلف أبو محمد الحسن من الولد ابنه الحجة القائم المنتظر لدولة الحق وكان قد أخفى مولده وستر أمره لصعوبة الوقت وخوف السلطان وتطلبه للشيعة وحبسهم والقبض عليهم ، وتولى جعفر بن علي أخوه وأخذ تركته واستولى عليها وسعى في حبس مواليه ، وشنع على أصحابه عند السلطان وذلك لكونه أراد القيام عليهم مقام أخيه ، فلم يقبلوه لعدم أهليته لذلك ولا ارتضوه ، وبذل جعفر على ذلك مالاً جليلاً لولي الأمر فلم يتفق له ولم يجتمع عليه اثنان .

ذهب كثير من الشيعة إلى أن أبا محمد الحسن مات مسموماً وكذلك أبوه وجده وجميع الأئمة الذين من قبلهم خرجوا كلهم، تغمدهم الله برحمته من الدنيا،على الشهادة واستدلوا على ذلك مما روي عن الصادق عليه السلام أنه قال ما منا إلا مقتول أو شهيد .

الإمـام الحسن العسكـري (ع)

منـاقب سيدنـا أبي محمد الحسن العسكـري دالة على أنـه السـري ابن السـري فلا يشـك في إمامتـه أحد ولا يمتـري واعلم أنه يبعث مكـرمة فسـواه بايعها وهـو المشتري ، واحـد زمانـه من غير مـدافع ، ويسبـح وحده من غيـر منازع ، وسيد أهل عصره وإمام أهل دهره أقواله سديدة وأفعالـه حميدة ، وإذا كانت أفاضل زمانه قصيدة فهو في بيت القصيدة وإن انتظموا عقـدا كان مكـان الواسطة الفريدة ، فارس العلوم الذي لا يجارى ، ومبين غوامضها فلا يحـاول ولا يماري ، كاشف الحقائق بنظره الصائب ، مظهـر الدقـائق بفكره الثـاقب ، المحدث في سره بـالأمور الخفيـات الكريم الأصـل والنفس والذات ، تغمـده الله برحمته واسكنه فسيح جنانه بمحمد (ص) آمين .



الفصل الثاني عشر

في ذكر أبي القاسم محمد الحجة الخلف الصالح ابن أبي محمد الحسن الخالص

وهو الإمام الثاني عشر وتاريخ ولادته ودلائل إمامته وذكر طرف من أخباره وغيبته ومدة قيام دولته وذكر كنيته ونسبه وغير ذلك مما يتصل به .

قال صاحب الإرشاد[1] الشيخ المفيد أبو عبدالله محمد بن محمد بن النعمان رحمه الله تعالى، كان الإمام بعد أبي محمد الحسن ابنه محمداً ولم يخلف أبوه ولداً غيره وخلفه أبوه غائباً مستتراً بالمدينة ، وكان عمره عند وفاة أبيه خمس سنين آتاه الله تعالى فيها الحكمة كما آتاها يحيى صبياً وجعله إماماً في حال الطفولة كما جعل عيسى بن مريم في المهد نبياً وقد سبق النص عليه في ملة الإسلام من النبي محمد عليه الصلاة والسلام وكذلك من جده علي بن أبي طالب ومن بقية آبائه أهل الشرف والمراتب، وهو صاحب السيف القائم المنتظر كما ورد ذلك في صحيح الخبر وله قبل قيامه غيبتان احداهما أطول من الأخرى، فأما الأولى فهي القصرى فمنذ ولادته إلى انقطاع السفارة بينه وبين شيعته وأما الثانية فهي التي بعد الأولى في آخرها يقوم بالسيف قال الله تعالى : ﴿ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ﴾ وقال رسول الله (ص) لم تنقض الأيام والليالي حتى يبعث الله

---

(١) إرشاد المفيد ٣٤٦ بتفاوت .

رجلاً من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً .

وعن زرارة قال سمعت أبا جعفر يقول الأئمة الاثنا عشر كلهم من آل محمد (ص) وعليهم علي بن أبي طالب وأحد عشر من ولده .

وروى الحافظ أبو نعيم بسنده مرفوعاً إلى عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله (ص) لا تذهب الدنيا حتى يبعث الله رجلاً من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً[1] . وروى ابن الخشاب في كتابه مواليد أهل البيت يرفعه بسنده إلى علي بن موسى الرضا (عليه السلام) أنه قال الخلف الصالح من ولد أبي محمد الحسن بن علي وهو صاحب الزمان القائم المهدي . وأما النص على إمامته من جهة أبيه فروى محمد بن علي بن بلال قال خرج إلي أمر أبي محمد الحسن بن علي العسكري قبل مضيه بسنين يخبرني بالخلف من بعده ثم خرج إلي قبل مضيه بثلاثة أيام يخبرني بالخلف بأنه ابنه من بعده . وعن أبي هاشم الجعفري قال قلت لأبي محمد الحسن بن علي جلالتك تمنعني من مسألتك فتأذن أن أسألك فقال سل فقلت يا سيدي هل لك ولد قال نعم قلت فإن حدث حادث فأين أسأل عنه قال بالمدينة .

ولد أبو القاسم محمد بن الحجة بن الحسن الخالص بسر من رأى ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين للهجرة . وأما نسبه أباً وأماً فهو أبو القاسم محمد الحجة بن الحسن الخالص بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم أجمعين . وأما أمه فأم ولد يقال لها نرجس خير أمة وقيل اسمها غير ذلك .

---

(١) عقد الدرر في أخبار المنتظر عن الحافظ أبي نعيم في صفة المهدي (عليه السلام) ص ٢٩ وأخرج مثله في مسند أحمد (٣/ ٣٧٦، ٣٧٧، ٤٤٨، و٤٣٠) وفي سنن الداني (٩٥، ٩٧) .

وأما كنيته فأبو القاسم . وأما لقبه فالحجة والمهدي والخلف الصالح والقائم المنتظر وصاحب الزمان وأشهرها المهدي . صفته (عليه السلام) شاب مرفوع القامة حسن الوجه والشعر يسيل شعره على منكبيه اقنى الأنف اجلى الجبهة بوابه محمد بن عثمان، معاصره المعتمد قيل غاب في السرداب والحرس عليه وكان ذلك سنة ست وسبعين ومائتين للهجرة. وهذا طرف يسير مما جاء من النصوص الدالة على الإمام الثاني عشر عن الأئمة الثقات والروايات في ذلك كثيرة اضر بنا عن ذكرها وقد دونها أصحاب الحديث في كتبهم واعتنوا بجمعها ولم يتركوا شيئاً وممن اعتنى بذلك وجمعه إلى الشرح والتفصيل الشيخ الإمام جمال الدين أبو عبدالله محمد بن إبراهيم الشهير بالنعماني في كتابه الذي صنفه ملء الغيبة في طول الغيبة ، وجمع الحافظ أبو نعيم أربعين حديثاً في أمر المهدي خاصة وصنف الشيخ أبو عبدالله محمد بن يوسف الكنجي الشافعي في ذلك كتاباً أسماه البيان في أخبار صاحب الزمان ، وروى الشيخ أبو عبدالله الكنجي المذكور في كتابه هذا بإسناده عن زر [عن أبي] عبدالله قال قال رسول الله (ص) لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي أخرجه أبو داود[1] . وعن علي بن أبي طالب (عليه السلام) عن النبي (ص) أنه قال لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملأها عدلاً كما ملئت جوراً هكذا أخرجه أبو داود في مسنده[2] . وروى أبو داود والترمذي في سننهما كل واحد منهما يرفعه إلى أبي سعيد الخدري (رض) قال سمعت رسول الله (ص) يقول المهدي مني أجلا الجبهة اقنى الأنف يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً وزاد أبو داود يملك سبع سنين وقال حديث ثابت صحيح ، ورواه الطبراني في مجمعه وكذلك غيره من ائمة الحديث[3] وذكر ابن سيرويه

(١) صحيح الترمذي (٢/ ٤٦) ط. دهلي سنة ١٣٤٢ عن منتخب الأثر ١٤٦ طبع بيروت وفي صحيح أبي داود (٢/ ٢٠٧) ومسند أحمد (١/ ٣٧٧) و(١/ ٤٣٠).

(١) عقد الدرر (١٨) عن سنن أبي داود (٢/ ٤٢٢).

(٣) عقد الدرر (٣٣) عن سنن أبي داود (٢/ ٤٢٢) وذكر السيوطي أن هذا الحديث رواه ابو داود =

الـديلمي في كتاب الفـردوس في باب الألف والـلام بـإسنـاده عن ابن عبـاس (رض) قال قال رسول الله (ص) المهدي طاووس أهل الجنة[1]. وبإسناده أيضاً عن حذيفة بن اليمان (رض) عن النبي (ص) قال المهدي ولدي وجهـه كالقمـر الدري واللون منه لون عربي والجسم جسم إسـرائيلي يملأ الأرض عـدلاً كما ملئت جوراً، يرضى بخلافته أهل السموات والأرض والطير في الجو يملك عشر سنين . وممـا رواه أبو داود أيضـاً يرفعـه إلى أم سلمـة (رض) قـالت سمعت رسول الله (ص) يقول المهدي من عترتي من ولد فاطمة عليها السلام . ومن ذلك ما رواه القاضي أبو محمد الحسين بن مسعود البغـوي في كتابـه المسمى بشرح السنة وخرجه مسلم والبخاري[2] في صحيحهما يرفعه كـل واحد منهمـا بسنده إلى أبي هريـرة قال قـال رسول الله (ص) كيف انتم إذا نـزل ابن مريـم فيكم وأمامكم منكم . ومن ذلك ما أخرجه أبو داود والترمذي في سننهما يرفعه كل واحد منهما إلى عبدالله بن مسعـود قال قـال رسول الله (ص) لـو لـم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً من أمتي ومن أهـل بيتي يواطىء اسمـه اسمي يمـلأ الأرض قسـطاً وعـدلاً كمـا ملئت جـوراً وظلماً . ومن ذلك ما رواه أبو اسحق أحمد بن محمد بن الثعلبي يرفعه بسنـده إلى أنس بن مـالك قـال قال رسـول الله (ص) نحن ولد عبـد المطلب سـادة الجنة أنا وحمزة وجعفر وعلي والحسن والحسين والمهدي وأخرجـه ابن ماجـة في صحيحه[3] باب خروج المهدي من أبواب الفتن. وعن علقمة بن عبدالله قـال بينما نحن عنـد رسول الله (ص) إذ أقبـل فئة من بني هـاشم فلمـا رآهم

والحاكم عن أبي سعيد جمع الجوامع (١/ ٤٤٩) وقريب منه ما رواه احمـد في مسنده (٣/ ١٧).

(١) ينابيع المودة (١٨١، ٤٣٥، ٤٨٩) ونور الأبصار (١٥٤) عن منتخب الأثر ١٥٢.

(٢) صحيح البخاري (ج ٢) كتـاب بدء الخلق بـاب نزول عيسى بن مـريم (عليـه السـلام) ورواه مسلم في القسم الأول من الجزء الأول من صحيحه بـاب نزول عيسى ورواه نـور الأبصار (ب ٢ ص ١٥٤) عن منتخب الأثر ١٤٩.

(٣) صحيح ابن ماجه (ج ٢ باب خروج المهدي من أبواب الفتن) عن منختب الأثر (١٥٠).

النبي (ص) اغرورقت عيناه بالدموع وتغير لونه قـال قلت مالـك يا رسـول الله نرى في وجهك شيئـاً نكرهـه قال (ص) إنا أهل البيت أختـار الله لنا الآخـرة على الدنيا وإن أهل بيتي سيلقون بعـدي تشريـداً وتطريـداً حتى يأتي قـوم من قبل المشرق ومعهم رايات سود فيسألون بخبـز فلا يعطونه، فيقـاتلون فينصرون فيعطون ما سـألوا ولا يقبلون حتى يـدفعونهـا إلى رجل من أهـل بيتي فيملأها قسطاً كما ملئت جوراً فمن أدرك ذلك منكم فليأتينهم ولو حبوا على الثلج[1] ، أخرجه الحافظ أبو نعيم . وروى الحافظ أبو نعيم أيضـاً بسنده عن ثـوبان قـال قـال رسول الله (ص) إذا رأيتم الـرايات الـسود من خراسـان فأتـوها ولـو حبوا على الثلج فإن فيها خليفة الله المهدي وروى الحافظ أبو نعيم أيضاً بسنده عن عبدالله بن عمر قال قال رسول الله (ص) يخرج المهـدي من قريـه يقال لهـا كريمة . وروى الحافظ أبو عبدالله بن ماجة القزويني في حـديث طويـل نزول عيسى بن مريم على نبينا وآلـه وعليه السـلام عن أبي أمامـة الباهلي فـأخطبنـا رسـول الله (ص) وذكر الـدجال وقـال فيه أن المـدينة لتنفي خبثهـا كما ينفي الكيـر خبث الحديـد ويدعى ذلـك اليوم يـوم الخلاص،قـالت أم شـريـك بنت العسكر يا رسول الله فأين العرب يومئذٍ قال (ص) هم يومئذٍ قليـل وجلهم في بيت المقدس وإمامهم المهدي قد تقـدم إذ صلّى بهم إذ نزل عيسى بن مـريم فـرجع ذلـك الإمام ينكص عن عيسى القهقـرى ليتقـدم عيسى يصلي بـالنـاس الظهر فيضع عيسى يده بين كتفيه ثم يقول تقـدم ، هذا حـديث صحيح ثـابت وهذا مختصره . وعن أبي هريرة قال قال رسـول الله (ص) كيف أنتم إذا نزل ابن مـريم فيكم وإمامكـم منكم ، وهـذا حـديث حسن متفق على صحتـه من حديث محمد بن شهاب الزهري ورواه البخاري ومسلم في صحيحهما . وعن جابر بن عبدالله قال سمعت رسـول الله (ص) يقول لا تـزال طائفـة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهـرين إلى يوم القيـامة قـال فينزل عيسى بن مـريم على

---

(١) مستـدرك الحاكم (٤/ ٤٦٤ و٥٥٣) وكنـز العمـال (٧/ ١٨٧) وابن مـاجـه (٢/ ٥١٨ و٢٦٩) والصـواعق المحرقـة (١٠٠) وعقد الـدرر (١٢٤) وابن خلدون في مقدمتـه والـداني في سننـه (٩٣) الخ . . عن الممهدون للمهدي (عليه السلام) طبع طهران .

نبينا وآله وعليه السلام فيقول أميرهم تعال صلِّ بنا فيقول إلا أن بعضكم على بعض أمراء تكرمه الله لهذه الأمة ، هذا حديث حسن صحيح اخرجه مسلم في صحيحه . وعن ابن هارون العبدي قال أتيت أبا سعيد الخدري (رض) فقلت له هل شهدت بدراً قال نعم فقلت أفلا تحدثني بما سمعت من رسول الله (ص) في علي (عليه السلام) وفضله قال بلى أخبرك أن رسول الله (ص) مرض مرضة نقه منها فدخلت عليه فاطمة (عليها السلام) وأنا جالس عن يمين النبي (ص) وسلم فلما رأت فاطمة ما برسول الله (ص) من الضعف خنقتها العبرة حتى بدت دموعها على خدِّها، فقال لها رسول الله (ص) ما يبكيك يا فاطمة قالت أخشى الضيعة يا رسول الله فقال (ص) يا فاطمة إن الله تعالى أطلع على الأرض اطلاعة على خلقه فاختار منهم أباك فبعثه نبياً ثم اطلع ثانية فاختار منهم بعلك فأوحى إلي أن أنكحه فاطمة فأنكحته إياك واتخذته وصياً، أما علمت أنك بكرامة الله تعالى إياك زوجك أغزرهم علماً وأكثرهم حلماً وأقومهم سلماً فاستبشرت فأراد رسول الله (ص) أن يزيدها من مزيد الخير الذي قسمه الله تعالى لمحمد (ص) قال فقال لها يا فاطمة ولعلي ثمانية أضراس يعني مناقب إيمان بالله ورسوله وحكمته وزوجته وسبطاه الحسن والحسين وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، يا فاطمة انا أهل بيت أعطينا ست خصال لم يعطها أحد من الأولين ولا يدركها أحد من الآخرين غيرنا، فنبينا خير الأنبياء ووصينا خير الأوصياء وهو بعلك وشهيدنا خير الشهداء وهو عم أبيك ومنا من له جناحان يطير بهما في الجنة حيث يشاء وهو جعفر، ومنا سبطا هذه الأمة وهما ابناك ومنا مهدي الأمة الذي يصلي خلفه عيسى بن مريم ثم ضرب على منكب الحسين عليه السلام وقال من هذا مهدي هذه الأمة ، هكذا أخرجه الدار قطني صاحب الجرح والتعديل[1] .

وعن أبي نضرة قال كنا عند جابر بن عبدالله الانصاري (رض) فقال

---

(١) انظر منتخب الأثر (٢٠٠ و١٩٦) وينابيع المودة (٤٣٤ و٤٣٦) والمستدرك على الصحيحين (٤/ ٥٥٧) الخ . .

يوشك أهل العراق أن لا يجبي إليهم قفيز ولا درهم قلنا من أين قال من قبل العجم يمنعون ذلك، ثم قال يوشك أهل الشام أن لا يجبى اليهم دينار ولا قد قلنا من أين قال من قبل الروم ثم سكت هنيئة ثم قال قال رسول الله (ص) يكون في آخر أمتي خليفة يحثو المال حثواً لا يعده عداً قلنا نراه عمر بن عبد العزيز قال لا ، وهذا حديث حسن صحيح أخرجه مسلم في صحيحه. وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله (ص) يكون في آخر الزمان خليفة يقسم المال ولا يعده ، هذا لفظ مسلم في صحيحه .

وعن أبي سعيد وجابر بن عبدالله قالا قال رسول الله (ص) أبشركم بالمهدي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض يقسم المال صحاحاً فقال رجل ما معنى صحاحاً قال بالسوية بين الناس ويملأ الله قلوب أمة محمد (ص) غنى، ويسمعهم عدله حتى يأمر منادياً ينادي يقول من له في المال حاجة فليقم فما يقوم من الناس إلا رجل واحد فيقول أنا فيقول له أئت السدان يعني الخازن فقل إن المهدي يأمرك أن تعطيني مالاً فيحثو له في ثوبه حثوا حتى إذا صار في ثوبه يندم ويقول كنت أخشع أمة محمد نفساً اعجز عما وسعهم فيرده إلى الخازن فلا يقبل منه فيقول إنا لا نأخذ شيئاً مما اعطينا فيكون المهدي كذلك سبع سنين أو ثمان أو تسع ثم لا خير في العيش بعده ، وهذا حديث حسن ثابت أخرجه شيخ أهل الحديث أحمد بن حنبل في مسنده .

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله (ص) يكون عند انقطاع من الزمان وظهور من الفتن رجل يقال له المهدي عطاؤه هنيئاً ، أخرجه الحافظ أبو نعيم في الرد على من زعم أن المهدي هو المسيح[1].

---

(١) الأحاديث في المهدي (عليه السلام) ومناقبه ملء الكتب ، انظر سنن الترمذي (ك ٣١ ب ٥٣ وب ٧٩ وب ٥٢). ومسند أحمد (٨٤، ٩٩، ٣٧٦، ٣٧٧، ٤٣٠، ٤٤٨، و٣/ ١٧، ٢٦، ٢٨، ٣٦، ٣٧، ٥٢، ٧٠، و ٢١ و٢/ ٣٦٥، و٥/ ٢٧٧). وسنن أبي هاود (ك ٣٥ ب٤ ـ ٨ و١٢ وح ٧ ـ ٩) وسنن ابن ماجه (ك ٣٦ ب ٣٤) وفي صحيح البخاري كتاب بدء الخلق .

وعن علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال قلت يا رسول الله أمنا آل محمد المهدي أم من غيرنا فقال رسول الله (ص) لا بل منا يختم الله به الدين كما فتح بنا،وبنا ينقذون من الفتنة كما انقذوا من الشرك وبنا يؤلف الله قلوبهم بعد عداوة الفتنة كما ألف الله قلوبهم بعد عداوة الشرك وبنا يصبحون بعد عداوة الفتنة إخوانا في دينهم ، وهذا حديث حسن عال رواه الحفاظ في كتبهم . وأما الطبراني فقد ذكره في المعجم الأوسط وأما أبو نعيم فرواه في حلية الأولياء ، وأما عبد الرحمن بن حماد فقد ساقه في عواليه وعن عبدالله ابن عمر أنه قال قال رسول الله (ص) يخرج المهدي وعلى رأسه عمامة فيها ملك ينادي هذا خليفة الله المهدي فاتبعوه روته الحفاظ كأبي نعيم والطبراني وغيرهما، وعن أبي أمامة الباهلي قال قال رسول الله (ص) بينكم وبين الروم اربع هدن تؤم الرابعة على يد رجل من أهل هرقل تدوم تسع سنين فقال له رجل من عبد القيس يقال له المستور بن غيلان يا رسول الله من إمام الناس يومئذٍ قال المهدي من ولدي ابن أربعين سنة كأن وجهه كوكب دري في خده الأيمن خال أسود وعليه عبايتان قطويتان كأنه من رجال بني إسرائيل يستخرج الكنوز ويفتح مداين الشرك .

وعن أبي هريرة عن النبي (ص) قال لا تقوم الساعة حتى يملك رجل من أهل بيتي القسطنطينية وجبل الديلم ولو لم يبق إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يفتحها ، هذا سياق الحافظ أبو نعيم وقال هذا هو المهدي بلا شك وبقا بين الروايات .

وعن جابر بن عبدالله قال قال رسول الله (ص) سيكون بعدي خلفاء ومن بعد الخلفاء أمراء ومن بعد الأمراء ملوك جبابرة ثم يخرج المهدي من أهل بيتي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ، هكذا ذكره الحافظ أبو نعيم في فوائده والطبراني في معجمه الكبير .

وعن أبي سعيد الخدري عن رسول الله (ص) تتنعم أمتي في زمن المهدي نعمة لم يتنعم مثلها قط يرسل السماء عليهم مدراراً ولا تدع الأرض

شيئاً من نباتها إلا أخرجته، رواه الطبراني في معجمه الكبير . قال الشيخ أبو عبدالله محمد بن يوسف بن الكنجي الشافعي في كتابه البيان في أخبار صاحب الزمان من الدلالة على كون المهدي حياً باقياً منذ غيبته وإلى الآن وأنه لا امتناع في بقائه كبقاء عيسى بن مريم والخضر والياس من أولياء الله تعالى وبقاء الأعور الدجال وإبليس اللعين من أعداء الله، هؤلاء قد ثبت بقاؤهم بالكتاب والسنة. أما عيسى (عليه السلام) فالدليل على بقائه قوله تعالى وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ولم يؤمن به منذ نزول هذه الآية وإلى يومنا هذا أحد، فلابد أن يكون هذا في آخر الزمان وأما السنة فما رواه مسلم في صحيحه عن ابن سمعان في حديث طويل في قصة الدجال قال فينزل عيسى بن مريم عند المنارة البيضاء بين مهرورتين واضعاً كفيه على اجنحة ملكين وأيضاً ما تقدم من قوله (ص) كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وأمامكم وأما الخضر والياس فقد قال ابن جرير الطبري الخضر والياس باقيان يسيران في الأرض وأيضاً ما رواه في صحيحه عن أبي سعيد الخدري قال حدثنا رسول الله (ص) حديثاً طويلاً عن الدجال وكان فيما حدثنا أنه قال يأتي وهو محرم عليه أن يدخل بقباب المدينة فينتهي إلى بعض السباخ التي تلي المدينة، فيخرج إليه يومئذٍ رجل هو خير الناس أو من خير الناس فيقول الدجال إن قتت هذا ثم أحييته أتشكون في الأمر فيقولون لا، قال فيقتله ثم يحييه فيقول حين يحييه والله ما كنت فيك قط أشد بصيرة مني الآن، قال فيريد الدجال أن يقتله فلن يسلط عليه وقال إبراهيم بن سعد يقال إن هذا الرجل هو الخضر هذا لفظ مسلم في صحيحه كما سقناه[1] سواء، وأما الدليل على بقاء إبليس اللعين في الكتاب العزيز وهو قوله تعالى: قال رب فانظرني إلى يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم . وأما بقاء المهدي فقد جاء في الكتاب والسنة أما الكتاب فقد قال سعيد بن جبير في تفسير قوله تعالى ليظهره

---

(١) روايات الدجال في صحيح مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة باب ذكر ابن صياد وصحيح البخاري (٤، ٨٥، ٨٦) كتاب فضل الجهاد والسير في باب كيف يعرض الإسلام على الصبي ، وفيه (٩/ ٧٥، ٧٦) و(٤/ ٢٥٢).

على الدين كله ولو كره المشركون، قال هو المهدي من ولد فاطمة عليها السلام وأما من قال فإنه عيسى فلا تنافي بين القولين إذ هو مساعد للمهدي على ما تقدم وقد قال مقاتل بن سليمان ومن تابعه من المفسرين في تفسير قوله تعالى وأنه لعلم الساعة قال هو المهدي يكون في آخر الزمان. وبعد خروجه يكون إمارات ودلالات الساعة وقيامها انتهى والله تعالى أعلم بذلك .

علامات قيام القائم ومدة أيام ظهوره (عليه السلام) :

قد جاءت الآثار بذكر علامات لزمان قيام القائم المهدي وحوادث تكون أمام قيامه وإمارات ودلالات منها خروج السفياني وقتل الحسيني واختلاف بني العباس في الملك، وكسوف الشمس في النصف من شعبان وخسوف القمر في آخر الشهر على اختلاف ما جرت به العادة وعلى خلاف حساب أهل النجوم ومن أن خسوف القمر لا يكون إلا في الثالث عشر أو الرابع عشر والخامس عشر لاغير، وذلك عند تقابل الشمس والقمر على هيئة مخصوصة وأن كسوف الشمس لا يكون إلا في السابع والعشرين من الشهر أو الثامن والعشرين والتاسع والعشرين، وذلك عند اقترانهما على هيئة مخصوصة ومن ذلك طلوع الشمس من مغربها وقتل نفس زكية تظهر في سبعين من الصالحين وذبح رجل هاشمي بين الركن والمقام وهدم حايط مسجد الكوفة وإقبال رايات سود من قبل خراسان وخروج اليماني وظهور المغربي بمصر وتملكه الشامات ونزول الترك الجزيرة ونزول الروم الرملة، وطلوع نجم في المشرق يضيء كما يضيء القمر ثم ينعطف حتى يكاد أن يلتقي طرفاه وحمرة تظهر في السماء وتلتبس في آفاقها، ونار تظهر بالمشرق طولاً وتبقى في الجو ثلاثة أيام أو سبعة أيام وخلع العرب أعنتها وتملكها البلاد وخروجها عن سلطان العجم وقتل أهل مصر أميرهم وحراب الشام واختلاف ثلاث رايات فيه ودخول رايات قيس والعرب إلى مصر ورايات كندة إلى خراسان وورود خيل من العرب حتى تربط بفناء الحيرة، وإقبال رايات سود من المشرق ونحوها وفتق في الفرات حتى يدخل الماء أزقة الكوفة وخروج ستين كذاباً كلهم يدعي النبوة وخروج اثني عشر من آل أبي طالب كلهم يدعي الإمامة لنفسه وإغراق رجل عظيم القدر من شيعة

بني العباس عند الجسر مما يلي الكرخ بمدينة بغداد وارتفاع ريح سوداء بها في أول النهار وزلزلة حتى ينخسف كثير منها ويشمل أهل العراق، وموت ذريع ونقص من الأنفس وفي الأموال والثمرات وجراد يظهر في أوانه وفي غير أوانه حتى يأتي على الزرع والغلات وقلة ريع ما تزرع الناس، واختلاف بين العجم وسفك دماء فيما بينهم وخروج العبيد عن طاعات ساداتهم وقتلهم مواليهم ثم يختم بعد ذلك بأربع وعشرين مطرة متصلة فيحيي الأرض، بعد موتها وتظهر بركاتها، وتزول بعد ذلك كل عاهة من معتقدي الحق من أتباع المهدي فيعرفون عند ذلك ظهوره بمكة فيتوجهون إليه قاصدين لنصرته كما جاءت بذلك الأخبار ومن جملة هذه الأحداث ما هو محتوم ومنها ما هو مشترط والله أعلم بما يكون وإنما ذكرناها على حسب ما ثبت في الأصول وتضمنها الأثر المنقول .

وعن علي بن يزيد الأزدي عن أبيه عن جده قال قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام): بين يدي القائم موت أحمر وموت أبيض وجراد في حينه وفي غير حينه كالوان الدم فأما الموت الأحمر فالسيف وأما الموت الأبيض فالطاعون .

وعن جابر الجعفي عن أبي جعفر (عليه السلام) قال قال لي الزم الأرض ولا تحرك يداً ولا رجلاً حتى ترى علامات اذكرها وما أراك تدرك ذلك ، اخلافاً بين بني العباس ومنادياً ينادي من السماء وخسف قرية من قرى الشام يقال لها الجابية ونزول الترك الجزيرة، ونزول الروم الرملة واختلاف كثير عند ذلك في كل أرض حتى تخرب الشام ويكون خرابها اجتماع ثلاث رايات فيها راية الأصهب وراية الابقع وراية السفياني .

وأما السنة التي يقوم فيها القائم واليوم الذي يبعث فيه فقد جاءت فيه آثار ، وعن أبي بصير عن أبي عبدالله (عليه السلام) لا يخرج القائم إلا في وتر من السنين سنة إحدى أو ثلاث إحدى، وثلاث أو خمس أو سبع أو تسع .

وعنه عن أبي عبدالله قال ينادى باسم القائم في ليلة عاشوراء وهو اليوم الذي قتل فيه الحسين ولكأني به في يوم السبت العاشر من المحرم قائماً بين

الركن والمقام وشخص قائم على يده ينادي البيعة البيعة فيصير إليه انصاره من أطراف الأرض، تطوى لهم طياً حتى يبايعوه فيملأ الله به الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً ثم يسير من مكة حتى يأتي الكوفة فينزل على نجفها ثم يفرق الجنود منها إلى الأمصار .

وعن عبد الكريم الخثعمي قال قلت لأبي عبدالله كم يملك القائم قال سبع سنين تطول له الأيام والليالي حتى تكون السنة من سنيه بمقدار عشر سنين من سنيكم فتكون سنيه بمقدار سبعين سنة من سنيكم هذه .

وعن أبي جعفر عليه السلام في حديث طويل قال إذا قام القائم سار إلى الكوفة فوسع مساجدها وكسر كل جناح خارج في الطريق وأبطل الكنف والميازيب الخارجة إلى الطرقات، ولا يدرك بدعة إلا أزالها ولا سنة إلا أقامها ويفتح القسطنطينة والصين وجبال الديلم فيمكث على ذلك سبع سنين مقدار كل سنة عشر سنين من سنيكم هذه .

وعن أبي جعفر أيضاً قال المهدي منا منصور بالرغب مؤيد بالظفر تطوى له الأرض وتظهر له الكنوز ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب ويظهر الله دينه على الدين كله ولو كره المشركون، فلا يبقى في الأرض خراب إلاّ عمره ولا تدع الأرض شيئاً من نباتها إلا أخرجته ويتنعم الناس في زمانه نعمة لم يتنعموا مثلها قط . قال الراوي فقلت له يا ابن رسول الله فمتى يخرج قائمكم قال إذا تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال وركبت ذوات الفروج السروج وأمات الناس الصلاة واتبعوا الشهوات وأكلوا الربا واستخفوا بالدماء، وتعاملوا بالربا وتظاهروا بالزنا وشيدوا البناء واستحلوا الكذب وأخذوا الرشا واتبعوا الهوى وباعوا الدين بالدنيا،وقطعوا الأرحام ومنوا بالطعام وكان الحلم ضعفاً والظلم فخراً والأمراء فجرة والوزراء كذبة والأمناء خونة والأعوان ظلمة والقراء فسقة ، وظهر الجور وكثر الطلاق وبدأ الفجور وقبلت شهادة الزور وشربت الخمور وركبت الذكور الذكور واشتغلت النساء بالنساء واتخذ الفيء مغنماً والصدقة مغرماً واتقي الأشرار مخافة ألسنتهم،وخرج السفياني من الشام واليمن وخسف بالبيداء بين مكة والمدينة وقتل غلام من آل محمد بين الركن والمقام

وصاح صائح من السماء بأن الحق معه ومع أتباعه، فعند ذلك خروج قائمنا فإذا خرج أسند ظهره إلى الكعبة واجتمع إليه ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلاً من أتباعه فأول ما ينطق هذه الآية : ﴿ بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين ﴾ ثم يقول أنا بقية الله وخليفته وحجته عليكم فلا يسلم مسلم عليه إلا قال السلام عليك يا بقية الله في الأرض فإذا اجتمع عنده العقد عشرة آلاف رجل فلا يبقى يهودي ولا نصراني ولا أحد ممن يعبد غير الله إلا آمن به وصدقه وتكون الملة واحدة ملة الإسلام وكل ما كان في الأرض من معبود سوى الله فينزل عليه ناراً فيحرقه[1].

قال بعض أهل الأثر المهدي هو القائم المنتظر وقد تعاضدت الأخبار على ظهوره وتظاهرت الروايات على إشراق نوره وستسفر ظلمة الأيام والليالي بسفوره وتتجلى برؤيته الظلم انجلاء الصباح من ديجوره ويخرج من سرار الغيبة فيملأ القلب بسروره ويسري عدله في الآفاق أضوأ من البدر المنير في مسيره ، انتهى.

وبتمام الكلام في هذا الفصل تم جميع الكتاب والله الموفق للصواب
وصلاته وسلامه على سيدنا محمد خاتم النبيين وآله وصحبه
أجمعين . وفي نسخة أخرى والصلاة والسلام
على سيدنا محمد وآله وعترته الأنجاب
ما طلعت شمس وغربت وكلما
هطل السحاب وحسبنا الله
ونعم الوكيل، نعم
المولى ونعم النصير

---

(١) إرشاد المفيد (٣٥٦- ٣٦١) وتجد أغلب العلامات في غيبة الطوسي وغيبة النعماني ومنتخب الأثر والبيان والبرهان الخ . . .

بعض مصادر التحقيق

إرشاد المفيد ـ الأعلمي بيروت

اعلام الورى ـ دار المعرفة بيروت

بحار الأنوار ـ الوفاء بيروت

مجمع البيان للطبرسي ـ ٥ مجلدات.

آمالي الطوسي ـ الوفاء بيروت

آمالي المفيد ـ طهران

مناقب ابن شهر آشوب ـ طهران

منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر

غيبة الطوسي

غيبة النعماني

أسباب النزول للواحدي ـ دار الهلال بيروت.

أخبار القضاة ـ لابن وكيع ٣ أجزاء عالم الكتب.

مفتاح كنوز السنة ـ طهران

صحيح البخاري ـ نسخة ليدن

عقد الدرر في أخبار المنتظر ـ مكتبة عالم الفكر ـ القاهرة ط ١ ـ ١٩٧٩.

الفهرس

الفصل الأول

الفصل الثاني

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الفصل السادس

الفصل السابع

الفصل الثامن

الفصل التاسع

الفصل العاشر

الفصل الحادي عشر

الفصل الثاني عشر